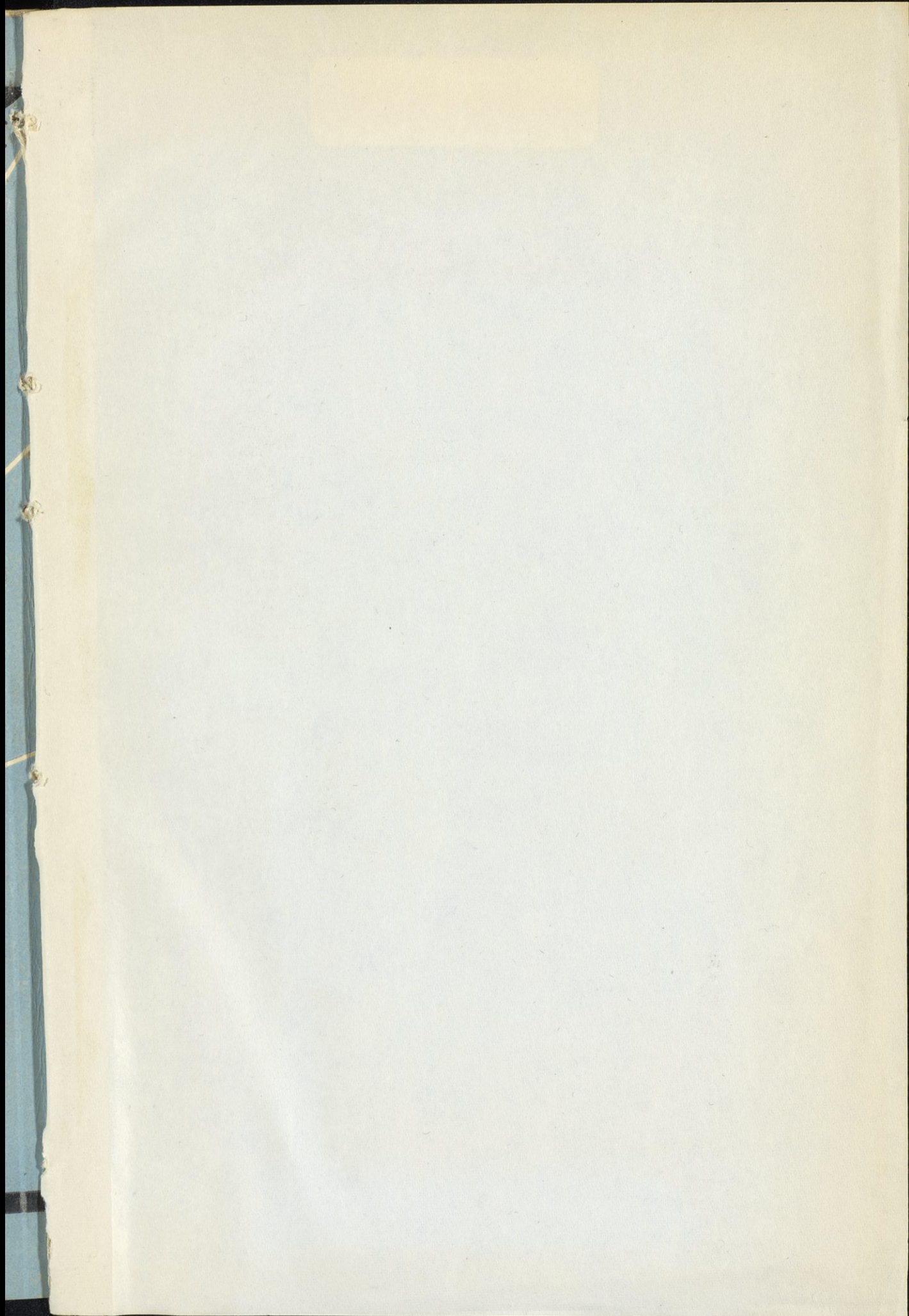




Princeton University Library



32101 074072610



دار الرقراء  
للتأليف



شرح

# نور المفتين

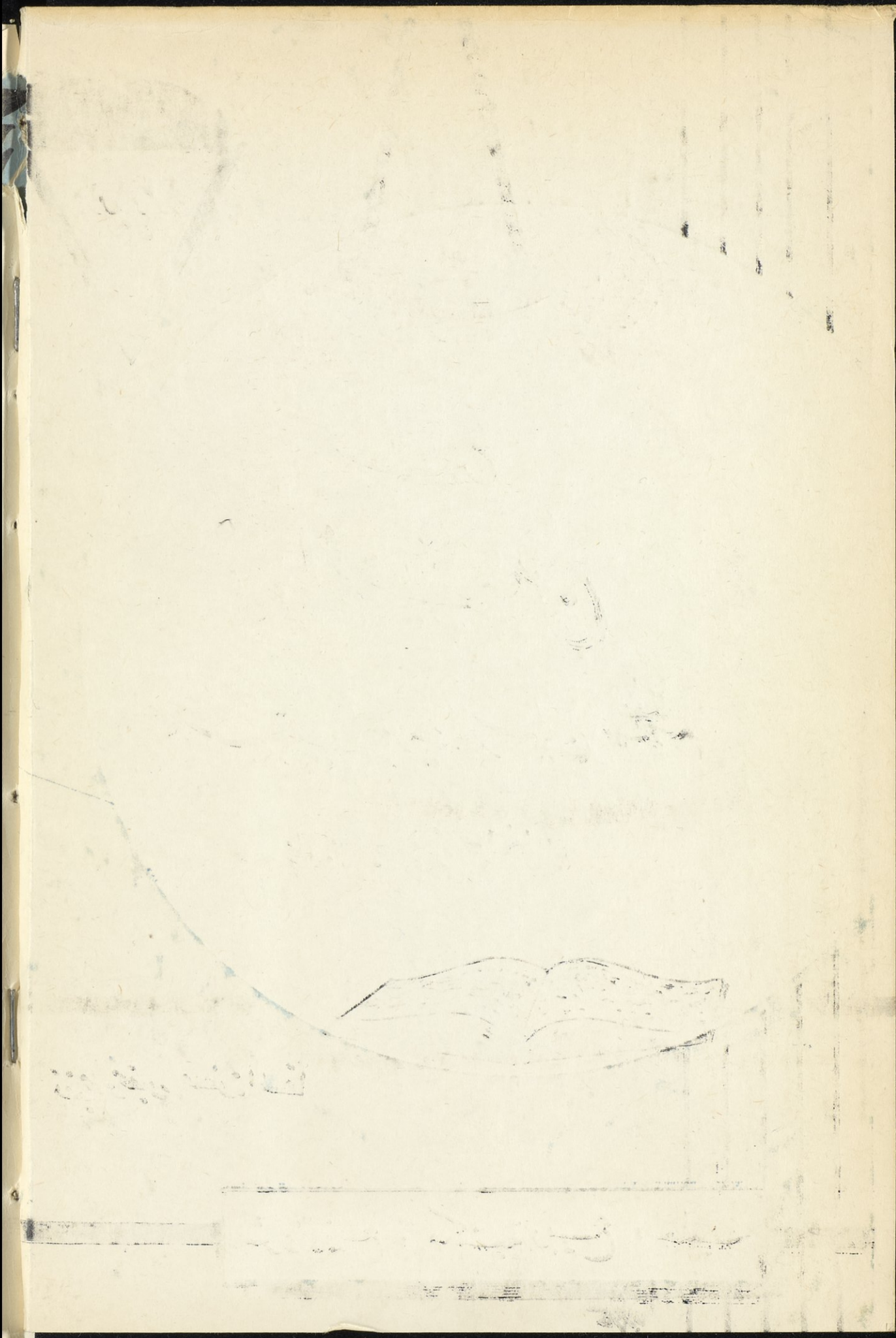
في سيرة سيدنا محمد سيد المرسلين عليه السلام

تأليف المرحوم الشيخ محمد الحضري



تقديم وتحقيق: صفوة السقا

نشر وتوزيع: مكتبة ربيع، حلب



al-Khudari, Muhammad

شرح

Sharh nūr al-yaqīn

نور اليقين  
ادبى

في سيرة سيدنا محمد سيد المرسلين عليه السلام

تأليف المرحوم الشيخ محمد الحضري



تقديم وتحقيق: صفوة السقا

نشر وتوزيع: مكتبة ربيع، حلب

السعر ♦ ♦ ٤ ق.س.ل

الطبعة الاولى

١٣٨٢ هـ . ١٩٦٢ م

جميع الحقوق محفوظة



# بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة كتاب شرح نور اليقين

في سيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وافضل الصلاة والتسليم على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي وضع لنا الطرق السليمة من الغواية والضلال وبين للامة المحمدية الهداية والارشاد والدين في مضمار ثلاث وعشرين عاما استغراقاً في خدمة تعاليم الدين وهي الاسلام والايمان والاحسان.

فوجب على كل من يقول لا آله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يطلع على سيرة هذا النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم .  
وخدمة للامة المحمدية بدأت بتوضيح ما اشكل على قراء اللغة العربية من كتاب نور اليقين الذي هو خلاصة مختصرة وموجز ليس له مثيل في كتب التاريخ وان مؤلفه رحمه الله الشيخ محمد الخضري .

قد أوجز بعض الأماكن من الابواب وأطال بعضها .  
فلذا : وفقني الله لتحقيق سيرة نبيه صلى الله عليه وسلم الذي تشمل على حياته من الدعوة المحمدية الى ان انتقل الى عالم البرزخ .

وان الامة الاسلامية بحاجة ضرورية لمعرفة حياة نبيهم صلى الله عليه وسلم وخاصة في هذا الزمن الذي بدأت الافكار الغامضة لا تدري الى اين تسير فمدح زعيم من زعمائها وتسطر اقلام الكتاب في حياتهم بدون جدوى فأجل توضيح للامة العربية الاسلامية سيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم الذي انقذ العالم بأسره من الهوة الساحقة الى نور رب العالمين . والله موقفي لسبيل الرشاد وبه المستعان .

مقدمة السيرة

2271  
509405  
368  
11

6-9-64 1982

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمدك يا من اوضحت لنا سبل الهداية ، وازحت عن بصائرنا غشاوة الغواية .  
ونصلي ونسلم على من أرسلته شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً الى الله باذنه  
وسراجاً منيراً ، وعلى الأصحاب الذين هجروا الأوطان يبتغون من الله الفضل  
والرضوان ، والأنصار الذين آووا ونصروا وبذلوا الاعزاز الدين ما جمعوا وما  
ادخروا .

أما بعد : فيقول محمد الحضري بن المرحوم الشيخ عفيفي الباجوري : كنت  
أجد من نفسي منذ النشأة الاولى ارتياحاً لقراءة تواريخ السالفين وقصص الغابرين  
واجدها لعقل الانسان أحسن مهذب وأنصح معلم ، وكنت أرى في تاريخ نبينا عليه  
الصلاة والسلام وما لقيه من اذى قومه حيناً دعاهم الى الحق وعظيم صبره حتى هجر  
أوطانه وبلاده أعظم مرب لأفكار المسلمين فإنه يدلهم على ما يجب اتباعه وما  
يلزم اجتنابه ليسودوا كما ساد سابقوهم ، وخصوصاً ما يتعلق بالحكام من  
اجتذاب النفوس النافرة والتأليف بين القلوب المختلفة . وما يتعلق بقواد الجيوش من  
تأليف الرجال وإحكام المعدات حتى يتم لهم النصر على اعدائهم ، وما يتعلق بالعامه  
من اتحاد قلوبهم وصيرورتهم يداً على من سواهم . فكنت اجد من قراءتها ارتياحاً  
عظيماً وكانت نفسي كثيراً ما تأسف على ترك المسلمين لها ! فقلما اجد من يشتغل  
بها ولكني كنت اقدم لهم العذر بتطويل الكتب المؤلفة في هذا الموضوع . فلما  
قدمت مدينة المنصورة جمعتي النوادي مع محمود بك سالم القاضي بمحكمة المنصورة  
المختلطة فوجدت منه عالماً بدينه تقف دونه فحول الرجال وتأخر عن مسابقتها فيه

الابطال ، فقلما توضع مسألة دينية الا وجدته مبرزاً فيها مفصلاً عن الجواب عنها ، أما عامه بسيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم فعنده منها الخبر اليقين . وكنت كثيراً ما اسمعه يتشوق لعمل سيرة خالية من الحشو والتعقيد تنتفع بها عامة المسلمين فقلت : يا الله ! لقد وافق هذا السيد الكريم ما في نفسي ولكنتي كنت ارى في عزمي قصوراً عن تنفيذ رغبته وتتميم امنيته فان المقام عظيم وصعوباته اعظم ، ولكن لم ار من الأمر بدأ تلقاء ما كنت أسمع من كبار رجال المنصورة ، فانهم اكثروا من الاماني لعمل هذا الكتاب العميم النافع الجزيل الفائدة . فقامت معتمداً على الله راجياً منه أن يوفقني لما فيه رضاه ، وواصلت السير بالسرى ، حتى بلغت المنى ، فجاء بحمد الله سهل المنال عذب المورد تنتفع به العامة ، وترجع إليه الخاصة . وقد كان موردي في تأليفه : القرآن الشريف وصحيح السنة مما رواه الإمامان البخاري ومسلم ولم أخرج عنها إلا فيما لا بد من تفهيم العبارات فكان يساعدي الشفاء للقاضي عياض والسيرة الحلبية والمواهب الدنية للقسطلاني وإحياء علوم الدين للغزالي ، هذا ، وأسأل الله من فيض فضله أن يوفق أمتنا وأمراءنا للاقتداء بسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإحياء معالم دينه حتى يؤيدوا بروح من عند الله . وقد آن أن نشرع فيما قصدناه مستعينين بحول الله فنقول :

### النسب الشريف

السيد الاكرم الذي شرف الناس بوجوده هو (١) ( محمد بن عبدالله ) من زوجة آمنة بنت وهب الزهرية (٢) القرشية ( ابن عبد المطلب ) من زوجه

(١) اراد المولى سبحانه وتعالى ازلا ايجاد محمد صلى الله عليه وسلم بكليته جسماً وروحاً في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب إن محمداً خاتم النبيين .

اه ملخصاً من الانوار المحمدية ص ٩ ( ش )

(٢) من بني زهرة بن كلاب من قريش

فاطمة بنت عمرو الخزومية (١) القرشية وكان عبد المطلب شيخا معظما في قريش يصدرن عن رأيه في مشكلاتهم ويقدمونه في مهماتهم ( ابن هاشم ) من زوجه سلمى بنت عمر النجارية (٢) الخزرجية ( ابن عبد مناف ) من زوجه عاتكة بنت السامية (٣) ( ابن قصى ) من زوجه حبي بنت حليل الخزاعية (٤) وكان إلى قصى في الجاهلية حجابة البيت وسقاية الحاج واطعامه المسمى بالرفادة والندوة وهي الشورى لا يتم أمر الا في بيته ، والواء لا تعقد راية الحرب إلا بيده ولما أشرف على الموت جعلها في يد أحد أولاده عبد الدار ، لكن : بنو عبد مناف أجمعوا رأيهم على أن لا يتركوا بني عمهم عبد الدار يستأثرون بهذه المفاخر وكاد يفضي الأمر إلى القتال لولا أن تدارك الأمر عقلاء الفريقين فأعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة فدامتا فيهم إلى أن انتهتا للعباس بن عبد المطلب ثم لبنيه من بعده . أما الحجابة فبقيت بيد بني عبد الدار وأقرها لهم الشرع فهي فيهم إلى الآن وهم بنو شيبه بن عثمان ابن أبي طلحة بن عبد العزيز بن عثمان بن عبد الدار . وأما اللواء فدام فيهم حتى ابطله الاسلام وجعله حقا للخليفة على المسلمين يضعه فيمن يراه صالحا له وكذلك الندوة . وقصى ( ابن كلاب ) من زوجه فاطمة بنت سعد وهي يمانية من أزد شنوءة ( ابن مرّة ) من زوجه هند بنت سريز من بني فهر بن مالك ( ابن كعب ) من زوجه وحشية بنت شيبان من بني فهر أيضاً ( ابن لؤى ) من زوجه أم كعب مارية بنت كعب من قضاة ( ابن غالب ) من زوجه أم لؤى سلمى بنت عمرو الخزاعية ( ابن فهر ) من زوجه أم غالب ليلى بنت سعد من هذيل ، وفهر هو

(١) من بني مخزوم بن يقظة بن مرة من قريش

(٢) من بني النجار من الخزرج والخزرج إحدى القبيلتين اللتين كانتا تقيمان بالمدينة وهما الأوس والخزرج وهما اخوان ، وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا انصارا

(٣) من بني سليم بن منصور إحدى قبائل قيس عيلان بن مضر .

(٤) من بني خزاعة بن عمرو إحدى قبائل قعدة بن الياس بن مضر وهم الذين كانوا يتولون البيت قبل قريش .

قريش — في قول الأكثرين — وكانت قريش اثنتي عشر قبيلة : بنو عبد مناف  
 وبنو عبد الدار بن قصي ، وبنو أسد بن عبد العزي بن قصي ، وبنو زهرة  
 ابن كلاب ، وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة . وبنو تيم بن مرة ، وبنو  
 عدى بن كعب ، وبنو سهم بن هصيص بن عمرو بن كعب ، وبنو عامر  
 بن لؤي ، وبنو تيم بن غالب وبنو الحارث بن فهر ، وبنو محارب بن فهر .  
 والمقيمون منهم بمكة يسمون قريش البطاح والذين بضواحيها قريش الظواهر  
 ( ابن مالك ) من زوجه جندلة بنت الحرب من جرهم ( ابن النضر ) من زوجه  
 عاتكة بنت عدوان من قيس عيلان ( ابن كنانة ) من زوجه برة بنت مر بن  
 إاد ( ابن خزيمة ) من زوجه عوانة بنت سعد من قيس عيلان ( ابن مدركة )  
 من زوجه سلمى بنت أسلم من قضاة ( ابن الياس ) من زوجه خندف  
 المضروب بها المثل في الشرف والمنعة ( ابن مضر ) من زوجه الرباب بنت  
 جندة بن معد ( ابن زار ) من زوجه سودة بنت عك ( ابن معد ) من  
 زوجه معانة بنت جوشم عن جرهم ( ابن عدنان ) .

هذا هو النسب المتفق على صحته من علماء التاريخ والمحدثين ؛ أما  
 النسب فوق ذلك فلا يصح فيه طريق . غاية الامر أنهم أجمعوا على أن نسب  
 الرسول صلى الله عليه وسلم ينتهي الى اسماعيل بن ابراهيم أبي العرب المستعربة .  
 نسب شريف كما ترى : آباء طاهرون وأمّهات طاهرات ، لم يزل عليه السلام ينتقل  
 من اصلاب أولئك الى أرحام هؤلاء حتى اختاره الله هادياً مهدياً من أوسط  
 العرب نسباً فهو من صميم قريش التي لها القدم الأولى في الشرف وعلو المكانة  
 بين العرب ولا تجد في سلسلة آبائه إلا كراما ليس فيهم مسترذل بل كلهم  
 سادة قادة ، وكذلك أمّهات آبائه من ارفع قبائلهن شأناً ولا شك ان شرف  
 النسب وطهارة المولد من شروط النبوة وكل اجتماع بين آبائه وأمّهاته كان  
 شرعياً بحسب الأصول العربية ولم يتل نسبة شيء من ( ١ ) سفاح الجاهلية بل  
 طهره الله من ذلك والحمد لله

( ١ ) اي زنا لذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت من نكاح لا من سفاح .  
 وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني  
 الا نكاح الاسلام ( ش ) .

## زواج عبد الله بآمنة وصحلهما

كان عبدالله بن عبد المطلب من أحب ولد أبيه إليه فزوجه آمنة ، بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وسنه ثمانى عشرة سنة وهي يومئذ من أفضل نساء قريش نسباً وموضعاً ، ولما دخل عليها حملت برسول الله ﷺ ولم يلبث أبوه أن توفي بعد الحمل بشهرين ودفن بالمدينة عند أخواله بني عدى بن النجار . فإنه كان ذهب بتجارة الى الشام فأدرسته منيته بالمدينة وهو راجع ، ولما تمت مدة حمل آمنة وضعت ولدها فاستبشر العالم بهذا المولود الكريم الذي بث في أرجائه روح الآداب وتمم مكارم الأخلاق ، وقد حقق المرحوم محمود باشا الفلكي أن ذلك كان صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع الأول الموافق لليوم العشرين من أبريل سنة ٥٧١ من الميلاد وهو يوافق السنة الأولى من حادثة الفيل (١) . وكانت ولادته في دار أبي طالب بشعب بني هاشم وكانت قابله الشفاء أم عبدالرحمن بن عوف ، ولما ولد أرسلت أمه لجدته تبشره فأقبل مسروراً وسماه محمداً ولم يكن هذا الاسم شائعاً قبل عند العرب ولكن أراد الله أن يحقق ما قدره وذكره في الكتب التي جاءت بها الأنبياء كالتوراة والانجيل فألهم جده أن يسميه بذلك إنفاذاً لأمره ، وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية أمة أبيه عبدالله وأول من أرضعه ثوية أمة عمه أبي لهب .

## الرضاع

وكان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم في البوادي ليكون أنجب للولد : وكانوا يقولون إن المربي في المدن يكون كليل الذهن فاتر العزيمة فجاءت نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن أطفالاً يرضعهم فكان الرضيع المحمود من نصيب حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية ، واسم زوجها أبو كبشة

(١) حادثة شهيرة حصلت بمكة فأرخت بها العرب كعادتهم ثم وكل أمة في التاريخ بالامور المهمة . وقد ذكر القرآن هذه الحادثة في سورة الفيل ، وحاصلها ان ملكاً من ملوك الحبشة الذين امتلكوا اليمن بعد حمير أغار علي مكة وقصد هدم كعبتها وكان معه فيل عظيم لم يكن العرب رأوا مثله فاكراماً للنبي المنتظر وغيره على بيته الكريم جعل الله كيد الاعداء في تضليل وارسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بججارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كول واراخ قريش من عناء مقاومتهم اه

وهو الذي كانت قريش تنسب له الرسول ﷺ حينما يريدون الاستهزاء به فيقولون : هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء . ودرت البركات على أهل ذلك البيت الذين أرضعوه مدة وجوده بينهم وكانت تربو عن أربع سنوات (١)

### حادثة شق الصدر

وحصل له وهو بينهم حادثة مهمة وهي شق صدره وإخراج حظ الشيطان منه فأحدث ذلك عند حليلة خوفاً فردته الى أمه وحدثها قائلة بينا هو وإخوته في (٢) بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتى أخوه يعدو فقال لي ولأبيه : ذلك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليها ثياب بيض فأضجعا فشقنا بطنه فيها يسوطانه (٣) فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه منتقماً لونه (٤) فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له : مالك يا بني ؟ فقال جاءني رجلان عليها ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال نعم . فأقبلا بيتراني فأضجعاني فشقنا بطني فالتمسافيه شيئاً فأخذه وطرحاه ولا أدري ما هو .

### وفاة آمنه وكفالة عبد المطلب ووفاته وكفالة أبي طالب

ثم إن أمه أخذته منها وتوجهت به الى المدينة لزيارة أخوال أبيه بني عدي ابن النجار وبينما هي عائدة أدركتها منيتها في الطريق فماتت بالأبواء (٥) فحضنته أم أمين وكفله جده عبد المطلب ورق له رقة لم تعهد له في ولده لما كان يظهر عليه مما يدل على أن له شأنًا عظيمًا في المستقبل وكان يكسره غاية الأكرام ولكن لم يلبث عبد المطلب أن توفي بعد ثماني سنوات من عمر الرسول صلى الله

- 
- (١) السيرة الحلبية (٢) اليهام جمع بهم واليهام جمع بهمة وهو ولد الضأن ذكراً كان أو أنثى والسخال أولاد المعز فإذا اجتمعت اليهام والسخال قيل لهما جميعاً بهم وبهم أيضاً اه المختار من صحاح اللغة ص ٩٤ اي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يرعى غنما مع اخ له في الرضاعة تهذيب السيرة ١٤٤ (٣) محررانه السوط : قال صاحب الانوار الحمدي : ثم أدخل يده في جوفي واخرج قلبي فاهتلاً نوراً وذلك نور النبوة واما الحكمة في ذلك في شق صدره في حل صباه واستخراج العلقه منه تطهيره عن حالات حتى يتصف في سن الصبا بأوصاف الرجولية . (٤) شبيها بالنقع وهو التراب . (٥) قرية بين مكة والمدينة وهي اقرب الى المدينة

عليه وسلم فكفله شقيق ابيه أبو طالب فكان له رحماً وعليه غيوراً وكان أبو طالب مقلاً من المال فبارك الله له في قليله ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في مدة كفالة عمه مثال القناعة والبعد عن السفاسف التي يشتغل بها الاطفال عادة كما روت ذلك أم أيمن حاضنته فكان إذا أقبل وقت الأكل جاء الأولاد يحتطفون وهو قانع بما سيسره الله له .

## السفر الى الشام

ولما بلغت سنه عليه السلام اثنتي عشرة سنة أراد عمه وكفيله السفر بتجارة الى الشام فاستعظم الرسول صلى الله عليه وسلم فراقه فرقاً له وأخذ معه ، وهذه هي الرحلة الأولى ولم يكتبوا فيها إلا قليلاً وقد أشرف على رجال القافلة وهم بقرب بصرى (١) بحيرا الراهب فسألهم عما رآه في كتبهم المقدسة من بعثة نبي من العرب في هذا الزمن فقالوا إنه لم يظهر الآن وهذه العبارة كثيراً ما كان يلجج بها أهل الكتاب من يهود ونصارى قبل بعثة الرسول ( فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ) (٢)

## حرب الفجار

ولما بلغت سنه عليه السلام عشرين سنة حضر حرب الفجار وهي حرب كانت بين كنانة ومعها قريش وبين قيس . وسببها أنه كان للنعمان ابن المنذر ملك العرب بالحيرة (٣) تجارة يرسلها كل عام الى سوق عكاظ (٤) لتباع له وكان يرسلها

(١) قرية على الحدود بين بلاد الشام وبلاد العرب

(٢) سورة البقرة .

(٣) بلدة غرب الفرات كان يقيم بها ملك العرب من قبل ملوك فارس ، فتحها خالد بن الوليد في السنة الثانية عشرة ( راجع اتمام الوفاء )

(٤) سوق كانت تعقدها العرب كل عام لتعرض فيها تجارتها وما فله فصحاؤها من قصائد الفخر وما اشبه ذلك من مفاخر العرب ، وهي اشبه في ذلك بمعارض اوربا الان .



في أمان رجل ذي منعة وشرف في قومه ليحيزها فجلس يوما وعنده البراض بن قيس الكناني وكان فاتكا خليعا خلعه قومه لكثرة شره وعروة بن عتبة الرحال فقال : من يحيز لي تجارتي هذه حتى يبلغها عكاظ ؟ فقال البراض . أنا أجيزها على بني كنانة ، فقال النعمان : إنما أريد من يحيزها على الناس كلهم ؟ فقال : عروة أبيت اللعن (١) أكلب خليع يحيزها لك ؟ أنا أجيزها على أهل الشيح والقيصوم من أهل نجد (٢) وتهامة (٣) فقال البراض : أو تحيزها على كنانة يا عروة ؟ قال وعلى الناس كلهم فأسرّها في نفسه وتربص له حتى اذا خرج بالتجارة قتله غدراً ثم أرسلوا رسولا يخبر قومه كنانة بالخبر ويحذرهم قيسا قوم عروة . وأما قيس فلم تلبث بعد أن بلغها الخبر أن همت لتدرك ثأرها حتى ادركوا قريشاً وكنانة بنخلة (٤) فاقتلوا ولما اشتد البأس وحمت قيس احتمت قريش بجرمها وكان فيهم رسول الله . ثم إن قيساً قالوا لخصومهم ؛ إنا لا نترك دم عروة فموعدنا عكاظ العام المقبل وانصرفوا الى بلادهم يحرض بعضهم بعضاً . فلما حال الحول جمعت قيس جموعها وكانت معها ثقيف وغيرها وجمعت قريش جموعها من كنانة والأحابيش وهم حلفاء قريش وكان رئيس بني هاشم الزبير ابن عبدالمطلب ومعه إخوته أبو طالب وحزمة والعباس وابن أخيه النبي الكريم ، وكان على بني أمية حرب بن أمية وله القيادة العامة لمكانه في قريش شرفاً وسناً . وهكذا كان على كل بطن من بطون قريش رئيس ثم تناجزوا الحرب فكان يوماً من أشد أيام العرب هولاً ، ولما استحل فيه من حرمت مكة التي كانت مقدسة عند العرب سمي يوم الفجار . وكادت الدائرة تدور على قيس حتى انهزم بعض قبائلها ولكن ادركهم من دعا المتحاربين للصالح على أن يحصوا قتلى الفريقين فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد فكانت لقيس زيادة أخذوا ديتها من قريش وتعهد بها حرب بن أمية ورهن لسدادها ولده أبا

(١) تحية عربية ومعناها باعدت كل ما استحق المذمة .

(٢) هو المرتفع من بلاد العرب وهو وسطها (٣) هو ما انخفض من سواحل البلاد العربية والشرقي منها يسمى البحرين والفاصل بين نجد وتهامة الحجاز في الغرب واليامة في الشرق (٤) موضع بين مكة والطائف .

مفينا . وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيراً ما تشبه حروب العرب تبدوها  
صغيرات الأمور حتى الف الله بين قلوبهم وأزاح عنهم هذه الضلالات بانتشار  
نور الاسلام بينهم .

### حلف الفضول

وعند رجوع قريش من حرب الفجار تداعوا لحلف الفضول قم في دار  
عبدالله بن جدعان التميمي أحد رؤساء قريش وكان المتحالفون بني هاشم وبني  
المطلب ابني عبد مناف وابني أسد بن عبد العزي وابني زهرة بن كلاب وابني  
تيم بن مرة تحالفوا وتعاقدوا ألا يجذوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من  
سائر الناس إلا قاموا معه حتى ترد اليه مظلمته . وقد حضر هذا الحلف رسول  
الله عليه السلام مع أعمامه وقال بعد أن شرفه الله بالرسالة : ، لقد شهدت مع  
عمومتي حلف في دار عبدالله بن جدعان ما أحب لي به حمراً التعم (١) ولو  
دعيت به في الاسلام لأجبت « وذلك لأنه عليه السلام مبعوث بمكارم الاخلاق  
وهذا منها وقد أقر دين الاسلام كثيراً منها ، يرشدك الى هذا قوله عليه  
السلام : « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » وقد دعا بهذا الحلف كثيرون فأنصفوا .

### رحلته الى الشام للمرة الثانية

ولما بلغت سنه عليه السلام خمساً وعشرين سنة سافر الى الشام المرة  
الثانية ، وذلك أن خديجة بنت خويلد الأمسية (٢) كانت سيدة تاجرة ذات شرف  
ومال تستأجر الرجال في ناطها وتضاربهم إياه ؛ فلما سمعت عن السيد (٣) من

(١) الشيء النفيس من الحيوانات وهي الابل . كما قال صلي الله عليه وسلم والله لان يهدي بهداك  
رجل واحد خير لك من حمر النعم اخرجها ابو داود

(٢) من بني اسد بن عبد العزي بن قصي

(٣) الرسول صلي الله عليه وسلم .

الأمانة وصدق الحديث ما لم تعرفه في غيره حتى سماه قومه الامين استأجرته ليخرج في مالها الى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره ، فسافر مع غلامها ميسرة فباعا وابتاعا (١) وربحاً وربحاً عظيماً وظهر للسيد الكريم في هذه السفرة من البركات ما حبيه في قلب ميسرة غلام خديجة (٢) .

### زواجه خديجة

فلما قدما (٣) مكة ورأت خديجة ربها العظيم سرت من الامين عليه السلام وأرسلت الية تخطبه لنفسها وكانت سنها نحو الاربعين وهي من أوسط قريش حسباً وأوسعهم مالاً ؛ فقام الامين عليه السلام مع أعمامه حتى دخل على عمها عمرو بن أسد فخطبها منه بواسطة عمه أبي طالب فزوجها عمها . وقد خطب أبو طالب في هذا اليوم فقال : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضي (٤) معدّ وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوأس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا حكام الناس ، ثم إن ابن اخي هذا محمد بن عبدالله لا يوزن به رجلاً شرفاً ونبلاً وفضلاً ، وإن كان في المال قلّ فإن المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مستردة ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كريمكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ( كذا ) وعلى ذلك تم الامر . وقد كانت متزوجة قبله بأبي هالة توفي عنها وله منها ولد اسمه هالة وهو ربيب المصطفى عليه السلام .

(١) باعا التجارة واشترا غيرها .

(٢) حدثها ميسرة عن قول الراهب وعمما كان يرى من اظلال المالكين إياه وكانت خديجة امرأة حازمة لبيبة شريفة مع ما اراد الله بها من كرامة فلما اخبرها ميسرة بما اخبرها به بعثت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك وشرفك في قومك وكانت خديجة يومئذ اوسط نساء قريش نسباً واعظمن شرفاً واكثرهن مالاً كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه جا ص ٤٨ باختصار . تهذيب السيرة

(٣) اي الرسول صلى الله عليه وسلم وميسرة .

(٤) اصل من ضئضي هذا ؛ اي من اصله او معدنه او نسله تفسير غريب الحديث ص ١٤٨

## بناء البيت

ولما بلغت سنه عليه السلام خمساً وثلاثين سنة جاء سيل جارف فصعد  
جدران الكعبة بعد توهينها من حريق كان اصابها قبل فأرادت قريش هدمها  
ليرفعوها ويسقفوها فانها كانت رضية (١) فوق القمامة فاجتمعت قبائلهم  
لذلك ولكنهم هابوا هدمها لمكانها في قلوبهم . فقال لهم الوليد بن المغيرة  
أتريدون بهدمها الاصلاح أم الاساءة ؟ قالوا : بل الاصلاح ، قال إن الله لا يهلك  
المصلحين ، وشرع يهدم فنبعوه وهدموا حتى وصلوا إلى اساس اسماعيل وهناك  
وجدوا صحافاً نقش فيها كثير من الحكم على عادة من يضعون أساس بناء شهير  
ليكون تذكرة للمتأخرين بعمل المتقدمين . ثم ابتدأوا في البناء وأعدوا لذلك  
نفقة ليس فيها مهر بغي ولا بيع ربا وجعل الاشراف من قريش يحملون  
الحجارة على أعناقهم وكان العباس ورسول الله فيمن يحمل ، وكان الذي يلي البناء  
نجار رومي اسمه باقوم ، وقد خصص لكل ركن جماعة من العطاء ينقلون  
اليه الحجارة وقد ضاقت بهم النفقة الطيبة عن اتمامه على قواعد اسماعيل فأخرجوا  
منها الحجر وبنوا عليه جداراً قصيراً علامة أنه من الكعبة . ولما تم البناء ثمانين  
عشر ذراعاً بحيث زيد فيه عن أصله تسع أذرع ورفع الباب عن الأرض بحيث  
لا يصعد اليه إلا بدرج أرادوا وضع الحجر الاسود موضعه فاختلف أشرافهم  
فيمن يضعه ، وتنافسوا في ذلك حتى كادت تشب بينهم نار الحرب ودام بينهم  
هذا الخصام أربع ليال ، وكان أسن رجل في قريش إذ ذاك أبو امية بن  
المغيرة المخزومي عم خالد بن الوليد فقال لهم : يا قوم لا تختلفوا وحكموا بينكم  
من ترضون بحكمه . فقالوا : نكل الأمر لأول داخل ، فكان هذا  
الداخل هو الامين المأمون عليه الصلاة والسلام فاطمأن الجميع له لما يعهدونه  
فيه من الامانة وصدق الحديث وقالوا : هذا الامين رضينا ، هذا محمد لانهم

(١) بناء رضيع مبني بالصخر اه من اساس البلاغة

كانوا يتحاكمون اليه إذ كان لا يداري ولا يبي . فلما أخبروه الخبر بسط رداءه وقال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم وضع فيه الحجر وأمرهم برفعه حتى انتهوا الى موضعه فأخذوه ووضعوه فيه . وهكذا انتهت هذه المشكلة التي كثيرا ما يكون أمثالها سببا في انتشار حروب هائلة بين العرب لولا أن عين الله عليهم بعامل مثل أبي أمية يرشدهم الى الخير وحكيم مثل الرسول صلى الله عليه وسلم يقضي بينهم بما يرضى جميعهم ، ولا يستغرب من قريش تنافسهم هذا لان البيت قبلة العرب وكعبتهم التي يحجون اليها فكل عمل فيه عظيم به الفخر والسيادة وهو أول بيت وضع للعبادة بشهادة القرآن الكريم قال تعالى في سورة آل عمران ( إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ) وكان بلي أمره بعد ولد اسماعيل قبيلة جرهم فلما بغوا وظلموا من دخل مكة اجتمعت عليهم خزاعة وأجلوهم عن البيت ووليته خزاعة حيناً من الدهر ثم أخذته منهم قريش في عهد قصي بن كلاب وبسببه أمنوا في بلادهم فكانت قبائل العرب تهاجمهم . وإذا احتموا به كان حصناً أميناً من اعتداء العادين ، وامتن الله عليهم بذلك في تنزيله فقال في سورة العنكبوت ( أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ )

### صبيته عليه السلام قبل البعثة

لم يرث عليه السلام من والده شيئاً ؛ بل ولد يتيماً عائلاً فاسترضع في بني سعد ؛ ولما بلغ مبلغاً يمكنه أن يعمل عملاً كان يرعى الغنم مع إخوته من الرضاع في البادية ، وكذلك لما رجع الى مكة كان يرعاها لأهلها على (١) قراريط كما ذكر ذلك البخاري في صحيحه . ووجود الانبياء في حال التجرد عن الدنيا

«١» ما بعث الله نبياً الا رعى الغنم فقال اصحابه وانت قال نعم كنت ارعاها على قراريط لاهل مكة رواه البخاري عن ابي هريرة ورواه ابن ماجه .

قراريط : قيل هو اسم موضع وقيل جمع قيراط احد اجزاء الدينار هداية الباري ٢ - ١٧١

ومشاغلها أمر لا بد منه لأنهم لو وجدوا أغنياء لألهتهم الدنيا وشغلوا بها عن السعادة الأبدية ؛ ولذلك ترى جميع الشرائع الالهية متفقة على استحسان الزهد فيها والتباعد عنها ، وحال الانبياء السابقين أعظم شاهد على ذلك فكان عيسى عليه السلام أزهد الناس في الدنيا وكذلك كان موسى و ابراهيم . وكانت حالتهم في صغرهم ليست سمعة بل كلهم سواء تلك حكمة بالغة أظهرها الله على أنبيائه ليكونوا نموذجاً لتبعيةهم في الامتناع عن التكالب على الدنيا والتهافت عليها وذلك سبب البلايا والمحن . وكذلك رعاية الغنم ، فما من نبي إلا رعاها كما أخبر عن ذلك الصادق المصدوق في حديث للبخاري ، وهذه أيضاً من بالغ الحكيم فان الانسان إذا استرعى الغنم وهي أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللاطف تعطفها ، فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان لما هذب أولاً من الحدثة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون في أعدل الاحوال . ولما شب عليه السلام كان يتجر ، وكان شريكه السائب بن أبي السائب وذهب بالتجارة لخديجة ، رضي الله عنها ، الى الشام على (١) جعل يأخذه . ولما شرفت خديجة بزواجه وكانت ذات يسار عمل في مالها وكان يأكل من نتيجة عمله . وحقق الله ما امتن عليه به في سورة الضحى بقوله جل ذكره ( أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى \* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ) بالايواء والاغناء قبل النبوة والهداية بالنبوة ، هداة للكتاب والايمان ودين ابراهيم عليه السلام ولم يكن يدري ذلك قبل . قال تعالى في سورة الشورى : ( وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ) .

### سيرته في قوم قبل البعثة

كان عليه السلام أحسن قومه خلقاً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم أمانةً وأبعدهم عن الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال ، حتى كان أفضل قومه

(١) ما جعل للانسان من شيء على فعل . اه مختار الصحاح ص ١٢٠

مروءة ، وأكرمهم مخالطة ، وخيرهم جواراً ، وأعظمهم حملاً ، وأصدقهم حديثاً  
 فسموه الأمين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة الحميدة ، والفعال السديده من  
 الحلم ، والصبر ، والشكر ، والعدل ، والتواضع ، والعفة ، والجود ، والشجاعة ، والحياء .  
 حتى شهد له بذلك ألد أعدائه النضر بن الحارث من بني عبدالدار حيث يقول :  
 قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى  
 إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلمت : ساحر ! لا والله ما هو  
 بساحر ، قال ذلك في معرض الاتفاق على ما يقولونه للعرب الذين يحضرون  
 الموسم حتى يكونوا متفقين على قول مقبول يقولونه . ولما سأل هرقل ملك الروم  
 أبا سفيان قائلاً : هل كنتم تتهمون به بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا ،  
 فقال هرقل : ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله . ورد ذلك في  
 أول صحيح البخاري وقد حفظه الله في صغره من كل أعمال الجاهلية التي جاء  
 شرعه الشريف بضعها (١) وبغضت إليه الاوثان بغضاً شديداً حتى ما كان يحضر  
 لها احتفالاً أو عيداً مما يقوم به عيادها . وقال عليه السلام : « لما نشأت  
 بغضت إليّ الاوثان وبغض إليّ الشعر ولم أهمّ بشيء مما كانت تفعله الجاهلية إلا  
 مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك . ثم ما هممت بسوء  
 بعدها حتى أكرمني الله برسالته . قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو أبصرت  
 لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر كما يسمر الشباب ، فخرجت لذلك حتى جئت  
 أول دار من مكة أسمع عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست لذلك  
 فضرب الله على أذنيّ فنمت فما أيقظني إلا مسّ الشمس ولم أقض شيئاً ثم عراني  
 مرة أخرى مثل ذلك » . وكان عليه السلام لا يأكل ما ذبح على النصب (٢)  
 وحرّم شرب الخمر على نفسه مع شيوعه في قومه شيوعاً عظيماً ، وذلك كله  
 من الصفات التي يحلي الله بها انبياءه ليكونوا على تمام الاستعداد لتلقي وجبه ،  
 فهم معصومون من الادناس قبل النبوة وبعدها : أمّا قبل النبوة فليتأهلوا

(١) الشفاء للقاظمي عياض (٢) هي حجارة تنصب وتصب عليها دماء الذبائح وتعبد .

للأمر العظيم الذي سيسند اليهم ، وأما بعدها فليكونوا قدوة لأمتهم . عليهم من الله أفضل الصلوات وأتم التسليمات .

### ما أكرم الله به قبل النبوة

أول منحة من الله ما حصل من البركات على آل حليلة الذين كان مسترضعاً فيهم ، فقد كانوا قبل حلوله بناديهم (١) مجددين فلما صار بينهم صارت غنياهم تؤوب من مرعاها وإن أضرعها لتسيل لبناً ويرحم الله البوصيري حيث يقول في همزيته :

وإذا سخر الاله أناساً لسعيد فانهم سعداء

ثم أعقب ذلك ما حصل من شق صدره وإخراج حظ الشيطان منه (٢) وليس هذا بالعجيب على قدرة الله تعالى ، فمن استبعد ذلك كان قليل النظر لا يعرف من قوة الله شيئاً لأن خرق العادات للأنبياء ليس بالأمر المستحدث ولا المستغرب . ومن المكرمات الالهية تسخير الغمامة له في سفره الى الشام حتى كانت تظله في اليوم الصائف لا يشترك معه أحد في القافلة كما روى ذلك ميسرة غلام خديجة الذي كان مشاركاً له في سفره وهذا ما حببه الى خديجة حتى خطبته لنفسها وتيقنت أن له في المستقبل شأناً . ولذلك لما جاءت النبوة كانت أسرع الناس إيماناً به ولم تنتظر آية اخرى زيادة على ما علمته من مكارم الاخلاق وما سمعته من خوارق العادات . ومن منن الله عليه ما كان يسمعه من السلام عليه من الاحجار والاشجار (٣) فكان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى يبناء ويفضي الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر إلا سمع : الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ، وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا

« ١ » الجذب ضد الخصب لتربة الارض مختار الصحاح ص ٧٨

« ٢ » اي من قلبه

« ٣ » السيرة الحلبية .



يرى أحداً وقد حدث بذلك عن نفسه . وليس في ذلك كبير إشكال فقد سخر الله الجمادات للأنبياء قبله ؛ فعصا موسى التقت ما صنع سحرة فرعون بعد أن تحولت حية تسعى ثم رجعت كما كانت ولما ضرب بها الحجر نبع منه الماء اثنتي عشرة عينا ، لكل سبط من أسباط بني إسرائيل عين . وكذلك غيره من الانبياء سخر الله لهم ما شاء من انواع الجمادات لتدل العقلاء على عظيم قدرهم وخطارة شأنهم .

### تفسير التوراة - (١)

انزل الله التوراة على موسى محتوية على الشرائع التي تناسب أهل ذلك الزمن ونفوه فيها بذكر كثير من الانبياء الذين علم الله أنه سيرسلهم ، فما جاء فيها تبشيراً برسولنا الكريم خطاباً لسيدنا موسى عليه السلام (٢) (وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوتهم وأجعل كلامي في فمهم ويكلمهم بكل شيء أمره به ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا الذي أنتقم منه ، فأما النبي الذي يجترىء عليّ بالكبرياء ويتكلم باسمي بما لم أمره به أو باسم آلهة أخرى فليقتل : وإذا أحببت أن تميز بين النبي الصادق والكاذب فهذه علامتك أن ما قاله النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ولذلك لا تحشاه ) . ويقول اليهود إن هذه البشارة ليوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام مع أنهم كانوا ينتظرون في مدة المسيح نبياً آخر غير المسيح فانهم (٣)

(١) إن الله سبحانه وتعالى جعل الانبياء بين خلقه لانهم هم الوسط البرزخي في بين الخلق والخالق فلذا أرسل الله سبحانه وتعالى أنبيائه بحسب الازمنة التي عاشوا فيها . فأرسل موسى لان قومه كانوا يتقنون السخر وارسل عيسى لان في زمنه كان منتشرأ الطب بجميع حذافيره وارسل محمداً صلى الله عليه وسلم للعرب لانهم كانوا في غاية الفصاحة والبلاغة لذا كان القرآن هو المعجزة الكبرى . هـ الشارح ش

(٢) الاصحاح الثامن : سفر التثية .

(٣) الاصحاح الاول من إنجيل يوحنا

أرسلوا ليوحنا المعمدان ( يحيى ) يسألونه عن نفسه فقالوا له أنت إيليا ؟ فقال لا فقالوا أنت المسيح فقال لا فقالوا أنت النبي فقال لا فقالوا ما بالك إذا تعمد إذا كنت لست إيليا ولا المسيح ولا النبي فهذه تدل على أن التوراة تبشر بإيليا والمسيح ونبي لم يأت حتى زمن المسيح ، ثم إن التوراة تقول في صفة النبي إنه مثل موسى وقد نصت في آخر سفر التثنية على أنه لم يـقـم في بني إسرائيل نبي مثل موسى وورد في هذه البشارة أن النبي الذي يفترى على الله يقتل ويشبه ذلك في القرآن قوله تعالى في سورة الحاقة ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقْوَالِ لِأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ (١) وبنينا صلي الله عليه وسلم مكث بين أعدائه الألداء من مشركين ويهود ثلاثا وعشرين سنة يدعوهم فيها إلى الله ، ومع ذلك عصمه الله منهم وانزل عليه تطميناً لحاظه في سورة المائدة ﴿ وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ أكان يعجز الله ، وهو القادر على كل شيء ، أن يعاقب من ينسب إليه ما لم يقله وهو الذي قال في سورة الشوري ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افترى على الله كذباً فإنا يشاء الله يحتم على قلبك ويمحو الله الباطل ويحقق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور ﴾ وقد أخبرتنا هذه البشارة عن العلامة التي نعرف بها صدق النبي من كذبه وهي الاخبار بما سيأتي وقد أخبر النبي عليه السلام عن أشياء كثيرة فحدثت كما أخبر عنها . ومنها ما لا ينفع معه الحدس والتخمين كالاخبار بأن الروم سينغلبون بعد أن قهرهم الفرس قهراً شديداً حتى كادوا يحتلون القسطنطينية عاصمة ملكهم ، فالأخبار إذاً بأن الروم سيردّون ما فقد منهم بعد بضع سنين لا يكون إلا من عند الله ، ولذلك استغربه جدا بعض المشركين من قريش وراهن على ذلك أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد حقق الله الخبر فاستحق الصديق الرهن . وهذا قليل من كثير سيأتيك تفصيله إن شاء الله تعالى .

---

« ١ » عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه

وروى القاضي عياض في الشفاء أن عطاء بن يسار سأل عبدالله بن عمرو ابن العاص عن صفة رسول الله عليه السلام فقال : أجل ! والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ . « وحرزاً للأمين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب (١) في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عمياً وآذانا صماً وقلوباً غلفاً » .

وروى مثله عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه وهو الذي كان رئيس اليهود فلم تعمه الرياسة حتى يترك الدين القويم وكذلك كعب الاحبار وفي بعض طرق الحديث : ولا صخب في الأسواق ولا قول للخنا ، أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه ، والبرق شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة مقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والاسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وارفع به بعد الخمالة ، وأسمى به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وأمم متفرقة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس . وقد أخبر عليه السلام عن صفة في التوراة فقال وهو الصادق الأمين : عبدي أحمد المختار امولده مكة ومهاجره بالمدينة — أو قال طيبة — وأمته الحمادون الله على كل حل

### تفسير الانجيل

بشر عيسى عليه السلام قومه في الانجيل بالفار قليط ومعناه قريب (٢) من

(١) شديد الصوت

(٢) ولفظ محمد : بالسريانية : اكتنحنا وبالرومية : اكبر قليطس ا.ه.طص / ٥٧ / تهذيب السيرة / ش /

محمد أو أحمد ويصدق في القرآن قول الله تعالى في سورة الصف ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ وقد وصف المسيح هذا القار قليط بأوصاف لا تنطبق إلا على نبينا فقال إنه يوبخ العالم على خطيئته وأنه يعلمهم جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ، وهذا ما ورد في القرآن الكريم في سورة النجم ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ وقد ورد في انجيل برنابا الذي ظهر منذ زمن قريب وأخفته حجب (١) الجهالة : ذكر اسم الرسول عليه السلام صراحة .

### حركة الإفطار قبل البعثة

وهذا سهل لك فهم الحركة العظيمة من الاحبار والرهبان قبيل البعثة فكان اليهود يستفتحون على عرب المدينة برسول منتظر . فقد حدث عاصم ابن عمرو بن قتادة عن رجال قومه قالوا : إنما دعانا للاسلام مع رحمة الله تعالى لنا ما كنا نسمع من احبار يهود ، كنا أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الان تقتلكم معه قتل عاد وإرم . فكثيراً ما نسمع ذلك منهم . فلما بعث الله رسوله محمداً أجبننا حين دعانا الى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فأمننا وكفروا ، ( وإنما قال لهم اليهود تقتلكم معه قتل عاد وإرم لأن من صفته عليه السلام في كتبهم أن هذا النبي يستأصل المشركين بالقوة ولم يكونوا يظنون أن الحسد والبغي سيتمكنان من أفئدتهم فينبذون الدين القيم فيحرق عليهم العذاب

(١) ترجم إلى العربية وهو الان مطبوع بمصر . سنة ١٩٥٨ وترجمه الدكتور خليل سعاده وقدم له مقدمة علمية محمد رشيد رضا صاحب المنار . ش

في الدنيا والآخرة . وكان أمية بن أبي الصلت المتنصر العربي كثيراً ما يقول :  
اني لأجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا . وحدت سلمان الفارسي رضي  
الله عنه عن نفسه أنه صحب قسيساً فكان يقول له يا سلمان ان الله سوف  
يبعث رسولاً اسمه أحمد يخرج من جبال تهامة علامته أن يأكل الهدية ولا  
ولا يأكل الصدقة ، وهذا الحديث كان من أسباب اسلام سلمان . ولما  
أرسل عليه السلام ملوك الأرض لم يهن كتابه الا كسرى الذي ليس عنده علم  
من الكتاب ، وأما جميع ملوك النصارى كالنجاشي ملك الحبشة ، والقوقس  
ملك مصر ، وقيصر ملك الروم ، فأكرموا وفادة رسوله . ومنهم من آمن  
كالنجاشي ، ومنهم من ردّ رداً لطيفاً وكاد يسلم لولا غلبة الملك كقيصر ،  
ومنهم من هادى كالقوقس . ولم يكن عليه السلام في قوة يهرب بها هؤلاء  
الملوك اللهم ما ذاك الا لأنهم يعلمون أن المسيح عليه السلام بشر برسول يأتي  
من بعده ووافقت صفات رسولنا ما عندهم فأجابوا بالتي هي أحسن ، وأما ما  
سمع من الهواتف والكهات قبيل زمنه فهو مالا يدخل تحت حصر . وليس  
بعد ما ذكرته لك زيادة لمستكثر . ومع ذلك كله فالأعمال التي جاد الله بها على  
يديه والأقوال التي أتانا بها أعظم مقول حجتته ومؤيد لدعوته . وسيأتي عليك  
بيان ذلك كله بأجلى بيان فتأمله ترشد ، هداك الله الى الصراط السوي .

### بدء الوحي

لما بلغ عليه السلام سن الكمال وهي أربعون سنة أرسله الله للعالمين  
بشيراً ونذيراً ليخرجهم من ظلمات الجهالة إلى نور العلم وكان ذلك في أول شباط (فبراير)  
سنة ٦١٠ من الميلاد كما اوضحه المرحوم محمود باشا الفلكي تبين بعد دقة  
البحث أن ذلك كان في ١٧ رمضان سنة ١٣ قبل الهجرة وذلك يوافق تموز  
(يوليو) سنة ٦١٠ وأول ما بدى به الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا  
إلا جاءت مثل فلق الصبح وذلك لما جرت به اعادة الله في خلقه من التدرج  
في الامور كلها حتى تصل إلى درجة الكمال . ومن الصعب جدا على البشر

تلقي الوحي من الملك لأول مرة ، ثم حجب إليه عليه السلام الخلاء ليعتمد عن ظلمات هذا العالم وينقطع عن الخلق إلى الله فان في العزلة صفاء السريرة . وكان يخلو بغار (١) حراء فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد ، فتارة عشرا وتارة اكثر إلى شهر . وكانت عبادته على دين ابيه ابراهيم عليه السلام ويأخذ لذلك زاده ، فاذا فرغ رجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء : فبينما هو قائم في بعض الأيام على الجبل إذ ظهر له شخص وقال : أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله الى هذه الامة . ثم قال له : اقرأ ، قال ما أنا بقاريء فانه عليه السلام أمي لم يتعلم القراءة قبلا . فأخذه فغطه بالنمط الذي كان ينام عليه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقاريء ، فأخذه فغطه ثانية ثم أرسله ، فقال اقرأ . قال : ما أنا بقاريء ، فأخذه فغطه الثالثة ، ثم أرسله فقال : ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فرجع بها عليه السلام يرجف فؤاده مما ألم به من الروع الذي استلزمته مقابلة الملك لأول مرة فدخل على خديجة وزوجه ، فقال : زملوني (٢) زملوني ، لتزول عنه هذه القشعريرة ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ؛ لان الملك غطه حتى كاد يموت ، ولم يكن عليه السلام علم قبل ذلك بجبريل ولا بشكله فقالت : كلا ! والله ما يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتفري الضيف وتعين على نوائب الحق فلا يسلط الله عليك الشياطين والاهام والامراء أن الله اختارك لهداية قومك . ولتأكد مما ظنته أرادت أن تثبت ممن لهم علم بحال الرسل ممن اطلعوا على كتب الاقدمين فانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل ابن عم خديجة ، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء

(١) جبل على مقربة من مكة

(٢) لفوني في ثوبي

الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره عليه السلام خبر ما رأى . فقال له ورقة . هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، لأنه يعرف أن رسول الله إلى أنبيائه هو جبريل ثم قال : يا ليتني فيها جزعا ( شاباً جلدًا ) إذ يخرجك قومك من بلادك التي نشأت بها لمعادتهم إياك وكراهيتهم لك حينما تطالبهم بتغيير اعتقادات وجدوا عليها آباءهم ، فاستغرب عليه السلام ما نسب لقومه مع ما يعلمه من حبههم له لاتصافه بمكارم الاخلاق وصدق القول حتى سموه الامين وقال : أو مخرجي هم ؟ قال : لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي . وقد نطق بذلك القرآن الكريم . قال تعالى في سورة ابراهيم ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ اَرْضِنَا اَوْ لَتَعُوْدَنَّ فِيْ مِلَّتِنَا ﴾ ولتأم تصديق ورقة برسالة الرسول الاكرم عليه السلام قال : وان يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا (معضداً) ثم لم يلبث ورقة أن توفي .

### فترة الوحي

وفتر الوحي (١) مدة لم يتفق عليها المؤرخون ، وأرجح أقوالهم فيها أربعون يوماً ، ليستد شوق الرسول للوحي : وقد كان ، فإن الحال اشتد به عليه السلام حتى صار كلما أتى ذروة جبل بدا له أن يري نفسه منها حذرا من قطيعة الله له بعد أن أراه نعمته الكبرى وهي اختياره لان يكون واسطة بينه وبين خلقه فيتبدي له الملك قائلاً : أنت رسول الله حقاً فيطمئن خاطره ويرجع عما عزم عليه حتى أراد الله ان يظهر للوجود نور الدين فعاد اليه الوحي .

(١) حتى شق عليه ذلك فأحزنه فجاهه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه وهو الذي اكرمه بما اكرمه به اقرأ سورة الضحى تمنهم بماذا اكرمه المولى سبحانه وتعالى .  
فجعل رسول الله صلي الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرّاً إلى من يطمئن اليه من أهله . ا ه باختصار ص ٦٤ تهذيب السيرة

## عود الوصي (١)

فبينما هو يمشي اذ سمع صوتاً من السماء فرفع اليه بصره فاذا الملك الذي جاءه بجراء جالس بين السماء والارض فرعب منه لتذكر ما فعله في المرة الاولى فرجع وقال : دثروني دثروني . فأنزل الله تعالى عليه ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ حذر الناس من عذاب الله ان لم يرجعوا عن غيهم وما كان يعبد آباؤهم ﴿ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴾ خصه بالتعظيم ولا تشرك معه في ذلك غيره ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ لتكون مستعدا للوقوف بين يدي الله اذ لا يليق بالؤمن أن يكون مستقذراً نجساً ﴿ وَالرَّجِزَ فَاهْجُرْ ﴾ أي اهجر أسباب الرجز وهو العذاب بأن تطيع الله وتنفذ أمره ﴿ وَلَا تَمَنَّيْنِمْ تَسْتَكْبِرُ ﴾ ولا تهب أحداً هبة وأنت تطمع أن تستعيض من الموهوب أكثر مما وهبت ، فهذا ليس من شأن الكرام ﴿ وَكَرَّ بَكَ قَا صَبِرْ ﴾ على ما سيلحقك من أذى قومك حينما تدعوهم الى الله .

## الدعوة سرا

فقام عليه السلام بالأمر ودعا لعبادة الله أقواماً جفاة لادين لهم ، الا أن يسجدوا لاصنام لا تنفع ولا تضر ولا حجة لهم الا أنهم متبعون لما كان يعبد آباؤهم وليس عندهم من مكارم الاخلاق الا ما كان مرتبطاً بالغزة والائتفة . وهو الذي كثيراً ما كان سبباً في الغارات والحروب واهراق الدماء فجاءهم

(١) إنما أكثر الخطابات التي تلقاها الرسول صلى الله عليه وسلم من رب العللين ما هي في الحقيقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ما هي الا تنبيه وتشريع وتحذير للائمة المحمدية وذلك في جميع التعاليم الالهية تراها يقصد بها الائمة التي تقتدي بذاك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ومثل ذلك ترى في القرآن الكريم قال تعالى : في سورة الزمر اية ٦٥ ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك ولئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين آية ٦٦ / ش



رسول الله بما لا يعرفونه . فذوو العقول السليمة بادروا الى التصديق وخلع  
 الاوثان ، ومن أعمته الرياسة أدبر واستكبر كيلا تسلب منه عظمته . وكان  
 أول من سطع عليه نور الاسلام خديجة بنت خويلد زوجه ، وعلي بن أبي  
 طالب ابن عمه وكان مقياً عنده يطعمه ويسقيه ويقوم بأمره لأن قريشاً كانوا  
 قد أصابهم مجاعة وكان أبو طالب مقلاً كثير الأولاد ، فقال عليه السلام لعمه العباس  
 ابن عبدالمطلب : ان أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة  
 فانطلق بنا اليه لنخفف من عياله تأخذ واحداً وأنا واحدا فانطلقا وعرضاً عليه  
 الأمر فأخذ العباس جعفر بن أبي طالب وأخذ عليه السلام علياً فكان في كفالته  
 كأحد أولاده الى أن جاءت النبوة وقد ناهز الاحتلام فكان تابعاً للنبي في كل  
 أعماله ولم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة الاوثان واتباع الهوى ، وأجاب  
 أيضاً زيد بن حارثة ابن شريحيل الكلبي مولاه عليه السلام وكان يقال له زيد  
 ابن محمد لأنه لما اشتراه أعتقه وتبناه ، وكان المتبني معتبراً كابن حقيقي يرث  
 ويورث ، وأجابت أيضاً أم أيمن حاضنته التي زوجها لمولاه زيد .

وأول من أجابه من غير أهل بيته أبو بكر بن أبي قحافة بن عامر بن كعب  
 ابن سعد بن تيم بن مرة النيمي القرشي كان صديقاً لرسول الله صلى الله عليه  
 وسلم قبل النبوة يعلم ما اتصف به من مكارم الاخلاق ولم يعهد عليه كذبا  
 منذ اصطحبا فأوّل ما أخبره برسالة الله أسرع بالتصديق وقال : بأبي أنت  
 وأمي ، أهل الصدق أنت ، أشهد أن لا اله الا الله وأنت رسول الله . كان  
 رضي الله عنه صدرأ معظماً في قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق وكان  
 من أعف الناس سخياً يذل المال محبباً في قومه حسن المجالسة ؛ ولذلك كله  
 كان من رسول الله ﷺ بمنزلة الوزير فكان يستشيره في أموره كلها وقال في  
 حقه . ( ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت (١) له كبوة غير أبي بكر ) .

(١) كبا لوجه سقط مختار الصحاح ص ٤٨٣

وكانت الدعوة الى الاسلام سرّاً حذراً من مفاجأة العرب بأمر شديد كهذا  
 فيصعب استسلامهم فكان عليه السلام لا يدعو الا من يثق به . ودعا أبو  
 بكر الى الاسلام من يثق به من رجال قريش فأجابه جمع ( منهم ) عثمان بن  
 عفان بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموي القرشي ، ولما علم عمه  
 الحكم باسلامه أو ثقته كتافاً وقال ترغب عن دين آباءك الى دين مستحدث !!! والله  
 لا أحلك حتى تدع ما أنت عليه ، فقال عثمان : والله لا ادعه ولا افارقه . فلما رأى  
 الحكم صلابته في الحق تركه وكان كهلاً يناهز الثلاثين من عمره . ( ومنهم ) الزبير بن  
 العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي القرشي وأمه صفية بنت عبد المطلب ،  
 وكان عم الزبير يرسل الدخان عليه وهو مقيد ليرجع الى دين آباءه فقواه الله بالثبات  
 وكان شاباً لا يتجاوز سن الاحتلام . ( ومنهم ) عبد الرحمن بن عوف بن عبد  
 عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الهاشمي وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو  
 فسماه عليه السلام عبد الرحمن ( ومنهم ) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب  
 ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري القرشي . ولما علمت امه حمنة  
 بنت أبي سفيان بن أمية باسلامه قالت له يا سعد بلغني أنك قد (١) صبأت !  
 فوالله لا يظلني سقف من الحر والبرد وان الطعام والشراب على حرام حتى  
 تكفر بمحمد ، وبقيت كذلك ثلاثة ايام فجاء سعد الى رسول الله ﷺ وشكا  
 اليه امر أمه فنزل في ذلك تعليماً ، قول الله تعالى في سورة العنكبوت  
 ( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ  
 لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ) وصاه جل  
 ذكره بوالديه وامره بالاحسان اليها مؤمنين كانا أو كافرين اما اذا دعوا للاشراك  
 فالمعصية متحتمة . لان كل حق ، وان عظم ، ساقط هنا فلا طاعة لمخلوق  
 في معصية الخالق (٢) : ثم قال الى مرجعكم من آمن منكم ومن اشرك  
 فأجزئكم حق جزائكم ، وفي ختام هذه الآية فائدتان : التنبيه على ان

(١) صبأ خرج من دين الى دين وبابه خضع وصبا أيضاً والصابئون جنس من أهل الكتاب ا هـ  
 مختار الصحاح ص ٣٠٢ (٢) حديث : رواه الامام احمد في مسنده .

الجزء الى الله فلا تحدث نفسك بجفوتها لاشراكها ، والحض على الثبات في  
 الدين لثلاثين سنة شرًّا جزء في الاخرى ، ( ومنهم ) طلحة بن عبيد الله بن  
 عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي القرشي وقد  
 كان عرف من الرهبان ذكر الرسول وصفته فلما دعاه أبو بكر وسمع من رسول  
 الله ما نفعه الله به ورأى الدين متينا بعيدا عما عليه العرب من المثالب بادر  
 الى الاسلام ( ومن ) سبقوا الى الاسلام صهيب الرومي وكان من الموالى  
 وعمار بن ياسر العنسي وقد قال رضي الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما  
 معه الا خمسة اعدوا وامرأتان وابو بكر ، وكذلك أسلم ابوه ياسر وامه سمية .  
 ( ومن ) السابقين الأولين عبدالله بن مسعود كان يرعى الغنم لبعض مشركي  
 قريش ، فلما رأى الآيات الباهرة وما يدعو اليه عليه السلام من مكارم  
 الاخلاق ترك عبادة الاوثان ولزم رسول الله وكان رضي الله عنه كثير  
 الدخول على الرسول لا يحجب ويمشي امامه ويستتره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام  
 ويلبسه نعليه اذا قام ، فاذا جلس ادخلهما في ذراعيه . ( ومن ) السابقين الأولين  
 ابو ذر الغفاري وكان من اعراب البادية فصيحاً حلو الحديث ولما بلغه مبعث رسول الله  
 قال لآخيه : اركب الى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم انه نبي يأتيه  
 الخبر من السماء واسمع من قوله ثم ائتني ، فانطلق الاخ حتى قدم مكة وسمع من رسول  
 الرسول ثم رجع الى ابي ذر فقال : رأيت ما يأمركم بمكارم الاخلاق ويقول كلاماً ما هو  
 بالشعر ، فقال ما شفيتني مما اردت . فتزوّد وحمل قربة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى  
 المسجد فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه وكره ان يسأل عنه لما يعرفه من كراهة قريش  
 لكل من يخاطب رسول الله ؛ حتى اذا ادركه الليل رآه علي فعرف انه غريب  
 فأضافه عنده ولم يسأل احد منهما صاحبه عن شيء « على قاعدة الضيافة عند  
 العرب لا يسأل الضيف عن سبب قدومه الا بعد ثلاث ) فلما اصبح احتمل  
 قربه وزاده الى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه الرسول حتى امسى فعاد  
 الى مضجعه فمر به علي فقال . اما آن الرجل ان يعرف منزله الذي اضيف به  
 بالأمس ؟ فأقامه فذهب معه لا يسأل واحد منها صاحبه عن شيء . حتى اذا  
 كان اليوم الثالث عاد علي مثل ذلك ثم قال له علي : الا تحدثني ما الذي

اقدمك ؟ قال : ان اعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت ، ففعل فأخبره ، قال :  
 فانه حق وهو رسول الله فاذا اصبحت فاتبعني فاني ان رايت شيئاً اخافه عليك  
 قت كأني اريق الماء فان مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل . فانطلق يتبع  
 اثره حتى دخل على النبي ودخل معه فسمع من قوله واسلم مكانه ، فقال له  
 النبي ارجع الى قومك فأخبرهم حتى يأتيك امري ، قال : والذي نفسي بيده  
 لا صرخن بها بين ظهرانيهم . فخرج حتى اتى المسجد فنادى بأعلى صوته اشهد  
 ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، فقام القوم فضربوه حتى اضعوه  
 واتى العباس فأكب عليه وقال : ويلكم اولستم تعلمون انه من غفار ؟ وان  
 طريق تجارتكم الى الشام عليه ! فأنتقذه منهم . ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه  
 وثاروا اليه فأكب العباس عليه ( رواه البخاري ) . كان رضي الله عنه من  
 اصدق الناس قولاً وازهدهم في الدنيا « ومن » السابقين سعيد بن زيد العدوي  
 القرشي وزوجه فاطمة بنت الخطاب اخت عمر وام الفضل لبابة بنت الحارث  
 الهلالية زوج العباس بن عبدالمطلب ، وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم  
 ابن عم رسول الله ﷺ . وأبو سلمة بن عبدالله بن عبد الأسد المخزومي  
 القرشي ابن عمه رسول الله ﷺ وزوجه أم سلمة ؛ وعثمان بن مظعون الجمحي  
 القرشي وأخوه قدامة وعبدالله ، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي القرشي (ومن)  
 السابقين الأولين خالد بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي .  
 كان أبوه سيد قريش إذا اعتم لم يعتم قرشي إجلالا له ، وكان خالد بن سعيد  
 قد رأى في منامه أنه سيقع في هاوية فأدركه رسول الله وخلصه منها ، فجاء اليه وقال  
 إلام تدعو يا محمد ؟ قال : أدعوك الى عبادة الله وحده لا شريك له . وأن تخلع ما  
 أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع  
 والاحسان الى والديك ، وألا تقتل ولدك خشية الفقر ، وألا تقرب  
 الفاحشة ما ظهر منها وما بطن ، وألا تقتل نفساً حرم الله قتلها إلا بالحق ،  
 وألا تقرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأن توفي  
 الكيل والميزان بالقسط ، وأن تعدل في قولك ولو حكمت على ذوى قرباك ،  
 وأن توفي لمن عاهدت . فأسلم رضي الله عنه وحينئذ غضب عليه أبوه

وآذاه حتى منعه القوت فأنصرف الى رسول الله ﷺ فكان يلزمه ويعيش معه ويعيب عن أبيه في ضواحي مكة . وأسلم بعده أخوه عمرو بن سعيد . وهكذا دخل هؤلاء الأشراف في دين الاسلام ولم يكن مع رسول الله ﷺ سيف يضرب به أعناقهم حتى يطيعوه صاغرين ؛ وليس معه ما يرغب فيه حتى يترك هؤلاء العظماء آباءهم وذوي الثروة منهم ويتبعوا الرسول لياًكلوا من فضل ماله ، بل كان الكثير منهم واسع الثروة أكثر منه عليه السلام كأبي بكر وعثمان وخالد بن سعيد وغيرهم والذين اتبعوه من الموالى اختاروا الأذى والجوع والمشقات مع اتباع الرسول بحيث لو اتبعوا ساداتهم لكانوا في هذه الدنيا أهدأ بالاً وأنعم عيشة ، اللهم ليس ذلك إلا من هداية الله وسطوع أنوار الدين عليهم حتى أدركوا ما هم عليه من الضلالة وما عليه رسول الله من الهدى .

### الجهنم بالتبليغ

مضت كل هذه المدة والنبى عليه السلام لا يظهر الدعوة في مجامع قريش العمومية . ولم يكن المسلمون يتمكنون من اظهار عبادتهم حذراً من تعصب قريش ، فكان كل من أراد العبادة ذهب الى (١) شعاب مكة يصلي مستخفياً . ولما دخل في الدين (٢) ما يربو على الثلاثين وكان من اللازم اجتماع الرسول بهم ليرشدهم ويعلمهم اختار لذلك دار الأرقم بن أبي الأرقم - وهو ممن ذكرنا اسلامهم - ومكث عليه السلام يدعو سراً حتى نزل عليه قوله تعالى في سورة الحجر ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ فبدل الدعوة سراً بالدعوة جهراً ممثلاً أمر ربه واثقاً بوعدده ونصره . فصعد على الصفا فجعل ينادي : يابنى فهر ! يابنى عدى ! ابطن قريش ، فجعل الرجل اذا لم يستطع

(١) الطريق في الجبل مصباح : ص ١٤٣

(٢) بالشيء يربو اذا زاد مصباح ص ١٠٠

أن يخرج أرسل رسولاً لينظر الخبر ، ف جاء أبو لهب بن عبد المطلب وقريشا فقال عليه السلام ، رأيتم لو أخبرتكم أين خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا نعم ماجرنا عليك كذبا . قال ، فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبالك ألهذا جمعنا ؟! فأنزل الله في شأنه ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ \*  
 والقصد من حمل الحطب المشي بالنميمة لانها كانت تقول على رسول الله الاكاذيب في نوادي النساء . ثم نزل عليه في سورة الشعراء ( وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس أولاد عبد مناف ( وَأَخْفِضْ جُنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) فان عصوك ( أي العشيرة والاقربون ) فقد اني بري مما تعملون ) فجمعهم عليه السلام وقال لهم : ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ، والله الذي لا اله الا هو اني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتجسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءاً ، ؛ وانها لجنة ابدأ أو لنار ابدأ . فتكلم القوم كلاما لينا غير عمه أبي لهب الذي كان خصما لدودا فانه قال : خذوا على يديه قبل ان تجتمع عليه العرب فان سلمتوه اذن ذلتن ، وان منعتموه قتلتم . فقال أبو طالب : والله لنمنعه ما بقينا ، ثم انصرف الجمع .

ولما جهر رسول الله عليه الصلاة والسلام بالدعوة سخرت منه قريش وإستهزأوا في مجالسهم ، فكان اذا مر عليهم يقولون : هذا ابن ابي كبشة يكلم من السماء ! وهذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء لا يزيدون على ذلك ، فلما عاب آلهتهم وسفه عقولهم وقال لهم : والله يا قوم لقد خالقتن دين أبيكم ابراهيم ثارت في رؤوسهم حمية الجاهلية غيرة على تلك الآلهة التي كان يعبدونها آباؤهم فذهبوا الى عمه أبي طالب سيد بني هاشم الذي أخذ على نفسه حمايته من ايدي اعدائه فطلبوا منه ان يخلي بينهم وبينه أو يكفه عما يقول : فردهم رداً جميلاً

فانصرفوا عنه ومضى رسول الله لما يريد لا يصدده عن مراده شيء .  
فتزايد الأمر وأضمرت قريش الحقد والعداوة لرسول الله ﷺ وحث بعضهم  
بعضاً على ذلك ، ثم مشوا الى أبي طالب مرة اخرى وقالوا له ان لك سناً  
وشرفاً ومنزلة منا وانا قد طلبنا منك أن تنهي ابن اخيك فلم تنهه عنا وانا والله لانصبر  
على هذا من شتم آبائنا وتسفيه عقولنا وعيب آلهتنا فانهم كانوا اذا احتجوا  
بالتقليد في استمرارهم على عدم اتباع الحق ذمهم لعدم استعمال عقولهم فيما خلقت  
له قال تعالى في سورة البقرة ؛ ( واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا  
بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً  
ولا يهتدون ) وقال في سورة المائدة ( واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله  
والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون  
شيئاً ولا يهتدون ) وقال في سورة لقمان ( واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل  
الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى  
عذاب السعير ) وقال في سورة الزخرف في بيان حججهم الداحضة ( بل قالوا  
اننا وجدنا آباءنا على أمة واننا على آثارهم مهتدون ) . ولما شبههم بمن  
قبلهم من الامم في هذه المقالة الدالة على التعصب والعناد قال . ( قيل أولو  
جئتمكم بأهدى ممّا وجدتم عليه آباءكم قتالوا اننا بما ارسلتم به كافرون )  
قلما تمسكوا بحجة التقليد لآبائهم جر ذلك الى وصف آبائهم بعدم العقل وعدم  
الهداية فهاج ذلك اضغانهم وقالوا لاى طالب : اما ان تكفه او تنازله وايك في  
ذلك حتى يهلك احد الفريقين ، ثم انصرفوا فعظم على ابي طالب فراق قومه  
ولم يطب نفساً بخذلان ابن اخيه فقال له : يا ابن اخي ان القوم جاءوني فقالوا  
لى كذا فأبق على نفسك ولا تحملني من الامر مالا اطيعك ، فظن الرسول ان  
عمه خاذله فقال : والله ياعم لو وضعو الشمس في يميني والقمر في يساري على  
ان اترك هذا الامر ما فعلت حتى يظهره الله او اهلك دونه ؛ ثم بكى وولى  
فقال ابو طالب اقبل يا ابن اخي ، فأقبل عليه فقال : اذهب فقل ما احببت والله  
لا أسلمك .

## الرياء

ورأى رسول الله من المشركين كثير الاذى وعظيم الشدة ، خصوصاً  
اذا ذهب الى الصلاة عند البيت ، وكان اعظم اذى لرسول الله جماعة سموها  
لكثرة اذاهم بالمستهزئين ( فاوآلهم ) واشدهم ابو جهل عمرو بن هشام بن  
المغيرة المخزومي القرشي قال يوماً : يامعشر قريش ان محمداً قد اتى ماترون من  
عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه احلامكم وسب آبائكم اني اعاهد الله لاجلسن  
له غداً بحجر لا اطيق حمله ، فاذا سجد في صلاته رضخت به راسه فاسلموني  
عند ذلك او امنعوني فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، فلما  
أصبح اخذ حجراً ، كما وصف ثم جلس لرسول الله ينتظره وغدا عليه السلام  
كما كان يغدو الى صلاته وقريش في انديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما  
سجد عليه السلام احتمل ابو جهل الحجر وأقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع  
منهزماً منتقماً لونه من الفزع ورمى حجره من يده فقام اليه رجال من قريش  
فقالوا مالك ياأبا الحكم ؟ قال قمت اليه لأفعل ماقلت لكم فلما دنوت منه عرض  
لي فخل من الابل والله مارأيت مثله قط هم بي ان يأكلني ! فلما ذكر ذلك  
لرسول الله قال ذاك جبريل ولو دنا لأخذه ، وكان ابو جهل كثيراً ما ينهي  
الرسول عن صلاته في البيت فقال له مرة بعد ان رآه يصلي ألم انهك عن هذا ؟  
فأغلظ له رسول الله القول وهدده فقال أتهددني وانا اكثر اهل الوادي نادياً  
فأنزل الله تهديداً له في آخر سورة اقرأ ( كلاً ان لم ينته لنسفعا بالناصية  
ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلاً لا تطع واسجد واقترب . )  
ومن اذيته للرسول ما حكاه عبدالله بن مسعود من رواية البخاري قال كنا مع  
رسول الله في المسجد وهو يصلي فقال ابو جهل : ألا رجل يقوم الى فرث  
جزور بني فلان فيلقيه على محمد وهو ساجد ؟ فقام عقبة بن أبي معيط بن أبي  
عمرو بن أمية بن عبد شمس وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو



ساجد فلم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على القائه عنه لضعفهم  
عن مقاومة عدوهم ، ولم يزل عليه السلام ساجداً حتى جاءت فاطمة بنته فأخذت  
القدر ورمته ، فلما قام دعا على من صنع هذا الصنع القبيح فقال : اللهم عليك  
باللاء من قريش وسمى اقواما ، قال ابن مسعود فرأيتهم قتلوا يوم بدر . ومما حصل  
لرسول الله مع ابي جهل ان هذا ابتاع اجمالا من رجل يقال له الأراشي  
فطله بأثمانها فجاء الرجل بجمع قريش يريد منهم مساعدة على اخذ ماله فدلوه على  
رسول الله لينصفه من ابي جهل استهزاء لما يعلمونه من افعال ذلك الشقي  
بالرسول فتوجه الرجل اليه وطلب منه المساعدة على ابي جهل فخرج معه حتى  
ضرب عليه بابه فقال : من هذا ؟ قال محمد فخرج منتقماً لونه فقال له الرسول :  
اعط هذا حقه ، فقال ابو جهل لا تبرح حتى تأخذه فلم يبرح الرجل  
حتى اخذ دينه . فقالت قريش : ويلك يا ابا الحكم ماراينا مثل  
ما صنعت ؟ قال : ويلكم والله ما هو الا ان ضرب على بابي حتى سمعت  
صوتاً ملئت منه رعباً وأن فوق رأسي فحلاً من الابل ما رأيت مثله ( ومن  
جماعة المستهزئين ) أبو لهب بن عبدالمطلب عم رسول الله كان أشد عليه من  
الاباعد فكان يرمي القدر على بابه لانه كان جاراً له فكان الرسول يطرحه  
ويقول : يا بني عبد مناف أي جوار هذا ! وكانت تشاركه في قبيح عمله  
زوجه أم جميلة بنت حرب بن أمية فكانت كثيراً ما تسب رسول الله وتتكلم  
فيه بالنائم وخصوصاً بعد أن نزل فيها وفي زوجها سورة أبي لهب . ( ومن  
المستهزئين ) عقبه ابن أبي معيط كان الجار الثاني لرسول الله وكان يعمل معه  
كأبي لهب صنع مرة وليمة ودعا لها كهراء قريش وفيهم رسول الله فقال عليه  
السلام : والله لا آكل طعامك حتى تؤمن بالله فتشهد فبلغ ذلك أبي ابن خلف  
الجمحي القرشي وكان صديقاً له فقال : ما شيء بلغني عنك ؟ قال لا شيء . دخل  
منزلي رجل شريف فأبى أن يأكل طعامي حتى أشهد له فاستحييت أن يخرج  
من بيتي ولم يطعم فشهدت له . قال أبي : وجهي من وجهك حرام إن لقيت

محمداً فلم تطأ عنقه وتبزق في وجهه وتلطم عينه ، فلما رأى عقبة رسول الله  
 فعل به ذلك فأنزل الله فيه في سورة الفرقان ﴿ وَيَوْمَ يَعْبُضُ الظَّالِمُ  
 عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً . يَا  
 وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ  
 إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً ﴾ ومن أشد ما صنعه ذلك  
 الشقي رسول الله ما رواه البخاري في صحيحه قال : بينما النبي يصلي في  
 حجر الكعبة إذ أقبل عقبة ابن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله  
 فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال  
 ﴿ اتَّقِئْتُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ  
 رَبِّكُمْ ﴾ ومن جماعة المستهزئين العاص بن وائل السهمي القرشي والد عمرو  
 ابن العاص كان شديد العداوة لرسول الله وكان يقول : غر محمد أصحابه ان  
 يموتوا بعد الموت والله ما يهلكنا إلا الدهر فقال الله رداً عليه في دعواه  
 في سورة الجاثية : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا  
 يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾  
 وكان عليه دين خباب بن الارت احد رجال المسلمين فتقاضاه إياه فقال العاص :  
 اليس يزعم محمد هذا الذي انت على دينه ان في الجنة ما يتغني اهلها من ذهب  
 او فضة او ثياب او خدم ؟ قال خباب بلى ! قال فانظري الى هذا اليوم  
 فسأوتى مالاً وولداً واقضيك دينك ، فأنزل الله في سورة مريم ﴿ افْرَأَيْتَ  
 الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا اطَّاعَ الْغَيْبَ ام  
 اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا كِتَابًا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَنصُرُ لَهُ مِنَ  
 الْعَذَابِ مَدداً وَنَزَّلْنَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ . ومن جماعة المستهزئين  
 الأسود بن عبد يعوث الزهري القرشي من بني زهرة احوال رسول الله كان  
 اذا رأى اصحاب النبي مقبلين يقول : قد جاءكم ملوك الارض ، استهزاء بهم  
 لانهم كانوا متقشفين : ثيابهم رثة ؛ وعيشهم خشن ، وكان يقول لرسول الله  
 سخرية : اما كانت اليوم من السماء ؟ ( ومنهم ) الأسود بن عبدالمطلب الاسدي  
 ابن عم خديجة كان هو وشيعته اذا مر عليهم المسلمون يتغامزون ، وفيهم نزل

في سورة التطهيف ﴿ إن الذين اجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ  
 وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ  
 وَإِذَا رَوَّاهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ . ومنهم الوليد بن المغيرة عم  
 ابي جهل كان من عظماء قريش وفي سعة من العيش سمع القرآن مرة من  
 رسول الله ﷺ فقال لقومه بني مخزوم : والله لقد سمعت من محمد آنفاً  
 كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة وإن عليه  
 لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يُعلى ، فقالت قريش :  
 صبأ والله الوليد لتصبأن قريش كلها ، فقال ابو جهل : انا اكيفكموه فتوجه  
 وقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه ، فقام قاتاهم فقال تزعمون ان محمداً مجنون فهل  
 رايتموه بهوس ؟ وتقولون إنه كاهن فهل رايتموه يتكهن ؟ وتزعمون انه  
 شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعراً قط ؟ وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه  
 شيئاً من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ، ثم قالوا فما هو ؟ ففكر قليلاً  
 ثم قال : ما هو إلا ساحر ، اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده  
 ومواليه ، فارتجج النادي فرحاً ، فأنزل الله في شأن الوليد في سورة المدثر  
 مخاطباً لرسوله ﴿ ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً وَبَنِينَ  
 شُهوداً وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْييداً ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً  
 سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قَتِيلَ كَيْفَ  
 قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا  
 سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ . سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ وأنزل فيه  
 أيضاً في سورة ن ﴿ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلْفٍ ﴾ كثير الحلف . وكفى  
 بهذا زاجراً لمن اعتاد الحلف ﴿ مهين ﴾ حقير ، وأراد به الكذاب لانه  
 حقير في نفسه ﴿ همزاز ﴾ عياب طعام ﴿ مشاء بنميم ﴾ ينقل الاحاديث للافساد  
 بين الناس ﴿ مناع للخير معتد أثيم عتل ﴾ غليظ جاف ﴿ بعد ذلك زنيم ﴾  
 دخيل ﴿ أن كان ذامال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين  
 سدسمه على الخراطوم ﴾ كناية عن الازلال والتحقير لأن الوجه أكرم  
 عضو والأنف أشرف ما فيه ، ولذلك اشتقوا منه كل ما يدل على العظمة

كالانفة وهي الحمية . فالوسم على أشرف عضو دليل الاذلال والاهانة ( ومن )  
المستهزئين النضر بن الحارث العبدي من بني عبدالدار بن قصي كان اذا  
جلس رسول الله مجلساً للناس يحدثهم ويذكرهم ما أصاب من قبلهم قال النضر .  
هلموا يا معشر قريش فاني أحسن منه حديثاً ثم يحدث عن ملوك فارس وكان  
يعلم أحاديثهم ويقول ما أحاديث محمد إلا أساطير الأولين ، وفيه نزل في سورة  
لقمان \* ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله  
بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين وإذا تتلى عليه آياتنا  
وقلى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشيرة بعذاب أليم \*  
وكل هؤلاء انتقم الله منهم كما قال تعالى في التنزيل في سورة الحجر \* إننا  
كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون \* وقد  
وضع الله جل ذكره الوعد في صورة الماضي للتحقق من وقوعه لان الآية  
مكية وهلاك هذه الفئة كان بعد الهجرة فمنهم من قتل كأبي جهل والنضر بن  
الحارث وعقبة بن أبي معيط ، ومنهم من ابتلاه الله بأمراض شديدة فهلك منها  
كأبي لهب والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة .

### اسلام حمزة

وكان بعض إيدائهم هذا سبباً لاسلام عمه حمزة بن عبدالمطلب فقد  
أدركته الحمية عندما عبرته بعض الجوارى بإيذاء أبي جهل لابن أخيه فتوجه  
الى ذلك الشقي وغازبه وسبه وقال كيف تسب محمداً وأنا على دينه ؟ ! ثم أنار  
الله بصيرته بنور اليقين حتى صار من أحسن الناس إسلاماً وأشدهم غيرة على  
المسلمين وأقوام شكيمة على أعداء الدين حتى سمي أسد الله .

وكما أودى الرسول عليه الصلاة والسلام أودى أصحابه لاتباعهم له  
خصوصاً من ليس له عشيرة تحميه وترد كيد عدوه عنه ، وكل هذا الاذى  
كان حلواً في أعينهم ما دام فيه رضا الله فلم يفتنوا عن دينهم بل ثبتهم الله  
حتى اتم امره على ايديهم وصاروا ملوك الارض بعد ان كانوا مستضعفين فيها كما

قَالَ جَلَّ ذَكَرَهُ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ \* وَزَيْدٌ اِنْ نَمِنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا  
 فِي الْاَرْضِ وَنَجَلْتَهُمْ اُمَّةً وَنَجَلْتَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَقَدْ حَقَّقَ مَا ارَادَ ( وَمَنْ )  
 الَّذِينَ اَوْذَوْا فِي اللَّهِ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ كَانَ مَمْلُوكًا لَامِيَّةَ بْنِ خَلْفِ الْجَحِي الْقُرَشِيِّ  
 فَكَانَ يَجْعَلُ فِي عُنُقِهِ حَبْلًا وَيُدْفَعُهُ إِلَى الصَّبِيَّانِ يَلْعَبُونَ بِهِ وَهُوَ يَقُولُ : اِحَدٌ ،  
 اِحَدٌ . لَمْ يَشْغَلْهُ مَا هُوَ فِيهِ عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ . وَكَانَ اُمِيَّةٌ يُخْرِجُ بِهِ فِي وَقْتِ  
 الظَّهْرِ فِي الرَّمْضَاءِ ( وَهِيَ الرَّمْلُ الشَّدِيدُ الْحَرَارَةِ وَلَوْ وَضَعْتَ عَلَيْهِ قِطْعَةً لَحْمٍ لَنَضَجَتْ ) ثُمَّ يَأْمُرُ  
 بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتُوضَعُ عَلَى صَدْرِهِ . ثُمَّ يَقُولُ لَهُ لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ  
 اَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وَتَعْبُدَ اللّٰتَ وَالْعُزَّى فَيَقُولُ : اِحَدٌ ، اِحَدٌ . مَرَّةً بِهِ اَبُو  
 بَكْرٍ يَوْمًا فَقَالَ يَا اُمِيَّةُ اَمَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذَا الْمَسْكِينِ حَتَّى مَتَى تَعَذِّبُهُ ؟ قَالَ  
 اَنْتِ اَفْسَدْتَهُ فَاَنْقَذْتَهُ مِمَّا تَرَى . فَاشْتَرَاهُ مِنْهُ وَاعْتَقَهُ فَاَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَفِي اُمِيَّةٍ فِي  
 سُورَةِ الْبَلَدِ ( فَاَنْذَرْتَكُمْ نَارًا تَلْظِي لَا يَصِلُهَا إِلَّا الْأَشْقَى ) اُمِيَّةُ بْنُ خَلْفِ  
 ( الَّذِي كَذَبَ وَقَتْلَى وَسَيَجْنِبُهَا الْاَتَقَى ) الصَّدِيقِ ( الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى  
 وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى )  
 بِمَا يُعْطِيهِ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ جَزَاءَ أَعْمَالِهِ . وَقَدْ نَبِهَ اللَّهُ جَلَّ ذَكَرَهُ عَلَى أَنْ  
 يَبْذُلَ الصَّدِيقَ مَالَهُ فِي شِرَاءِ بِلَالٍ وَعَتَقَهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ وَكَفَى بِهَذَا  
 شَرَفًا وَفَضْلًا لِلصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ . وَقَدْ أَعْتَقَ غَيْرَ بِلَالٍ جَمَاعَةً مِنْ  
 الْأَنْرَاقِ اسْلَمُوا فَعَابَهُمْ مَوَالِيَهُمْ ( وَمِنْهُمْ ) حَمَامَةُ أُمَّ بِلَالٍ وَعَامِرُ بْنُ فَهْرَةَ كَانَ  
 يَعْتَبُ حَتَّى لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ ، وَابُو فَكِيهَةَ كَانَ عَبْدًا لَصَفْوَانَ بْنِ اُمِيَّةِ بْنِ  
 خَلْفِ ( وَمِنْهُمْ ) امْرَأَةٌ تَسْمَى زَيْنَرَةَ عَذَبَتْ فِي اللَّهِ حَتَّى عَمِيَتْ فَلَمْ يَزِدْهَا ذَلِكَ  
 إِلَّا اِيْمَانًا . وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ يَقُولُ : اَلَا تَعْبَجُونَ لِهَؤُلَاءِ وَاتَّبَاعِهِمْ لَوْ كَانَ مَا  
 أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ أَفَتَسْبِقُنَا زَيْنَرَةَ إِلَى رَشْدٍ فَاَنْزَلَ اللَّهُ فِي سُورَةِ  
 الْأَحْقَافِ ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا  
 إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا افْتِكٌ قَدِيمٌ ) ( وَمَنْ ) أَعْتَقَ أَبُو  
 بَكْرٍ بَعْدَ شِرَائِهِ أُمَّ عَنَيْسَ كَانَتْ أُمَّةً لِبَنِي زَهْرَةَ وَكَانَ يَعْتَبُهَا الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ  
 يَفْعُوثِ ( وَمَنْ ) عَذَبَ فِي اللَّهِ عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ وَأَخُوهُ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ كَانُوا يَعْتَبُونَ  
 بِالنَّارِ فَمَرَّبَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَمُوعِدْكُمْ الْجَنَّةَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ

لأن يأسر وقد فعلت أما أبو عمار وأمه فماتتا تحت العذاب رحمهما الله . وأما هو فثقل عليه العذاب فقال بلسانه كلمة الكفر ، فان أبا جهل كان يجعل له دروعا من الحديد في اليوم الصائف ويلبسه ايها ، فقال المسلمون . كفر عمار فقال عليه السلام . عمار ملىء ايمانا من فرقه الى قدمه ، وأنزل الله في شأنه استثناء في حكم المرتد فقال جل ذكره في سورة النجلى ؛ ( مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) ( وممن أودى في الله ) خباب بن الأرت سبى في الجاهلية فاشتريته أم أنمار وكان حدادا وكان النبي يألفه قبل النبوة فلما شرفه الله بها أسلم خباب فكانت مولاته تعذبه بالنار فتأتي بالحديدة المحمأة فتجعلها على ظهره ليكفر فلا يزيد ذلك الا ايمانا ، وجاء خباب مرة الى رسول الله وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فقال يا رسول الله ألا تدعو الله لنا ؟ فقعده عليه السلام محمرا وجهه فقال : انه كان من قبلك ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه . وليظهرن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت (١) لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ، قل ذلك عليه السلام وهو في هذه الحال الشديدة لا يتصور فيها أعقل العقلاء وأنبأ النبلاء قوة منتظرة أو سعادة مستقبله اللهم الا أن ذلك وحي يوحى اليه ، ثم أنزل الله تعالى تثبيتا للمؤمنين أول سورة العنكبوت ( آلم أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ) . ( وممن أودى في الله ) أبو بكر الصديق . ولما اشتد عليه الأذى أجمع أمره على الهجرة من مكة الى جهة الحبشة فخرج حتى أتى برك الغمام فلقبه ابن الدغنة ، وهو سيد قبيلة عظيمة اسمها القارة ، فقال : الى أين يا أبا بكر ؟ فقال : أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي ،

(١) موضع وراء مكة بنحو خمس ليال مما يلي البحر ، وقيل موضع في أقصى أراضى هجر . ١ هـ ياقوت

فقال ابن الدغنة : مثلك يا أبا بكر لا يخرج ؛ انك تكسبُ المعدومَ وتصلُ  
 الرحمَ وتحملُ الكلَّ وتقرى الضيفَ وتعينُ على نوائبِ الحقِّ فأنا لك جار  
 فارجع وأعبد ربك ببلدك : فرجع وارتحل ابن الدغنة معه وطاف أشراف  
 قريش فقال لهم : أبو بكر لا يخرج مثله ، أتخرجون رجلاً يكسبُ المعدومَ  
 ويصلُ الرحمَ ويحملُ الكلَّ ويقرى الضيفَ ويعينُ على نوائبِ الحقِّ ؟ فلم  
 تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا له : مر أبا بكر فليعبد ربه في داره  
 فليصل فيها ما شاء وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن فانا نخشى أن  
 يفتن نساءنا وأبناءنا ، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث بذلك يعبد ربه  
 في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ، ثم بدا لأبي بكر  
 فابتى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذ عليه نساء  
 المشركين وأبنائهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان رجلاً بكاء لا يملك  
 عينيه إذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش فأرسلوا إلى ابن الدغنة  
 فقدم عليهم فقالوا : انا كنا قد أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في  
 داره فقد جاوز ذلك فابتى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه .  
 وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه  
 بفناء داره فعل ، وان أبي الا أن يعلن ذلك فسله أن يردَّ إليك ذمتك فانا  
 قد كرهنا أن نحتقرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان . فأتى ابن الدغنة  
 أبا بكر فقال : قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك  
 واما أن ترجع إلى ذمتي فاني لا أحب أن تسمع العرب أنني أخفرت في رجل  
 عقدت له . فقال أبو بكر فاني أردتُ عليك جوارك وأرضى بجوار الله ( رواه  
 البخاري ) وكان ذلك سبباً لا يصلح أذى عظيم إلى أبي بكر رضي الله عنه .  
 وبالجملة فلم يخل أحد من المسلمين من أذية لحقته ولكن كل ذلك ضاع سدى  
 تلقاء ثباتهم وعظيم إيمانهم فانهم لم يسلموا الغرض دنيوي يرجون حصوله فيسهل

ارجاعهم ولكن وفقهم الله لا إدراك حقيقة الايمان فرأوا كل شيء  
دونه سهلاً

ولما رأى كفار قريش أن ذلك الأذى لم يجدهم نفعا بل كلما زادوا المسلمين  
أذى ازداد يقينهم اجتمعوا للشورى فيما بينهم فقال لهم عتبة بن ربيعة العشمي من  
بني عبد شمس بن عبد مناف وكان سيداً مطاعاً في قومه : يا معشر قريش ألا  
أقوم لمحمد فأكله وأعرض عليه أموراً عله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف  
عنا ؟ فقالوا يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه . فذهب الى رسول الله وهو يصلي  
في المسجد ، وقال : يا ابن اخي إنك منا حيث قد علمت من خيارنا حسبنا ونسبنا  
وإنك قد اتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفقت أحلامهم وعبت  
آلهتهم ودينهم وكفرت من مضي من آباءهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً  
تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، فقال عليه الصلاة والسلام : قل يا أبا  
الوليد أسمع

فقال يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا  
لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد شرفاً سوّدناك  
علينا حتى لا تقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا . وإن  
كان هذا الذي يأتيك رئياً من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك  
الطب وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى  
يداوي ، فقال عليه الصلاة والسلام : فقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم ، قال  
فاسمع مني فقرأ رسول الله ﷺ أول سورة فصلت :

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ  
فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشْرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ  
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ (١) مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا

(١) أكنة : والاكنة جمع كنان وهو الغطاء .



وَقُرْ (١) وَمَنْ يَبِينَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ قُلُوبَنَا أَنَا بَشَرٌ  
 مِثْلَكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أُمَّةٍ مِّنكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا وَوَيْلٌ  
 لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تَكْفِيرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ  
 الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًا  
 مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ  
 اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا  
 قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ  
 أَمْرًا وَزِينًا لِّلسَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ قَنَانٌ  
 أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ  
 بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ  
 مَلَائِكَةً فَاثْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ )

فأمسك عتبة بفيه وناشده الرحم ان يكف عن ذلك . فلما رجع عتبة  
 سأله ، فقال : والله لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر  
 ولا بالكهانة ولا بالسحر . يا معشر قريش اطيعوني فاجعلوه لي ، خلوا بين  
 الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لكلامه الذي سمعت نبأ ، فان  
 تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فعزه عزكم ؛ فقالوا  
 لقد سحرك محمد . فقال هذا رأيي . ثم عرضوا عليه بعد ذلك ان يشاركهم في  
 عبادتهم ويشاركوه في عبادته ، فأزل الله في ذلك ( قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ  
 لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا  
 أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ ) فلا تتوهموا أنني أجيئكم  
 لطلبكم من الاشرار بالله فأيسوا منه وطلبوا بعد ذلك أن ينزع من القرآن ما  
 يغیظهم من ذم الأوثان والوعيد الشديد فيأتي بقرآن غيره أو يبدله فأزل الله

(١) القر : بالفتح الثقل وقرىء بالكسر هذا تبيان كأنها في غلف واغطية تمنع من نفوذه فيها  
 تفسير الكشاف للزمخشري الجزء الرابع ص ١٤٤

جواباً لهم في سورة يونس ( قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ  
نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعْتُ إِلَّا مَا يُوحِي إِلَيَّ ) . وقد حصل له مع كفار قريش  
نادرة تكون لمن استهان بالضعيف كمصباح يستضيء به وهو أنه بينا الرسول  
عليه السلام مع كبراء قريش وأشرفهم يتألفهم ويعرض عليهم القرآن وما  
جاء به من الدين اذ قبل عليه عبدالله ابن أم مكتوم الأعمى وهو ممن أسلموا  
قديماً والنبي مشتغل بالقوم ولقد لقي منهم مؤانسة حتى طمع في اسلامهم فقال  
له عبدالله يا رسول الله علمني مما علمك الله ، وأكثر عليه القول فشق ذلك على الرسول وكره  
قطعه لكلامه وخاف عليه السلام أن يكون التفاته لذلك المسكين ينفر . عنه قلب اولئك  
الأشرف فاعرض عنه فعاتبه الله على ذلك بقوله أول سورة ( عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى  
وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى . أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى فَآنتَ  
لَهُ تَصَدَّقَى . وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ  
يَحْسَبِي فَآنتَ عَنْهُ تَلَهَّى ) فما عبس رسول الله ﷺ بعدها في وجه فقير .  
وكان اذا أقبل عليه عبدالله بن أم مكتوم يقول له : مرحبا بمن عابني فيه ربي

ولما رأى المشركون ان هذه المطالب التي يعرضونها لا تقبل منهم أرادوا  
أن يدخلوا في باب آخر وهو تعجيز الرسول بطلب الآيات فاجتمعوا وقالوا : يا  
محمد ان كنت صادقاً فأرنا آية نطلبها منك وهي أن تشق لنا القمر قرتين ،  
فأعطاه الله هذه المعجزة وانشق القمر فرقتين ، فقال رسول الله : اشهدوا .  
وهذه القصة رواها عبدالله بن مسعود وهو من السابقين الأولين رويت عنه من  
طرق كثيرة ، ورواها عبدالله بن عباس وغيره ورواها عنهم جمع غزير حتى  
صار الحديث كالمتواتر . وقد ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى في أول  
سورة القمر ( أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ) فحينما رأى المعاندون هذه  
الآية الكبرى قال بعضهم لقد سحركم ابن ابي كبشة فأنزل الله فيهم ( وَإِنْ  
يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ) . ثم سألوا الرسول بعد ذلك

آيات لا يقصدون بذلك إلا التعتن والعناد ، فمنها أن قالوا كما في سورة  
الاسراء ( لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبوعاً أَوْ تَكُونَ  
لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجيراً أَوْ تُسْقِطَ  
السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتِ عَلَيْنَا كَسُفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ  
بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقِي فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَقِيكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَاباً  
تَقْرَأُهُ ) ولم يحجهم الله إلا بقوله : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشِيراً رَسُولاً ﴾  
لأن الله علم ما تكنه جوارحهم من التعصب والعناد ، فلا يؤمنون بها جاءهم من  
البيئات كما قال جل ذكره في سورة الأنعام ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا  
جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وكيف يرجى الخير ممن قالوا كما في سورة الأنفال  
﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً  
مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق من  
عندك فاهدنا إليه ، وهذه سنة من سنن الانبياء اذارأوا من طلاب الآيات  
عناداً وأنهم يطلبونها تعجيزاً لا يسألون الله انفاذ هذه الآيات كيلا يحل بقومهم  
الهلاك كما حصل لعاد وثمود وغيرهم . وهذا هو المراد من قوله تعالى في سورة  
الإسراء ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا  
الْأَوَّلُونَ ﴾ . وقد حصل للمسيح عليه السلام أنه لما وقف أمام هيردوس  
طلب منه آية فلم يجبه الى طلبه ، فلما رأى ذلك سخر منه وردّه الى عدوه  
بيلاطس بعد أن كان يأسف عليه ويتمنى لقاءه وذلك المذكور في الاصحاح  
الثالث والعشرين من إنجيل لوقا . ( هذا ) ولما رأى المشركون ضعفهم عن  
مقاومة المسلمين بالبرهان تحوّلوا الى سياسة القوّة التي اختارها قوم ابراهيم  
عندما عجزوا عنه حيث قالوا ﴿ حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ ﴾ كما في سورة  
الأنبياء . أما هؤلاء فازدادوا بالأذى على كل من أسلم رجاء صدمهم عن اتباع  
الرسول عليه السلام ولم يتركوا باباً إلا ولجوه فقال عليه السلام لأصحابه :  
تفرّقوا في الارض فإنّ الله سيجمعكم فسألوه عن الوجه فأشار الى الحبشة .

## هجرة الحبشة الاولى (١)

فعند ذلك تجهز ناس للخروج من ديارهم وأموالهم فراراً بدينهم كما أشار عليه السلام . وهذه هي أوّل هجرة من مكة ، وعدّة أصحابها عشرة رجال وخمس نسوة ، وهم : عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله ، وأبو سلمة وزوجه أمّ سلمة ، وأخوه لأمه أبو سبرة بن أبي رهم وزوجه أم كلثوم ، وعامر بن ربيعة وزوجه ليلى ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وزوجه سهلة بنت سهيل ، وعبدالرحمن بن عوف ، وعثمان بن مظعون ، ومصعب بن عمير ، وسهل بن البيضاء ، والزبير بن العوام . وجلهم من قريش وكان عليهم فيما روى ابن هشام عثمان بن مظعون فساروا على بركة الله ولما انتهوا الى البحر استأجروا سفينة أوصلتهم الى مقصدهم فأقاموا آمنين من أذى يلحق بهم من المشركين ولم يبق مع النبي عليه السلام إلا القليل .

### السلام عمر

وفي ذلك الوقت أسلم الشهم الهمام عمر بن الخطاب العدوي القرشي بعد ما كان عليه من كراهية المسلمين وشدة أذاهم ، وقالت ليلى إحدى المهاجرات لأرض الحبشة مع زوجها : كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا فلما ركبت بعيري أريد أن أتوجه الى أرض الحبشة إذا أنا به فقال لي : الى أين يا أم عبدالله ؟ فقلت : قد آذيتموننا في ديننا ! نذهب في أرض

---

(١) فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانة من الله ومن عمه أبي طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم الى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أتم فيه . اهـ  
تهذيب السيرة ١ - ٩٢

الله حيث لا تؤذى ، فقال : صحبكم الله . فلما جاء زوجي عامر أخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال : ترجين أن يسلم ؟ والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب ؟ وذلك لما كان يراه من قسوته وشدته على المسلمين ولكن حصلت له بركة دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم فانه قال قبيل إسلامه : اللهم أعز الإسلام بعمر . وكان إسلامه في دار الأرقم بن أبي الأرقم التي كان المسلمون يجتمعون فيها وقد حقق الله بإسلامه ما رجاه عليه السلام فقد قال عبدالله بن مسعود من رواية البخاري ( ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر ) فانه طلب من رسول الله ان يعلن صلاته في المسجد ففعل ؛ وقد أدرك الكفار كتابة شديدة حينما رأوا عمر أسلم وكانوا قد أرادوا قتله حتى اجتمع جمع حول داره ينتظرونه فجاء العاص ابن وائل السهمي وهو من بني سهم حلفاء بني عدى قوم عمر وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بجرير فقال لعمر : ما بالك ؟ فقال زعم قومك أنهم سيقتلوني إن أسلمت ، قال لا سبيل اليك فأنا لك جار ، فأمن عمر وخرج العاص فوجد الناس قد سال بهم الوادي فقال : أين تريدون ؟ قالوا نريد هـذا ابن الخطاب الذي صبا ، قال لا سبيل اليه . فرجع الناس من حيث أتوا .

### رجوع مهاجري الحبشة

وبعد ثلاثة أشهر من خروج مهاجري الحبشة رجعوا إلى مكة حيث لا تيسر لهم الإقامة فيها لأنهم قليلو العدد - وفي الكثرة بعض الأنس - وأضف إلى ذلك أنهم أشرف قريش ومعهم نساؤهم وهؤلاء لا يطيب لهم عيش في دار غربة بهذه الحالة .

وقد أولع بعض المؤرخين بحكاية يجعلونها سببا في رجوع مهاجري الحبشة وهي أنه بلغهم اسلام قومهم حينما قرأ عليهم الرسول سورة النجم وتكلم فيها كلاما حسنا عن آلهتهم حيث قال بعد ( أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ) تلك الغرائق ( جمع غرنوق ، وهي الطيور . ويراد بها

(الملائكة) العلى وإن شفاعتهن لترجي : فسجدوا إعظاما لذلك وفرحا وهذا  
 مما لا تجوز روايته إلا عن قليلي الإدراك الذين ينقلون كل ما وجدوه غير  
 متبئين من صحته . وها نحن أولاء نسوق لك أدلة النقل والعقل على بطلان  
 ما ذكر . أما الحديث فسنده ومتمه قلقان ، فالسند قال فيه القاضي عياض  
 في الشفاء لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم ، وأما  
 المتن فليس أصحاب رسول الله ولا المشركون مجانين حتى يسمعو مدحا أثناء  
 ذم ويجوز ذلك عليهم فبعد ذكر الأصنام قال ( إن هي إلا أسماء سميتموها  
 أنتم وآبؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ) فالكلام غير منتظم ولو  
 كان ذلك قد حصل لاتخذ الكفار عليه حجة يحاجونه بها وقت الخصام وهم  
 من نعرفهم من العناد فيما ليس فيه أدنى حجة فكيف بهـذـه ؟ وليس ذلك  
 القيل أقل من تحويل القبلة الى الكعبة وهذا قالوا فيه ما قالوا حتى سماهم الله  
 سفهاء وأنزل فيهم سورة البقرة ( سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن  
 قبلتهم التي كانوا عليها ) ولكن لم يسمع عن أي واحد من رجالهم والمتصدرين  
 للعناد منهم أن قال مالك ذمت آلهتنا بعد أن مدحتها وكان ذلك أولى لهم  
 من تجريد السيوف وبذل مهج الرجال على أن المؤرخين الذين ينقلون هذه  
 العبارة ويجعلونها سببا لرجوع مهاجري الحبشة يقولون أثناء كلامهم ان الهجرة  
 كانت في رجب والرجوع كان في شوال ونزول سورة النجم كان في رمضان  
 فالمدّة بين نزول السورة ورجوع المهاجرين شهر واحد والتأمل أدنى تأمل يرى  
 أن الشهر كان لا يكفي في ذلك الزمن للذهاب من مكة الى الحبشة والاياب  
 منها لأنه لم يكن اذ ذاك مراكب بخارية تسهل السير في البحر ولا تلغراف  
 يوصل خبر اسلام قريش لمن بالحبشة ؛ فلا غرابة بعد ذلك ان قلنا ان هذه  
 الخرافة من موضوعات أهل الأهواء الذين ابتلى الله بهم هذا الدين ، ولكن  
 الحمد لله فقد من علينا بحفظ كتابنا المجيد الذي يحكم بيننا وبين كل مفتر  
 كذاب ففي السورة نفسها ( وما ينطق عن الهوى ) والذي يلقيه الشيطان من

أقبح ما يروى فكيف يقول عليه السلام ، أو يجرى على لسانه ما يبث الشكوك في الوحي ؟ الأمر الذي يريده السفهاء ردَّ الله كيدهم في نحرهم . والذي ورد في الصحيح في موضوع هذا السجود ما رواه عبدالله بن مسعود أن النبي عليه السلام قرأ والنجم فسجد وسجد من كان معه الا رجلا أخذ كفا من حصى وضعه على جبهته وقال . يكفيني هذا ؛ فرأيته قتل بعد كافرا وليس في هذا الحديث أي دلالة على أن الذين سجدوا معه هم مشركون بل الذي يفيد قوله فرأيته قتل بعد كافراً أنه كان مسلماً ثم رأيتته ارتد ، وهذا ما حصل من بعض ضعاف القلوب الذين لم يتحملوا الأذى فكفروا : منهم على ابن امية بن خلف . ( هذا ) ولما رجع مهاجرو الحبشة الى مكة لم يتمكن من الدخول اليها الا من وجد له مجيراً فدخل ابو سلمة في جوار خاله ابي طالب ودخل عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة وقد ردَّ عليه جواره حينما رأى ما صنعه بالمسلمين فلم ير ان يكون مرتاحاً واخوانه معذبون .

### كتابة الصحيفة

ولما ضاقت الحيل بكفار قريش عرضوا على بني عبد مناف الذين منهم الرسول عليه السلام دية مضاعفة ويسامونه فأبوا عليهم ذلك . ثم عرضوا على أبي طالب أن يعطوه سيداً من شبانهم يتبناه ويسلم اليهم ابن أخيه . فقال : عجباً لكم تعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيتكم ابني تقتلونه ؟ فلما راوا ذلك اجمعوا امرهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب ولدى عبد مناف واخراجهم من مكة والتضييق عليهم فلا يبيعونهم شيئاً ولا يتعاون منهم حتى يساموا محمداً للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في جوف الكعبة فانحاز بنو هاشم بسبب ذلك في شعب ابي طالب ودخل معهم بنو المطلب سواء في ذلك مسلمهم وكافرهم ما عدا ابا لهب فانه كان مع قريش وانخذل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل

اقتي عبد مناف فجهد القوم حتى كانوا يأكلون ورق الشجر وكان اعداؤهم  
يمنعون التجار من مبايعتهم وفي مقدّمة المانعين ابو لهب .

### هجرة الحبسة الثانية

وبعد دخول الرسول وقومه الشعب أمر جميع المسلمين أن يهاجروا للحبسة  
حتى يساعد بعضهم بعضاً على الاغتراب ، فهاجر معظمهم وكانوا نحو ثلاثة وثمانين  
رجلاً وثمانى عشرة امرأة وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب وزوجه أسماء  
بنت عميس والمقداد بن الأسود وعبدالله بن مسعود وعبيدالله بن جحش وامرأته  
أم حبيبة بنت أبي سفيان وتوجه لهم الذين أسلمو من جهة اليمن وهم الاشعريون  
أبو موسى وبنو عمه . ولما رأت قريش ذلك أرسلت في أثرهم عمرو بن العاص  
وعمارة بن الوليد بهدايا الى النجاشي ليسلم المسلمين فرجعا شر رجعة ولم ينالا  
من النجاشي الا اهانة لما خاطبوه به من اخفار ذمته في قوم لا ذوا به ،  
أما بنو هاشم فكثوا في الشعب قريباً من ثلاث سنوات في شدة الجهد والبلاء  
لا يصلهم شيء من الطعام الا خفية .

### نقض الصحيفة

وقد خمسة من اشرف قريش يطالبون بنقض هذه الصحيفة الظالمة ،  
وهم هشام بن عمرو بن الحارث العامري وهو أعظمهم في ذلك بلاء ، وزهير  
بن أبي امية المخزومي ابن عممة الرسول عاتكة ، والمطعم ابن عدى النوفلى ،  
وأبو البخترى بن هشام الاسدي ؛ وزمعة بن الاسود الاسدي واتفقوا على ذلك  
ليلاً . فلما اصبحوا غدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم اقبل على الناس فقال :  
يا أهل مكة أنأ كل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكنى لا يبيعون  
ولا يتعاونون ! والله لا أقعد حتى تشق لهذه الصحيفة الظالمة القاطعة . فقال



ابو جهل : كذبت ، فقال زمعة لأبي جهل : أنت والله أكذب ! مارضينا كتابتها حين كتبت ، فقال أبو البختری : صدق زمعة ، وقال المطعم بن عدی : صدقنا وكذب من قال غير ذلك . وصدق على ما قيل هشام بن عمرو فقام اليها (١) المطعم بن عدی فشقها وكانت الارضة قد اكلتها فلم يبق فيها الا ما فيه اسم الله . وقد اخبر النبي عليه السلام عمه أبو طالب بذلك قبل ان يفعل ما ذكر فخرج القوم الى مساكنهم بعد هذه الشدة .

### وفود نجران

وقد وفد على الرسول بعد الخروج من الشعب وفد من نصارى نجران بلغهم خبره من مهاجري الحبشة فسارعوا بالتقدم عليه حتى يروا صفاته مع ذكر منها في كتبهم ، وكانوا عشرين رجلا أو قريبا من ذلك فقرأ عليهم القرآن فأمنوا كلهم فقال لهم أبو جهل : ما رأينا ركبا أحق منكم أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فصبا تم ! فقالوا سلام عليكم لا نجاهلكم لكم ما اتم عليه ولنا ما اخترناه فأنزل الله في ذلك قوله في سورة القصص (الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ كَرِهَهَا الْمُشْرِكُونَ) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ \* أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَبَدَرُوا بِالْحَسَنَةِ الَّتِي كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَ \* وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ) وقد كان أهل مكة حينما عجزوا عن أمر رسول الله ولم يتمكنوا من مقارعة الحجة بالحجة رموه بالسحر مرة وبالكذب أخرى وبالجنون طورا وبالكهانة قارة كل ذلك شأن العاجز المعاند الذي لا يتحى لزيد عناده أن يقول ( اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ) .

(١) وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فثلث يده فيما يزعمون اه تهذيب السيرة ١ - ١١٦

## وفاة خديجة رضي الله عنها

وبعد خروجه عليه السلام من الشعب بقليل وقبل الهجرة بثلاث سنين توفيت خديجة بنت خويلد زوجه رضي الله عنها كان عليه السلام كثيراً ما يذكرها ويترحم عليها . ولا غرابة في أول نفس زكية صدقت رسول الله فيما جاء به عن ربه وقد جاء منها بأولاده كلهم ما عدا إبراهيم . فمنها زينب وهي أكبر بناته تزوجها في الجاهلية أبو العاص بن الربيع وأعقب منها أمامة التي تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة ، ومنها رقية وأم كلثوم تزوجها عثمان ، الأولى بمكة قبل الهجرة وهاجر بها إلى الحبشة ، والثانية بالمدينة بعد أن ماتت اختها: ومنها فاطمة وهي أصغر بناته تزوجها علي بن أبي طالب . وقد جاءت خديجة بأولاد توفوا صغاراً ولم يعيش بعد رسول الله من أولاده إلا فاطمة عاشت بعده قليلاً . ولما توفيت خديجة حزن عليها رسول الله حزناً شديداً لما كانت عليه من الرقة لرسول الله ومحاجة الكفار عنه لما لها من الجاه في عشيرتها بني أسد ، ومنها القاسم وكان به يكنى رسول الله ﷺ وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر .

## زواج سودة

وعقد عليه السلام في الشهر الذي ماتت فيه خديجة على سودة بنت زمعة العامرية القرشية بعد أن توفي عنها زوجها وابن عمها السكران ابن عمرو وقد كانت آمنت بالله وبرسوله وخالفت أقاربها وبني عمها وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة في المرة الثانية خوف الفتنة ، وعقب رجوعه من هجرته توفي عنها فلم يكن ثم أجمل مما صنعه الرسول بزواج رجل آمن به ولو تركت لقومها مع ما هم عليه من الغلظة وكرهة الإسلام لفتنوها ، وكرم نسبها في قومها يمنعها من التزوج برجل أقل منها نسباً وشرفاً .

## زواج عائشة رضي الله عنها

وبعد ذلك بشهر عقد على عائشة بنت صديقه أبي بكر وهي لا تتجاوز السابعة من عمرها ولم يتزوج عليه السلام بكراً غيرها ودخل عليها بالمدينة . أما سودة فدخل عليها بمكة .

وبعد وفاة خديجة بنحو شهر توفي عمه أبو طالب الذي كان يمنعه من أذى أعدائه ، ومع أنه كان لا يكذب رسول الله فيما جاء به بل يعتقد صدقه لم ينطق بالشهادتين حتى آخر لحظة من حياته وفيه نزل في سورة القصص ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ . ولكن لأعماله العظيمة التي عملها مع رسول الله زجوا أن يخفف عنه . وعدم إسلامه هو وغالب أقارب الرسول فيه من الحكمة ما لا يخفى فانهم لو بادروا باتباعه لقليل : قوم يطلبون سيادة وفخراً ليسا لهم فجاءوا بهذا الامر المفترى ، ولكن لما رأى المعاندون أن متبعيه هم الغرباء عنه الذين ليسوا من عشيرته بل من أعدائها احياناً كعثمان بن عفان من بني أمية لم يكن عندهم أدنى حجة يقيمونها اللهم إلا دعاويهم الكاذبة التي كانوا يتمسكون بها حينما تصدعهم الحججة من قولهم : ساحر يفرق بين المرء وزوجه ، وكاهن يتكهن بالغيب . وقد سمي رسول الله هذا العام الذي فقد فيه زوجه وعمه عام الحزن . ولما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ما لم يمكنها نيله في حياة أبي طالب واشتد الامر عليه حتى كانوا ينثرون التراب على رأسه وهو سائر ويضعون أوساخ الشاة عليه في صلاته . وتملقت به كفار قريش مرة يتجاذبونه ويقولون له أنت الذي تريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ ! فما تقدم أحد من المسلمين حتى يخلصه منهم لما هم عليه من الضعف إلا أبو بكر فانه تقدم وقال : أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ !

## هجرة الطائف

فلما رأى عليه السلام استهانة قريش به أراد ان يتوجه الى ثقيف بالطائف (١) يرجو منهم نصرته على قومه ومساعدته حتى يتمم أمر ربه لأنهم أقرب الناس الى مكة وله فيهم حوولة (٢) ، فان أم هاشم بن عبد مناف عاتكة السلمية من بني سليم بن منصور وهم حلفاء ثقيف ، فلما توجه اليهم ومعه مولاه زيد بن حارثة قابل رؤساءهم وكانوا ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحيب أولاد عمرو ابن عمير الثقفي فعرض عليهم نصرته حتى يؤدي دعوته فردوا عليه رداً قبيحاً ولم ير منهم خيراً ، وحينذاك طلب منهم ألا يشيعوا ذلك عنه كيلا تعلم قريش فيشتد أذاهم لانه أستعان عليهم باعدائهم فلم تفعل ثقيف ما رجاه منهم عليه السلام بل أرسلوا سفهاءهم وغلمانهم يقفون في وجهه في الطريق ويرمون بالحجارة حتى آدموا عقبه . وكان زيد بن حارثة يدرأ عنه الى ان انتهى الى شجرة كرم واستظل بها وكانت بجوار بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما من اعدائه وكانا في البستان فكره رسول الله مكانها فدعا الله قائلاً (٣) اللهم إني أشكو اليك ضعف قوتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلمي إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ) فلما رآه ابنا ربيعة رقا له وأرسلوا اليه بقطف من العنب مع مولى لهما نصراني اسمه عداس فلما ابتداء رسول الله ﷺ يأكل قال ( بسم الله الرحمن الرحيم ) فقال عداس هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له عليه السلام : من أي البلاد أنت وما دينك ؟ فقال نصراني من نينوى (٤) فقال له عليه السلام : من قرية الرجل الصالح

(١) بلد في الجنوب الشرقي من مكة .

(٢) من باب قال وحالت الناقة تهول حولاً وحال عنه العهد : حولاً انقلب . مختار من صحاح

اللغة ١٢٥ .

(٣) عن عبدالله بن جعفر رواه الطبراني والحديث رتبته حسن المناوي ٢ - ١١٩

(٤) بلد على شاطئ دجلة وهي آخر ما ينتهي اليه العراق وامامها مدينة الموصل .

يونس بن متى . قال : وما علمك بيونس فقراً له من القرآن ما فيه قصة  
يونس فلما سمع ذلك عداس أسلم ، وأتى جبريل برسالة من الله جل ذكره  
وقال : إن الله أمرني أن أطيعك في قومك لما صنعوه معك ، فقال عليه السلام  
( اللهم أهد قومي فانهم لا يعلمون ) فقال جبريل : صدق من سمّاك الرؤوف  
الرحيم !! ولما كان بنخله وفد عليه نفر من الجن يستمعون القرآن وهم ممن  
ينتمون الى موسى صلوات الله عليه فلما سمعوه أنصتوا له ورجعوا الى قومهم  
منذرين وأبلغوهم خبر رسول الله ﷺ وفيهم نزل في سورة الأحقاف ﴿ وإذ  
صرقنا إليك نقرأ من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا  
فلما قضى ولّوا إلى قومهم منذرين ﴾ قالوا يا قومنا إننا سمعنا كتاباً  
أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق  
مستقيم ﴾ يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يفر لكم من ذنوبكم  
ويخرجكم من عذاب أليم ومن لا يحب داعي الله فليس بمعجز في  
الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين ﴾ وقد قص الله  
قصة الجن بعبارة أطول في سورة سميت باسمهم أولها ﴿ قل أوحى إليّ أنّه استمع  
نفر من الجن فقالوا إننا سمعنا قرآناً عجيباً يهدي الى الرشيد فآمنّا به ولن نشرك  
بربنا أحداً ) .

### ارضاء بالمطعم بن عدي

ولما رجع عليه السلام من الطائف هكذا لم يتمكن من دخوله مكة لما  
علمه كفار قريش من أنه توجه الى الطائف يستنصر بأهلها عليهم فأرسل عليه  
السلام الى المطعم بن عدي نوفل بن عبد مناف يخبره أنه سيدخل مكة في  
جواره فأجابه الى ذلك وتسلح هو وبنوه وتوجهوا مع رسول الله الى المطاف

فقال له بعض المشركين : أيجير أنت أم تابع ؟ فقال : بل مجير ، قالوا إذن لا تخفر ذمتك .

## وقدم دوس

وقدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة الطفيل بن عمرو الدوسي من قبيلة دوس عشيرة أبي هريرة الصحابي الشهير وكان الطفيل شريفاً في قومه شاعراً نبيلاً فلما قرأ عليه القرآن أسلم فقال له رسول الله : اذهب إلى قومك فادعهم إلى الاسلام . ودعا لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اللهم اهد دوسا ، فتوجه اليهم الطفيل ودعاهم فأمن بدعوته كثير منهم . وستأتي وفادته على الرسول مرة ثانية بقومه في المدينة

## الاسراء والمعراج (١)

وقبل الهجرة أكرمه الله بالاسراء والمعراج . أما الاسراء فهو توجهه ليلاً إلى بيت المقدس بإيلياء ورجوعه من ليلته ، وأما المعراج فهو صعوده إلى العالم العلوي ، وقد قال جمهور أهل السنة إن ذلك كان بجسمه الشريف وسكانت عائشة رضي الله عنها تمنع رؤية رسول الله ربه وتقول من قال إن محمدا رأى

(١) ان الاسراء والمعراج أمر عجيب في طبيعة الانفس البشرية وان أهم ما يفهمه المؤمن من حقيقة الاسراء والمعراج هي :

١ - أن الاسراء بدأ من مكة إلى بيت المقدس والمعراج بدأ من بيت المقدس إلى السموات السبع إلى سدرة المنتهى .

٢ - لقاء الحبيب ﷺ برب العالمين وهذا غاية المقصود في الموقف لذا قال تعالى :

فأوحى الى عبده ما أوحى ، فلم يبين المولى ما هو الايجاء تركه هكذا حتى  
تتسرب نفسية المؤمن الكاملة لمعرفته .

٣ - فرض الصلوات الخمس وان فرضتها كانت ركعتين ركعتين على طريق التخفيف  
فلما تمكن حب الاسلام في قلوب الصحابة زِيدت الصلوات الخمس - كما هي  
المشروعة الان - في الحضر واقتصر على الصلوات الخمس بقصرها في السفر وان  
غاية سيدنا موسى من الامر في التخفيف هي رؤية الرسول ﷺ وبما استفاد  
من الانوار الالهية .

٤ - وان الخبر الذي تلقوه المشركون خبر ليس باستطاعة نفوسهم البشرية أن تتحمل  
ذلك النبأ فلذا أنكروا بطبيعة الحال بما سمعوا .

٥ - وان في هذه البرهة ارتد بعض الصحابة الذين لم يتمكن الايمان الصحيح في  
قلوبهم لانه لو تمكن حقيقة الايمان والحب الصحيح بالرسول ﷺ ما  
انكروا ذلك

٦ - ان رؤية رسول الله ﷺ السموات السبع وعروجه لسدره المنتهى ما هو  
الا اكمل الرسول ﷺ لان طاقته البشرية عندها استعداد كامل لذا تحملت  
تلك السياحة الكبرى .

٧ - أما حكم من ينكر الاسراء فهو كافر بالاجماع لانه انكر حكم ثابت بنص  
قطعي في القرآن الكريم وان منكر المعراج فهو فاسق لانه انكر حديث  
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٨ - ان موقف المسلم حينما يمر عليه بسنته تلك الليلة التي مرت على رسول الله ﷺ  
فانه يقتدى برسول الله ﷺ ويعرج بروحه في صفاء وايمان متين وانه لا  
يتمكن المسلم من الاقتداء في ليلة ٢٧ من رجب من كل سنة تمر على كل فرد منا  
بعروج صحيح الا بشرط التربية والسلوك وتخليص العلائق الكلية حتى يتمكن  
للمؤمن حقيقة الاقتداء برسول الله ﷺ

٩ - وأما رواية عائشة بنفي الرؤية فإن الله الاجماع على أن رؤية الرسول ﷺ ربه بعين بصره وبصيرته ممكن وقد حصل ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم وهـ - انه من جملة الخصوصيات للرسول الاعظم ﷺ في الدنيا كما هو موضح في كتب العقائد وهاك نصه :

قد اتفق اهل السنة على ان رؤية الله لم تقع في الدنيا لغير نبينا محمد ﷺ واختلفوا في وقوعها له عليه السلام والصحيح أنه رأى ربه تعالى بعيني رأسه يقظة ليلة الاسراء كما عليه جمهور الصحابة قال صاحب الجوهرة

ومنه ان ينظر بالابصار لكن بلا كيف ولا انحصار  
للمؤمنين اذ بجائز علقت هذا وللمختار دنيا ثبتت

مذكرات التوحيد ص ٤٥

والراجح عند اكثر العلماء انه ﷺ رأى ربه سبحانه وتعالى بعيني رأسه لحديث ابن عباس وغيره وهذا لا يواخذ الا بالساع منه ﷺ فلا ينبغي ان يتشكك فيه ولما نفت عائشة وقوعها له ﷺ قدم ابن عباس عليها لانه مثبت حتى قال معمر بن راشد . ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس جوهرة التوحيد ص ١٧٥

وفي رواية الترمذي : قال رأى محمد ربه

قال عكرمة : قلت اليس الله يقول لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار

قال ويحك ذاك اذا تجلي بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين .

لقد اختلف العلماء : قديما وحديثا في الرؤية وذلك على ثلاثة اقوال :

- ١ - اثبت ابن عباس وطائفة
- ٢ - وتوقف فيه طائفة
- ٣ - وانكرت عائشة كما وقع في صحيح مسلم وجاء مثله عن ابي هريرة



رضي الله عنه وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة  
من المحدثين والمتكلمين .

قال النووي : تبعنا لغيره لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان  
معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية . وقد  
خالفها غيرها من الصحابة والصحابي اذا خالف قوله غيره من الصحابة لم  
يكن ذلك القول حجة بالاتفاق .

واما احتجاجها : بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه : ان الادراك هو  
الاحاطة والله تعالى لا يحاط به فاذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي  
الرؤية بغير احاطة كالقمر اذا رآه احد فهو يراه ولا يدرك حقيقته

وقد رجح القرطبي : التوقف في هذه المسألة لانه لا دليل قاطع وليست  
المسألة من العمليات وانما من المعتقدات فلا يكتبي بها الا بالدليل القطعي  
وروي عن ابن عباس : انه رآه بعينه . وكذا انس وابي ذر وكعب الزهري  
راجع زجاجة المصاييح ٤ - ٣٦٢ - ٣٦٨

عن ابن عباس رواه الامام احمد قال المهثمي رجاله رجال الصحيح رأيت ربي  
عز وجل ، الحديث رتبته صحيح .

بالمشاهدة العينية التي لم يحتمل الكلم ادنى شيء منها او القلبية بمعنى التجلي  
النام فقد روي عنه عليه السلام : لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب  
ولا نبي مرسل والأرجح ان الله جمع له بين الرؤية البصرية والجنانية  
المنأوي على الجامع الصغير ٤-٦

ربه فقد أعظم الفرية على الله . والاسراء مذكورة في القرآن الكريم قال تعالى  
 في أول سورة الاسراء ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد  
 الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو  
 السميع البصير ﴾ وأما المعراج فقد ورد في صحيح السنة وأصح أحاديثه ما  
 رواه الشيخان ونقله القاضي عياض في شفاؤه عن انس بن مالك رضي الله عنه  
 قال رسول الله ﷺ : أتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع  
 حافره عند منتهى طرفه ، قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة  
 التي تربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتاني  
 جبريل بآء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل ، اخترت الفطرة  
 ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل : من انت ؟ قال جبريل ، قيل :  
 ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه . ففتح لنا  
 فاذا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير : ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح  
 جبريل فقيل : من انت ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال محمد ، قيل  
 وقد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه . ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى  
 ابن مريم فرحبا بي ودعوا لي بخير . ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل  
 الأول ففتح لنا واذا انا بيوسف واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب ودعا  
 لي بخير . ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي  
 ودعا لي بخير قال تعالى في سورة مريم ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) ثم عرج بنا  
 الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير . ثم  
 عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير  
 ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا براهيم مسنداً ظهره الى  
 البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ،  
 ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا أوراقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما  
 غشيها من امر ربي ما غشيها تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها

من حسنها فأوحى الله اليّ ما أوحى ففرض عليّ وعلى امتي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم ، قال فرجعت الى ربي وقلت له يا ربي خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم أزل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال سبحانه : يا محمد إنهنّ خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن همّ بحسنة فعملها كتبت له عشرا ، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئا ومن همّ بسيئة فعملها كتبت له سيئة واحدة . قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه . ثم رجع عليه السلام من ليلته فلما أصبح غدا الى نادي قريش فجاء اليه ابو جهل : بن هشام فحدثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جرى له فقال ابو جهل : يا بني كعب بن لؤي هلموا فأقبل عليه كفار قريش فأخبرهم الرسول الخبر فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وإنكارا وارتدّ ناس ممن كان آمن به من ضماف القلوب وسعى رجال أبي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك ؟ قال اني لأصدقه على ابعد من ذلك فسمى من ذلك اليوم صدّيقا . ثم قام الكفار يمتحنون رسول الله فسألوه نعت بيت المقدس وفيهم رجال رأوه ، أما رسول الله فلم يكن رآه قبل ذلك فجلاه الله فصار يصفه لهم بابا بابا وموضعا موضعا ، فقالوا أما النعت فقد أصاب فأخبرنا عن غيرنا وكانت لهم غير قادمة من الشام فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورك فخرجوا يشهدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد أشرقت فقال آخر وهذه والله المير قد أقبلت يقدمها جمل أورك كما

قال محمد ثم لم يزدكم ذلك الا كبراً وعناداً حتى قالوا هذا سحر مبين . وفي  
صبيحة ليلة الاسراء جاء جبريل وعلم رسول الله كيفية الصلاة وأوقاتها فيصلح  
ركعتين إذا ظهر الفجر وأربع ركعات إذا زالت الشمس ومثلها إذا ضعف  
ظل الشيء وثلاثاً إذا غربت وأربعاً إذا غاب الشفق الأحمر . وكان عليه السلام  
قبل مشروعية الصلاة يصلي ركعتين صباحاً ، ومثلها مساء كما كان يفعل ابراهيم  
عليه السلام .

### العرض على القبائل

ولما رأى رسول الله ﷺ أنه يجد من قريش منعة من تأدية الرسالة  
وتسلط الكبر والعظمة على قلوبهم أراد الله ان يظهر أمر الدين على أيدي  
غيرهم من العرب فكان عليه السلام يخرج في المواسم العربية ( وهي أسواق  
كانت العرب تعقدتها للتجارة والمفاخرة ) ويعرض نفسه على القبائل ليحموه حتى  
يؤدّي رسالة ربه ، فكان بعضهم يردّ رداً جميلاً وآخرون رداً قبيحاً .  
وكان من أقبح القبائل رداً بنو حنيفة رهط مسيئة الكذاب . وطلب منه  
بنو عامر إن هم آمنوا به أن يجعل لهم أمر الرياسة من بعده . فقال لهم  
الأمر لله يضعه حيث يشاء . وكان من الذين يحجون البيت عرب يثرب وهي  
مدينة بين مكة والشام يقطنها قبيلتان إحداهما من ولد الأوس والثانية من ولد  
الخزرج وهما أخوان وكان بين أولادهما من العداوة ما يجعل الحرب لا تضع  
أوزارها بين الفريقين فكانوا دائماً في شقاق ونزاع فكان يجاورهم في  
المدينة أقوام من اليهود وهم بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير وكان لهم الغلبة  
على يثرب أولاً ، فخارهم العرب صاروا ذوي النفوذ فيها والقوّة . وكان  
اليهود إذا خذلوا يستفتحون على أعدائهم باسم نبي يبعث قد قرب زمانه . ولما  
اختلفت كلمة العرب فيما بينهم وشقت عصا الألفة حالفوا اليهود على أنفسهم ، فحالف  
الأوس بنو قريظة ، وحالف الخزرج بنو النضير وبنو قينقاع . وآخر الأيام

بينهم يوم بعث قتل فيه اكثر رؤسائهم ولم يبق الا عبدالله بن ابي سلول  
من الخزرج وأبو عامر الراهب من الأوس . ولذلك كانت عائشة تقول كان  
يوم (١) بُعث يوماً قدمه الله لرسول الله ﷺ . وقد خطر يبال رؤساء  
الأوس أن يحالفوا قريشاً على الخزرج فأرسلوا اياس بن معاذ و ابا الحيسر  
انس بن رافع مع جماعة يلتمسون ذلك الحلف في قريش فلما جاءوا مكة جاءهم  
رسول الله وقال : هل لكم في خير مما جئتم له ؟ أن تؤمنوا بالله وحده ولا  
تشركوا به شيئاً . وقد أرسلني الله الى الناس كافة ثم تلا عليهم القرآن فقال  
اياس بن معاذ يا قوم هذا والله خير مما جئنا له ، فخصبه أبو الحيسر وقال له :  
دعنا منك لقد جئنا لغير هذا . فسكت .

### بدء اسلام الانصار

ولما جاء الموسم تعرض رسول الله لغير منهم يبلغون الستة وكلهم من الخزرج  
وهم أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث من بني النجار ؛ ورافع بن مالك من  
بني زريق ، وقطيبة بن عامر من بني سلمة ، وعقبة بن عامر من بني حرام ،  
وجابر بن عبدالله من بني عبيد بن عدى ، ودعاهم الى الاسلام والى معلوتته في  
تبليغ رسالة ربه فقال بعضهم لبعض : إنه للنبي الذي كانت تعدكم به يهود فلا  
يسبقنكم اليه ، فأمنوا به وصدقوه وقالوا إنا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما  
بينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك . ووعدوه المقابلة في الموسم  
المقبل ، وهذا هو بدء الاسلام لعرب يثرب .

### العقبة الأولى

فلما كان العام المقبل قدم اثنا عشر رجلاً منهم عشرة من الخزرج واثنا

(١) موضع من نواحي المدينة بعد ميلين كان به وقعة بين الأوس والخزرج قبيل الاسلام اه تفسير  
غريب الحديث . ص ٣٦

من الأوس وهم : أسعد بن زرارة ، وعوف ومعاذ ابنا الحارث ورافع بن مالك ؛  
 وذكوان بن قيس ؛ وعبادة بن الصامت ، ويزيد بن ثعلبة ، والعباس بن عبادة ،  
 وعقبة بن عامر ، وقطبة بن عامر . وهؤلاء من الخزرج . وأبو الهيثم بن التيهان ، وعويم  
 ابن ساعد وهما من الأوس فاجتمعوا به عند العقبة وأسلموا وبايعوا رسول الله على بيعة  
 النساء — وذلك قبل أن تفترض الحرب — على ألا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا  
 يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا بهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصونه في  
 معروف ، فان وفوا فلهم الجنة وإن غشوا من ذلك شيئاً فأمرهم إلى الله عزَّ  
 وجل إن شاء غفر وإن شاء عذب (١) ، وهذه هي العقبة الأولى . فأرسل لهم عليه  
 السلام مصعب بن عمير البديري ، وعبدالله بن أم مكتوم - وهو ابن خالة خديجة —  
 يقرأهم القرآن ويفقاههم في الدين . ونزل مصعب على أحد المبايعين أبي أمامة أسعد بن  
 زرارة وصار يدعو بقية الأوس والخزرج للإسلام وبينما هو في بستان مع أسعد بن  
 زرارة إذ قال سعد بن معاذ رئيس قبيلة الأوس لأسيد بن حضير ابن عم سعد : ألا  
 تقوم إلى هذين الرجلين اللذين أتيا يسفهان ضعفاء لتزجرهما ، فقام لهما أسيد بجربته  
 فلما رآه أسعد قال لمصعب : هذا سيد قومه وقد جاءك فأصدق الله فيه . فلما وقف عليها  
 قال : ما جاء بكما تشفهان ضعفاءنا اعتزلا إن كانكما بأنفسكما حاجة . فقال مصعب :  
 أو تجلس فتسمع ؟ فان رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كففنا عنك ما تكره فقرأ عليه  
 مصعب القرآن فاستحسن دين الإسلام وهداه الله له فتشهد ورجع إلى سعد فسأله عما  
 فعل فقال : والله ما رأيت بالرجلين بأسا ففضب سعد وقام لهما متغيظا ففعل معه مصعب  
 كسابقه فهداه الله للإسلام ورجع لرجال بني عبد الأشهل — وهم بطن من الأوس —  
 فقال لهم : ما تعدونني فيكم ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا : قال كلام رجالكم ونسائكم  
 على حرام حتى تساموا ، فلم يبق بيت من بيوت بني عبد الأشهل إلا اجابه ، وقد انتشر  
 الإسلام في دور يثرب حتى لم يكن بينهم حديث إلا أمر الإسلام .

(١) رواه البخاري عن عبادة بن الصامت

## العقبة الثانية

ولما كان وقت الحج في العام الذي يلي البيعة الأولى قدم مكة كثيرون منهم يريدون الحج وبينهم كثير من مشركيهم ، ولما قابل وفدم رسول الله واعدوه المراقبة ليلا عند العقبة ، فأمرهم الا ينهوا في ذلك الوقت فائماً ولا ينتظروا غائباً لأن كل هذه الأعمال كانت خفية من قريش كيلا يطلعوا على الأمر فيسعوا في نقض ما أبرم . شأنهم مع رسول الله في أول امره ، ولما فرغ الأنصار من حجهم توجهوا الى مواعدهم كاتمين امرهم عن معهم من المشركين . وكان ذلك بعد مضي ثلث الليل الأول ، فكانوا يتسللون الرجل والرجلين حتى تم عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً منهم اثنتان وستون من الخزرج وأحد عشر من الأوس ، ومعهم امرأتان وهما نسبية بنت كعب من بني النجار وأسماء بنت عمرو من بني سلمة وواقفهم رسول الله هناك وليس معه الا عمه العباس بن عبدالمطلب وهو على دين قومه ولكن أراد أن يحضر أمر ابن أخيه ليكون متوثقاً له ، فلما اجتمعوا عرفهم العباس بأن ابن أخيه لم يزل في منعة من قومه حيث لم يمكنوا منه أحداً ممن أظهر له العداوة والبغضاء وتحملوا من ذلك أعظم الشدة ، ثم قال لهم : إن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك . والا قدعوه بين عشيرته فانهم ليمكان عظيم . فقال كبيرهم المتكلم عنهم البراء بن معرور : والله لو كان لنا في أنفسنا ما ننطق به لقلناه ولكننا نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله . وعند ذلك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . خذ لنفسك ولربك ما احببت . فقال أشترط لربي أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً . وانفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم متى قدمت عليكم فقال له الهيثم بن التيهان . يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال عهداً وإنا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا ؟ فتبسم عليه السلام ، وقال : بل الدم الدم والهدم

الهدم أي ان طلبتم بدم طالبت به وان اهدرتموه أهدرته .

وحيثذاك ابتدأت المبايعة وهي العقبة الثانية فبايعه الرجال على ما طلب . واول من بايع أسعد بن زرارة ، وقيل البراء بن معرور : ثم تخير منهم اثني عشر تقياً لكل عشيرة منهم واحد ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وهم : ابو الهيثم بن التيهان ، واسعد بن زرارة ، وأسيد بن حضير ، والبراء بن معرور ، ورافع بن مالك وسعد بن ابي خيشمة وسعد بن الربيع ، وسعد بن عباد وعبدا لله بن رواحة ، وعبدا لله بن عمر ، وعبادة بن الصامت ، والمذخر بن عمرو . ثم قال لهم أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحوارين لعيسى ابن مريم وانا كفيل على قومي . ولأمر ما اراده الله بلغ خبر هذه البيعة مشركي قريش فجاءوا ودخلوا شعب الانصار وقالوا : يا معشر الخزرج بلغنا انكم جئتم لصاحبنا تخرجونه من ارضنا وتبايعونه على حربنا ؟ فانكروا ذلك وصار بعض المشركين الذين لم يحضروا المبايعة يحلفون لهم انهم لم يحصل منهم شيء في ايلتهم ، وعبدا لله بن أبي كبير الخزرج يقول : ما كان قومي ليفتاتوا علي بشيء من ذلك .

### هجرة المسلمين الى المدينة

ولما رجع الأنصار الى المدينة ظهر بينهم الاسلام اكثر من المرة الاولى . أما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فازداد عليهم اذى المشركين لما سمعوا انه حالف قوماً عليهم فامر عليه السلام جميع المسلمين بالهجرة الى المدينة فصاروا يتسللون خيفة قريش ان تمنعهم . وأول من خرج ابو سلمة الخزومي زوج ام سلمة ومعه زوجته وكان قوماً منعوها منه ولكنهم اطلقوها بعد فلاحقت به ، وتتابع المهاجرون فراراً بدينهم ليتمكنوا من عبادة الله الذي امتزج حبه بلحمهم ودمهم حتى صاروا لا يعاؤون بمفارقة أوطانهم والابتعاد عن آبائهم وأبنائهم مادام في ذلك رضا الله ورسوله . ولم يبق بمكة منهم الا ابو



بكر وعلى وصهب وزيد بن حارثة وقليلون من المستضعفين الذين لم تمكنهم حلهم من الهجرة ، وقد أراد أبو بكر الهجرة فقال له عليه السلام على رسلك فاني ارجو ان يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال نعم . فخبس أبو بكر نفسه على رسول الله ليصعبه وعلف راحلتين كاتتا عنده ورق السمر استعداداً لذلك .

## وار النبوة

أما قريش فكانوا كأنهم أصابوا لمسّ الشيطان حيناً طرقت مسامعهم مبايعة الأنصار له على الذود عنه حتى الموت فاجتمع رؤسائهم وقادتهم في دار الندوة ، وهي دار قصى بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمر إلا فيها ، يتشاورون ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه فقال قائل منهم : نخرجه من أرضنا كي نستريح منه فرفض هذا الرأي لأنهم قالوا اذا خرج اجتمعت حوله الجموع لما يرونه من حلاوة منطقه وعدوبة لفظه ، وقال آخر : نوثقه ونجسه حتى يدركه ما أدرك الشعراء قبله من الموت فرفض هذا الرأي كسابقه لأنهم قالوا إن الخبز لا يلبث أن يبلغ أنصاره ونحن أدرى الناس بمن دخل في دينه حيث يفضولونه على الآباء والأبناء ، فاذا سمعوا ذلك جاءوا لتخليصه وربما جر هذا من الحرب علينا ما نحن في غنى عنه . وقال لهم طاغيتهم : بل نقتله ، ولنمنع بني أبيه من الاخذ بشأره نأخذ من كل قبيلة شاباً جلداً يجتمعون أمام داره فاذا خرج ضربه ضربة رجل واحد فيفترق دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلهم بل يرضون بالدية ، فأقروا هذا الرأي ، هذا مكرم ولكن إرادة الله فوق كل ارادة ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ فأعلم نبيه بما دبره الاعداء في سرهم وأمره باللاحق بدار هجرته ، بدار فيها ينشر الاسلام ويكون فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم العزة والنعمة وهذا من الحكمة

بمكان عظيم فانه لو انتشر الاسلام بمكة لقال المبغضون إن قريشا أرادوا ملك العرب فعمدوا الى شخص منهم وأوعزوا اليه أنه يدعى هذه الدعوى حتى تكون وسيلة لنيل مآربهم ، ولكنهم كانوا له أعداء الداء آذوه شديد الاذى حتى اختار الله له مفارقة بلادهم والبعده عنهم .

### هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم

فتوجه من ساعته إلى صديقه أبي بكر وأعلمه ان الله قد أذن له في الهجرة فسأله أبو بكر الصحبة فقال نعم ، ثم عرض عليه إحدى راحتيه اللتين كانتا معدتين لذلك فجزأها احث الجهاز وصنعت لهما سفرة في جراب فقطعت اسماء بنت أبي بكر (١) نطاقتها وربطت به على فم الجراب واستأجرا عبد الله بن (٢) أريقط من بني الديل ابن بكر وكان هادياً ماهراً وهو على دين كفار قريش فأمناه ودفعا اليه راحتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال . ثم فارق الرسول عليه السلام أبا بكر وواعداه المقابلة ليلا خارج مكة وكانت هذه الليلة هي ليلة استعداد قريش لتنفيذ ما أقروا عليه فاجتمعوا حول باب الدار ورسول الله داخله ، فلما جاء ميعاد الخروج أمر ابن عمه عليا بالمبيت مكانه كي لا يقع الشك في وجوده أثناء الليل فانهم كانوا يرددون النظر من شقوق القباب ليعلموا وجوده ، ثم سجدوا عليا ببردته وخرج على القوم وهو يقرأ ( وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ) (٣) فألقى الله النوم عليهم حتى لم يره أحد . ولم يزل عليه السلام سائراً حتى تقابل مع الصديق وسارا حتى بلغا غار ثور فاختموا فيه . أما المشركون فلما علموا بفساد مكرهم وأنهم إنما باتوا يجرسون على بن أبي طالب لا محمد بن عبد الله هاجت عواطفهم

(١) لذا سميت ذات النطاق تهذيب السيرة ص ١٦٠

(٢) أريقط ص ١٦٤ السيرة

(٣) سورة يس آية ٩

فأرسلوا الطلب من كل جهة وجعلوا الجوائز لمن يأتي بمحمد و يدل عليه ،  
وقد وصلوا في طلبهم إلى ذلك الغار الذي فيه طلبتهم بحيث لو نظر أحدهم  
تحت قدميه لنظرهما حتى أبكى ذلك أبا بكر فقال له عليه السلام ( لا تخزنن إن  
الله معنا ) فأعمى الله أبصار المشركين حتى لم يحن لأحد منهم التفاتة  
إلى ذلك الغار ؛ بل صار أعدى الأعداء أمية بن خلف يعد لهم اختفاء المطلوبين  
في مثل هذا الغار . فأقاما فيه ثلاث ليال حتى ينقطع الطلب وكان بيت عندهم  
عبد الله بن أبي بكر وهو شاب ثقف ولقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع  
قريش بمكة كبائت بها فلا يسمع امرأ يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر  
ذلك حين يختلط الظلام ، وكان عامر بن فهيرة يروح عليها بقطعة من غنم يراها  
حين تذهب ساعة من العشاء ويغدو بها عليهما ، فاذا خرج من عندهما عبد الله  
تبع أثره عامر بالغنم كيلا يظهر لقدميه أثر . ولما انقطع الطلب خرجا بعد ان  
جاءهما الدليل بالراحتين صبح ثلاث وسارا متبعين طريق الساحل . وفي الطريق  
لحقهم طالباً سراقاً بن مالك المدلجي وكان قد رأى رسل مشركي قريش  
يجعلون في رسول الله وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فيمينا  
هو في مجلس من مجالس قومه بني مدلج اذ أقبل رجل منهم حتى قام عليهم  
وهم جلوس فقال : ياسراقه اني رأيت آنفاً اسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه  
فعرف سراقه انهم هم ، ولكنه اراد ان يثني عزم مخبره عن طلبهم ، فقال :  
انك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا يتبعون ضالة لهم . ثم لبث في المجلس  
ساعة وقام وركب فرسه ثم سار حتى دنا من الرسول ومن معه فعثرت به  
فرسه فخر عنها ، ثم ركبها ثانياً وسار حتى صار يسمع قراءة المصطفى وهو  
لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات فساخت قائمتا فرس سراقه في الأرض حتى  
بلغتا الركبتين فخر عنها ثم زجرها حتى نهضت فلم تكد تخرج يديها حتى سطع  
لأثرهما غبار ساطع في السماء مثل الدخان فعلم سراقه ان عمله ضائع سدى وداخله

رعب عظيم فناداهما بالأمان ، فوقف عليه السلام ومن معه حتى جاءهم . ويقول  
سراقة : وقع في نفسي حين لقيت ما لقيت ان سيظهر امر رسول الله فقلت ان  
قومك قد جعلوا فيك الدية واخبرها بما يريد بهما الناس وعرض عليهما الزاد  
والمناج فم يأخذا منه شيئا بل قالوا له : اخف عنا فسأله سراقة ان يكتب له  
كتاب امن فأمر ابا بكر فكتب . وبذلك انقضت هذه المشكلة التي اظهر الله  
فيها مزيد عنايته برسوله ، وكان اهل المدينة حينما سمعوا بخروج رسول الله  
وقدومه عليهم يخرجون الى الحرة (١) حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما  
بعد ان طال انتظارهم فلما آووا الى بيوتهم اوفى رجل من يهود على اطم (٢)  
من آطامهم لأمر ينظر اليه فبصر برسول الله واصحابه يزول بهم السراب يظهرهم تارة  
ويخفيهم أخرى ، فقال اليهودي (٣) بأعلى صوته : يامعشر العرب هذا جدكم  
أى حاكم الذي تنتظرون ، فثاروا الى السلاح فتلقوا رسول الله بظهرة الحرة .

### النزول بقاء

فعدل بها ذات اليمين حتى نزل (٤) بهم في بني عمرو بن عوف بقاء ،  
والذي حققه المرحوم محمود باشا الفلكي ان ذلك كان في اليوم الثاني من ربيع  
الأول الذي يوافق ٢٠ ايلول سبتمبر سنة ٦٢٢ وهذا أول تاريخ جديد (٥) لظهور  
الاسلام بعد ان مضى عليه ثلاث عشرة سنة وهو مضيق عليه من مشركي قريش

(١) هي الارض ذات الحجارة السود وكانت المدينة محاطة بجمة حرات

(٢) يقصد بمكان مرتفع

(٣) وهو أول من رأى الرسول صلى الله عليه وسلم فصرخ بأعلى صوته : يا بني قبيلة هذا جدكم  
قد جاء تهذيب السيرة ص ١٦٦

(٤) فكانت مدة النزول أربعة ايام .

(٥) لما اراد المسلمون في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضع التاريخ جعلوا مبدأه من هذه  
الهجرة الشريفة ولعدم المخالفة بين مبدأ الهجرة وبدء السنة الهلالية قدموا ميعاد الهجرة شهرين  
وأياما وجعلوا بدء الهجرة من محرم سنتها .

ورسول الله ممنوع من الجهر بعبادة ربه أما الآن فقد آواه الله هو وصحابته  
رضوان الله عليهم بعد ان كانوا قليلا يتخطفهم الناس

### هجرة الانبياء

وبهذه الهجرة تمت لرسولنا ﷺ سنة اخوانه من الانبياء من قبله ، فما  
من نبي منهم إلا نبت به بلاد نشأته فهاجر عنها من ابراهيم أبي الانبياء و خليل  
الله الى عيسى كلة الله وروحـه ، كلهم على عظيم درجاتهم ورفعة مقامهم أهينوا  
من عشائـرهم فصبروا ليكونوا مثالا لمن يأتي بعدهم من متبعيهم في الثبات والصبر  
على المكاره مادام ذلك في طاعة الله . فسل مصر وتاريخها تنبئك عن اسرائيل  
( يعقوب ) وبنيه انهم هاجروا اليها حينما رأوا من بنينا ترحيا بهم وتركهم  
وما يعبدون إكراما ليوسف وحكمته : ولما مضت سنون نبي فيها المصريون  
تديبر يوسف وفضله عليهم فاضطهدوا بني اسرائيل وآذوهم خرج بهم موسى وهارون  
ليتمكنوا من اعطاء الله حقه في عبادته ، وهرب المسيح عليه السلام من اليهود  
حينما كذبوه فأرادوا الفتك به حتى كان من ضمن تعاليمه لتلاميذه ( طوبى  
للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات ) ثم قال بعد ( افرحوا  
وتهللوا لأن اجركم عظيم في السموات فانهم طردوا الانبياء الذين قبلكم ) وسل  
القرى حلت بها نقمة الله لكفر أهلها كديار لوط وعاد وثمود تنبئك عن مهاجرة  
الانبياء منها قبل حلول النقمة ، فلا غرابة أن هاجر عليه السلام من بلاد منعه  
أهلها من تميم ماأراده الله ( سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن يتجدد  
لسنة الله تبديلا )

### أعمال مكة

هذا ، ولنين لك بجمل ما عاد اليه الرسول عليه السلام بمكة من اصول  
الدين وذلك أمران : ( الاول ) الاعتقاد بوحدانية الله وألا يشرك معه في

العبادة غيره سواء كان ذلك الغير صنما كما يفعل مشركو مكة أو أبا أو زوجة أو بنتا كما عليه بعض الطوائف الأخرى كالنصارى . لولا الاعتقاد بوحدانية الله ما كلف احد نفسه تكاليف الحياة من آداب الاخلاق بل كان يسير فيما تأمره به نفسه من شهواتها وملذاتها مادام ذلك خافيا عن الناس ( الثاني ) الاعتقاد بالبعث والنشور وأن هناك يوما ثانيا للإنسان يجازى فيه على ما صنع في الدنيا إن خيرا فخير وإن شرا فشر . وعلى هذين الأمرين جاء غالب الآي المكية ، فقلما ترى سورة من سور مكة إلا مشجونة بالاستدلال عليها وتوبيخ من تركها . وكل ذلك بأساليب تأخذ بالعقل وبراهين لا تحتاج لفلسفة الذين يشغلون انفسهم بمالا طائل تحته مما يضيع الوقت مدى . ونزل على رسول الله ﷺ بمكة من القرآن معظمه وهو ماعدا ثلاثا وعشرين سورة منه . وهي : البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الانفال ، التوبة ، الحج ، النور ، الأحزاب ، القتال ، الفتح ، الحجرات ، الحديد ، المجادلة ، الحشر ، المتحنة ، الصف ، الجمعة ، المنافقون ، التغابن ، الطلاق ، التحريم ، النصر . هذه كلها مدنية وبقية القرآن مكى

ولما نزل عليه السلام بقباء نزل على شيخ بني عمرو كلثوم بن الهدم وكان يجلس للناس ويتحدث لهم في بيت سعد بن خيثة لأنه كان عزبا ( ١ ) . ونزل أبو بكر بالسنع ( محلة بالمدينة ) على خارجة بن زيد من بني الحارث من الخزرج

### مسجد قباء

وأقام رسول الله بقباء ليالى أسس فيها مسجد قباء الذى وصفه بأنه مسجد أسس على التقوى من أول يوم صلى فيه عليه السلام بمن معه من الأنصار والمهاجرين وهم آمنون مطمئنون . وكانت المساجد على عهد رسول في غاية من البساطة ليس فيها شيء مما اعتاده بناء المساجد في القرون الأخيرة ،

( ١ ) اي ليس له زوجة

لأن الرسول وأصحابه لم يكن جل همهم إلا منصرفاً لتزيين (١) القلوب وتنظيفها من حظ الشيطان ، فكان سور المسجد لا يتجاوز القامة وفوقه مظلة يتقى بها حر الشمس .

### الوصول الى المدينة

ثم تحول عليه السلام الى المدينة والأنصار محيطون به متقلدي سيوفهم ، وهنا حدث ولا حرج عن شرور اهل المدينة فكان يوم تحوله إليهم يوماً سعيداً لم يروا فرحين بشيء فرحهم برسول الله وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وكان الناس يسرون وراء رسول الله ما بين ماش وراكب يتنازعون زمام ناقته كل يريد أن يكون نزيله

### أول جمعة

وأدركته عليه السلام صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف فنزل وصلاها وهذه أول جمعة له عليه السلام . وأول خطبة خطبها عليه السلام حمد الله

---

(١) المراد انهم دائماً بمراقبة الله ويذكر الله لان القلب زينته ونظافته وجلالته ذكر الله . (ش)

وأثنى (١) عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس فقدموا لانفسكم ؛ تعامنوا والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ، ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ؛ ألم يأتك رسولى فبلغك وآيتك مالا وأفضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ، فلينظرن يمينا وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدماه فلا غير جهنم . فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فكلمة طيبة فانها تجزي الحسنة عشرة امثالها إلى سبعمائة ضعف . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

### النزول على ابي ايوب

ثم ساروا . وكلما مروا على دار من دور الأنصار يتضرع اليه أهلها بأن ينزل عندهم ويأخذون بزمام الناقة فيقول دعوها فانها مأمورة ولم تزل سائرة حتى أتت بفناء بني عدى بن النجار وهم أخواله الذين تزوج منهم هاشم جده فبركت بحلة من محلاتهم أمام دار أبي ايوب الأنصاري واسمه خالد بن زيد (٢) وذلك محل مسجده الشريف فقال عليه السلام : ههنا المنزل ان شاء الله ﴿ رَبِّ أَنْزَلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ فاحتمل أبو ايوب رحله ووضعها في منزله . وجاء اسعد بن زرارة فأخذ بزمام ناقته فكانت عنده ، وخرجت ولائد

(١) ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس مرة اخرى فقال :

إن الحمد لله أحمده واستعينه نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ان أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى وقد أفلح من زينه الله في قلبه وادخله في الاسلام بعد الكفر واختاره على من أحاديث الناس انه احسن الحديث وابلغه احبوا ما أحب الله أحبوا الله من كل قلوبكم وقلوبكم وقلوبكم كلام الله وذكره ولا تقس عنه قلوبكم فانه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى قد سماه الله خيرته من الاعمال ومصطفاه من العباد والصالح من الحديث ومن كل ما أوتي الناس الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتقوه حق تقاته واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم ان الله يفضب ان ينكت عهده والسلام تهذيب السيرة ١٧٤

(٢) توفى زمن معارية في حصار القسطنطينية ودفن خارج المدينة



بني النجار يقلن :

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فقال عليه السلام : اتجبنني ؟ فقلن نعم ، فقال : الله يعلم أن قلبي يمكن  
واختار عليه السلام النزول في الدور الأسفل من دار أبي أيوب ، ليكون  
أريح لثأريه ، ولكن لم يرض رضي الله عنه ذلك كرامة لرسول الله لما يمكن  
أن يصيبه من التراب الذي يحدثه وطء الأقدام أو الماء الذي يهراق ، فقد  
اتفق أن كسرت من زوجته جرة ماء بالليل فقام هو وهي بقطيفتهما التي ليس  
لها غيرها ، يسحان الماء خوفا على رسول الله ، ولذلك لم يزل أبو أيوب  
يستعطفه حتى كان في العلو . وكانت تأتيه (١) الجفان كل ليلة من سراة  
الانصار كسعد بن أبي عبادة واسعد بن زرارة وأم زيد بن ثابت : فما من  
ليلة إلا وعلى بابه الثلاث أو الأربع من جفان الثريد .

### نزول المهاجرين

ولما تحول مع رسول الله أغلب المهاجرين تنافس فيهم الانصار فحكموا  
القرعة بينهم . فما نزل مهاجر على انصاري إلا بقرعة .

### أفرة الاسلام

ومن يتأمل إلى هذه المحبة التي يستحيل أن تكون بتأثير بشر ، بل بفضل من  
الله ورحمته ، يفهم كيف انتصر هؤلاء الاقوام على معانديهم من المشركين وأهل  
الكتاب مع قلة العدد والعدد .

وكان الانصار يؤثرون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم قال تعالى في سورة  
الحشر ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ

(١) القصة وجمعها جفان ١٥ مختار الصحاح ص ٨٨

و لا يجِدُونَ في صُدورهم حَاجةً مِمَّا أُوتُوا ويؤثرونَ على أنفُسهم ولو كانَ بهم خِصاصةٌ ومن يُوقَ شُحَّ نَفسهِ قَأُولَتِكَ هُمُ المفلِحُونَ ﴿ وهذا أعلى درجاتِ الاخوة . وكل ذلك كانوا يرونه قليلا بالنسبة لما وجب عليهم لآخوانهم فان رسول الله ﷺ ليتمكن بينهم الاخوان آخى بين المهاجرين والانصار فكان كل انصاري وزيله أخوين في الله . ومن العيب ان نكلف القلم ان يوضح للقاري ان هذه الاخوة كانت ارقى بكثير من الاخوة العصبية . بل نكل ذلك للاحساس الاسلامي فانه افصح منطلقا من القلم . وعلى الاجمال فملك قلوب الف الله بينها حتى صارت شيئا واحداً في اجسام متفرقة ، وعسى الله ان يوفق مسلمي عصرنا الى هذا الاخوان حتى يسودوا كما ساد المتحدون . وكان هذا الاخوان على المواساة والحق وان يتوارثوا بعد الموت ، دون ذوي الارحام . وكان عليه السلام يقول لكل اثنين ( تآخيا في الله اخوين اخوين ) ودام هذا الميراث الى ان انزل الله سبحانه قوله في سورة الاحزاب ﴿ وَأُولُو الارحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾

### هجرة أهل البيت

ولما استقر عليه السلام بالمدينة ارسل زيد بن حارثة وابا رافع الى مكة ليأتيا بمن خلف من اهله وارسل معهما عبدالله بن اريقط يدلها على الطريق فقدا بفاطمة وام كلثوم بنتيه عليه السلام ، وسودة زوجة وام امين زوج زيد وابنها اسامة . اما زينب فمنعها زوجها ابو العاص بن الربيع وخرج مع الجميع عبد الله بن ابي بكر بأم رومان زوج ابيه وعائشة اخته واسماء زوج ابي زيد بن العوام ؛ وكانت حاملا بابنها عبد الله وهو اول بولود للمهاجرين بالمدينة

### صحة المدينة

ولم يكن هواء المدينة في البدء موافقا للمهاجرين من اهل مكة فأصاب

كثيراً منهم الحمي ، وكان رسول الله يعوذبهم فلما شكوا اليه الامر قال :  
اللهم (١) حبيب الينا المدينة كما حبت الينا مكة واشد ، وبارك لنا في مدها  
وفي صاعها ، وانقل وباءها الى الجحفة (٢) فاستجاب الله جل وعلا ، دعوته  
وعاش المهاجرون في المدينة بسلام

### منع المستضعفين من الهجرة

ومنع مشركو مكة بعضاً من المسلمين من الهجرة وحبسهم وعذبوهم  
منهم الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص ، فكان عليه السلام  
يدعو لهم في صلاته . وهذا أصل القنوت . وقد حصل في أوقات مختلفة  
ومحال في الصلاة مختلفة ، فكان في وتر العشاء وصلاة الصبح بعد الركوع  
وقبله ، فروى كل صحابي ما رآه . وهذا سبب اختلاف الأئمة (٣) في  
مكان القنوت .

(١) كان الرسول ﷺ من دعائه في بركة الاماكن في الحديث الذي رواه الترمذي  
عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم  
بارك لنا في شامنا وبارك لنا في يمننا قالوا وفي نجدنا قال اللهم بارك لنا في شامنا  
وبارك لنا في يمننا قالوا وفي نجدنا قال هناك الزلازل والفتن ومنها يخرج  
قرن الشيطان .

(٢) قرية على اثنين وثمانين ميلاً من مكة وهي ميقات اهل الشام واسمها مهيمه

(٣) ان اختلاف الأئمة رضي الله عنهم في وقت القنوت اي الدعاء كل ذلك  
حسب الاجتهاد الذي قرره قواعد الاصول لكل مجتهد .

فتري : الاحاديث الواردة في الموضوع هي :

عن سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه : لما رفع النبي صلى الله عليه  
وسلم رأسه من الركعة الاخيرة من صلاة الصبح قال اللهم انج الوليد وسله بن هشام

وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشد دوطأتك على مضر واجعلها  
عليهم سنين كسني يوسف وفي رواية لهما : قنت بعد الركوع في صلاته شهراً يدعو  
لفلان وفلان ثم ترك الدعاء ولهما من حديث انس قنت شهراً بعد الركوع يدعو  
على احياء من احياء العرب ثم تركه زاد الدار قطني والحاكم والبيهقي وصححوا  
فاما في الصبح فلم يزل يقنت حتى فارق الدنيا .

١ - ان هذا الحديث حجة لمن استحب القنوت في صلاة الصبح وهو -  
قول مالك والشافعي .

٢ - ذهب ابو حنيفة والليث بن سعد انه لا قنوت في الفجر ولا في غيرها من  
الصلوات ولا في الوتر ايضا واستدلوا بحديث : قنت شهراً ثم تركه  
فمسألة القنوت من مسائل الاختلاف التي تعارضت فيها الأدلة وافردت  
تصانيف كثيرة للعلماء .

ولكن عند الامام احمد واسحاق : لا يقنت في الفجر الا عند نازلة تنزل بالمسلمين  
ومن اراد التوسعة فليراجع طرح التثريب جزء ثان ص ٢٨٨ هـ باختصار .

اما خلاصة المذهب الحنفي : ان نزل بالمسلمين نازلة قنت الامام في صلاة الجهر  
وهو قول الثوري واحمد وقال جمهور اهل الحديث القنوت عند التوازل  
مشروع في الصلوات كلها وقال الامام جعفر الطحاوي : انما لا يقنت عندنا في  
الفجر من غير بلية فان وقعت فتنة او بلية فلا بأس به فعله رسول الله صلى الله  
عليه وسلم اي بعد الركوع هـ باختصار حاشية الطحاوي ص ٢٠٧

## السنة الأولى - بناء المسجد

ثم شرع عليه السلام في بناء مسجده في مبرك ناقته امام محلة بني النجار ، وكان محله مربدا للتمر يملكه غلامان يتيمان في حجر أسعد بن زرارة فدعا الغلامين وسامها المريد ليتخذن مسجدا فقلا بل نهيه لك يا رسول الله ، فأبى عليه السلام أن يقبله منهما هبة بل ابتاعه منها . وكان فيه قبور للمشركين وبعض حفر ونخل ، فأمر بالقبور فنبشت وبالحفر فسويت وبالنخل فقطع . ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وشرعوا في البناء به ، وجعلوا عضادتي الباب من الحجارة وسقفوه بالجريد وجعلت عمدته من جذوع النخل ولا يزيد ارتفاعه عن القامة الا القليل وقد عمل فيه رسول الله بنفسه ليرغب في المسلمين في العمل ، وصاروا يرتجزون وهو يقول معهم :

(١) اللهم لا خير إلا خير الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة  
وجعلت قبلة المسجد في شماله الى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب ثم  
حصبت أرضه لأن المطر كان قد أثر فيه ، فأمر عليه السلام بحصبه ، ولم  
يزين المسجد بفرش حتي ولا بالحصر . وبني بجانبه حجرتان إحدهما لسودة  
بنت زمعة والأخرى لعائشة ، ولم يكن عليه السلام متزوجاً غيرهما اذ ذاك ،  
وكانت الحجرتان متجاورتين ، وملاصقتين للمسجد على شكل بنائه . وصارت  
الحجرات تبتي كلما جاء زوج .

(١) فقال قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون :

لاعيش الا عيش الآخرة اللهم ارحم الانصار والمهاجرة

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا عيش الا عيش الآخرة اللهم ارحم المهاجرين

والانصار . رواه احمد عن انس المناوي ٢-١٠٠ تهذيب السيرة ص ١٧٠

## برء الأذان

أوجب الله الصلاة على المؤمنين ليكونوا دائماً متذكرين عظمة العلي الأعلى،  
فيتبعون أوامره ويجتنبون نواهيه ، ولذلك قال في محكم كتابه في سورة  
المنكبات ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ نَهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ \* وجعل أفضل  
الصلاة ما كان جماعة ليذاكر المسلمون بعضهم بعضاً في شؤونهم واحتياجاتهم  
ويقووا روابط الألفة والاتحاد بينهم . ومتى حان وقت الصلاة فلا بد من عمل  
ينبه الغافل ويذكر الساهي ، حتى يكون الاجتماع عاماً فأتم النبي عليه الصلاة  
والسلام مع الصحابة فيما يفعل لذلك . فقال بعضهم : زرفع راية إذا حان وقت  
الصلاة ، ليراهم الناس ، فلم يرضوا ذلك لأنها لا تفيد النائم ولا الغافل ، وقال  
الآخرون : نشعل ناراً على مرتفع من الهضاب فلم يقبل أيضاً . وأشار آخرون  
ببوق وهو ما كانت اليهود تستعمله لصلواتهم ؛ فكرهه رسول الله ، لأنه لم  
يكن يجب تقليد اليهود في عمل ما ، وأشار بعضهم بالناقوس . وهو ما  
يستعمله النصارى . فكرهه الرسول أيضاً . وأشار بعضهم بالنداء فيقوم بعض  
الناس اذا حانت الصلاة وينادى بها ققبل هذا الرأي . وكان أحد المنادين  
عبد الله بن زيد الانصاري ، فبينما هو بين النائم واليقظان إذ عرض له شخص  
وقال . ألا أعلمك كلمات تقولها عند النداء بالصلاة ؟ قال بلى ، قال له . قل  
الله أكبر الله أكبر مرتين ، وتشهد مرتين ، ثم قل حي على الصلاة مرتين  
حي على الفلاح مرتين ، ثم كبر ربك مرتين ، ثم قل لا إله الا الله ،  
فلما استيقظ توجه الى النبي ﷺ وأخبره خبر رؤياه ، فقال : إنها لرؤيا حق ،  
ثم قال له لقرن ذلك بلالا فإنه أندى صوتاً منك . وبينما بلال يؤذن إذ جاء  
عمر بن الخطاب رداءه فقال والله لقد رأيت مثله يا رسول الله . وكان بلال أحد  
مؤذنيه بالمدينة والآخر عبدالله بن أم مكتوم ، وكان بلال يقول في أذان

الصبح بعد حي على الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين وأقره الرسول على ذلك وكان عليه السلام يأمر في فجر رمضان بأذنين أولهما يوقظ به الغافلون حتى ينتبهوا للسحور . والثاني للصلاة . أما الأذان للجمعة فكان أوله إذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ، فلما كان عثمان وكثير الناس زاد نداء آخر على الزوراء رواه البخاري ، ولما تولى هشام بن عبد الملك أخذ الاذان الذي زاده عثمان بالزوراء وجعله على المنار ، ثم نقل الاذان الذي كان على المنار حين صعود الامام على المنبر في العهد الاول بين يديه .

فعلم بذلك أن الأذان في المسجد بين يدي الخطيب « بدعة » أحدثها هشام بن عبد الملك . ولا معنى لهذا الأذان لأنه هو نداء الى الصلاة ومن هو في المسجد لا معنى لندائه ، ومن هو خارج المسجد لا يسمع النداء اذا كان النداء في المسجد . ذكر ذلك الشيخ محمد بن الحاج في المدخل .

قال الحافظ في فتح الباري : وأما ما أحدث الناس قبل الجمعة من الدعاء اليها بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهو في بعض البلاد دون بعض . واتباع السلف الصالح أولى . اهـ .

فعلم من ذلك كله أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أذان الجمعة انه كان إذا جلس على المنبر أذن مؤذنه على المنار فاذا انتهت الخطبة أقيمت الصلاة وما عدا ذلك فكله ابتداء .

أما الاقامة وهي الدعوة للصلاة في المسجد فقد اختلفت الروايات في نصها فرواها محمد بن إدريس الشافعي مفردة الالفظ ( قد قامت الصلاة ) ثمتى ، ورواها مالك بن أنس مفردة كلها . ورواها أبو حنيفة النعمان مثني كلها .

## يهود المدينة

هذا ، وكما ابتلى المسلمين في مكة بمشركي قريش ابتلاهم في المدينة بيهودها ،  
وهم : بنو قينقاع ، وقريظة ، والنضير ، فانهم أظهروا العداوة والبغضاء حسداً  
من عند أنفسهم من ما بعد تبين لهم أنه الحق وكانوا قبل مجيء الرسول يستفتحون  
على المشركين من العرب إذا شبت الحرب بين الفريقين بنبي يبعث قد قرب  
زمانه ، فلما جاءهم ما عرفوا استعظم رؤسائهم أن تكون النبوة في ولد إسماعيل  
فكفروا بما أنزل الله بغيا مع أنهم يرون أن رسول الله محمداً لم يأت إلا  
مصدقاً لما بين يديه من كتب الله التي أنزلها على من سبقه من المرسلين مبيناً  
ما أفسده التأويل منها ، ولكنهم نبذوه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . ومما  
عابوه على الاسلام نسخ الأحكام وما دروا أن القادر العليم يعلم ما يحتاج  
اليه الانسان أكثر منهم ، فانه ميال بطبعه للترقى ، والرسول عليه السلام  
وجد بادية بدء بين جماعة من العرب أميين ليسوا على شيء من الاعتقادات  
الالهية فكانت الحكمة داعية لأن يكون التشريع لهم على التدرج ، لانه  
لو حرّم الله عليهم شرب الخمر وأكل الربا وأمرهم بالصلاة والزكاة وهكذا الى  
آخر الأوامر والمناهي التي جاء بها الشرع الاسلامي لما أجابه أحد من هؤلاء  
النافرة قلوبهم المختلفة أهوائهم الذين كانوا منغمسين في كثير من الاضاليل ،  
فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر شيئاً فشيئاً حتى روّضت عقولهم  
وهذبت نفوسهم وكانت الاحكام لا ينزلها الله عليه إلا عقب الحوادث التي  
تقتضيها ليكون التأثير في النفوس أشد ، ولكن اليهود أرادوا غل القدرة عن  
أن تفعل إلا ما يشتهون . وقد حججهم القرآن الشريف ، بما يدل على أنهم  
يعلمون من نفوسهم البعد عن الحق ، فقال في سورة البقرة ﴿ قُلْ إِنْ



كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت  
 ان كنتم صادقين \* ثم ختم جل ذكره عدم اجابتهم بقوله \* ولن يتمنوه  
 أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين \* فلو كانوا يعلمون من انفسهم  
 أنهم على الحق لما تأخروا عما طلب منهم مع سهولته وحرصهم على تكذيب  
 الصادق الأمين ولم ينقل لنا عن أحد منهم أنه تمنى ذلك ولو نطقاً باللسان. وقد  
 تبين الهدى لأحد رؤساء بني قينقاع ، وهو عبد الله بن سلام . فترك هـواه  
 واسلم بعد أن سمع القرآن وبعد أن كان اليهود يعدونه من رؤسائهم عدوه من  
 سفهائهم حينما بلغهم إسلامه فبئسما اشتروا لأنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا  
 أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده . ولما استحسنت في قلوبهم  
 عداوة الاسلام صاروا يجهدون أنفسهم في إطفاء نوره \* ويأبى الله إلا أن  
 يتم نوره ولو كره الكافرون \* .

### (١) المنافقون

وكان يساعدهم على مقاصدهم جماعة من عرب المدينة أعمى الله بصائرهم  
 فأخفوا كفرهم خوفاً على حياتهم ، وكان يرأس هذه الجماعة عبدالله بن أبي  
 ابن سلول الخزرجي الذي كان مرشحاً لرياسة أهل المدينة قبل هجرة رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ، ولا شك أن ضرر المنافقين أشد على المسلمين من  
 ضرر الكفار ، لأن أولئك يدخلون بين المسلمين فيعلمون أسرارهم ،

(١) إن الله سبحانه وتعالى أفرد سورة خاصة بالمنافقين وإن من خلفه صلى الله عليه وسلم كان  
 يعلم المنافقين ولكن لا يقتلهم حتى لا يقال إن محمداً قتل أصحابه وإن النفاق هو عبارة أن  
 يظهر شيئاً ويبطن خلافه هذا هو النفاق الديني أما النفاق الاجتماعي : يظهر بمظهر علمي أو  
 اخلاقي أو صلاح لذا قال صلى الله عليه وسلم : أخوف ما أخاف على امتي كل منافق عليم  
 اللسان وفي رواية عالم اللسان جاهل القلب والعمل .

سئل حذيفة من المنافق : قال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به ( اه شارح )

ويشيعونها بين الأعداء من اليهود وغيرهم كما حصل ذلك مرارا . والأساس الذي كان عليه رسول الله أن يقبل ما ظهر وبترك لله ما بطن ، ولكنه عليه السلام مع ذلك كان لا يأمنهم في عمل ما فكثيرا ما كان يتغيب عن المدينة ويولى عليها بعض الانصار ولكن لم يعهد أنه ولى رجلا ممن عهد عليه النفاق ، لأنه عليه السلام يعلم ما يكون منهم لو ولوا عملا فانهم بلا شك يتخذون ذلك فرصة لاضرار المسلمين ، وهذا درس مهم لرؤساء الاسلام يعلمهم أنهم لا يثقون في الأعمال المهمة إلا بمن لم يظهر عليهم شبهة النفاق ، أو إظهار ما يخالف ما في الفؤاد .

### معاهدة اليهود

هذا ، وقد علمت أنه كان يضاد المسلمين في المدينة فثان : اليهود والنفاقون ، ولكن الرسول قبل من هؤلاء ظواهرهم ، وعقد مع اوائك عهداً مقتضاه ترك الحرب والأذى فلا يحاربهم ولا يؤذيهم ولا يعينون عليه احداً ، وإن دمه بالمدينة عدو ينصرونة وأقرهم على دينهم .

### مروعة القتال

قد علم مما تقدم أن رسول الله عليه السلام لم يقاتل أحداً على الدخول في الدين بل كان الأمر قاصراً على التبشير والانذار وكان الله سبحانه ينزل عليه من الآي ما يقويه على الصبر أمام ما كان يلاقه من أذى قريش ، ومن ذلك قوله في سورة الاحقاف : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ﴾ . وكان كثيراً ما يقص الله عليه أبناء اخوانه من المرسلين

قبله ليثبت به فؤاده (١) . ولما ازداد طغيان اهل مكة أُلجأ الى الخروج من داره بعد أن ائتمروا على قتله ، فكانوا هم البادئين بالعداء على المسلمين حيث أخرجوهم من ديارهم بغير حق فبعد الهجرة أذن الله للمهاجرين بقتال مشركي قريش بقوله في سورة الحج ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ ﴾ ثم أمرهم بذلك في قوله في سورة البقرة ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ . وبذلك لم يكن الرسول يتعرض إلا لقريش دون سائر العرب . فلما تملاً على المسلمين غير أهل مكة من مشركي العرب واتحدوا عليهم مع الاعداء أمر الله بقتال المشركين كافة بقوله في سورة التوبة ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ وبذلك صار الجهاد عاماً لكل من ليس له كتاب من الوثنيين ، وهذا مصداق قوله عليه السلام (٢) أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ) . ولما وجد المسلمون من اليهود خيانة لليهود حيث إنهم ساعدوا المشركين في حروبهم أمر الله بقتالهم بقوله في سورة الأنفال ﴿ وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ وقتالهم واجب حتى يدينوا أو يعطوا الجزية عن

(١) كما قال تعالى في سورة هود آية [١٢٠]: وكلاً نقص عليك من انباء الرسل ما ثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكري للمؤمنين .

(٢) متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما .

يدوهم صاغرون ليأمن المسلمون جانبهم . وصار قتال رسول الله الأعداء  
على هذه المبادئ الآتية :

(١) اعتبار مشركي قريش محاربين لأنهم بدأوا بالعدوان فصار للمسلمين  
قتالهم ومصادرة تجارتهم حتى يأذن الله بفتح مكة أو تعقد هدنة  
وقتية بين الطرفين

(٢) متى رئي من اليهود خيانة وتحيز للمشركين قوتلوا حتى يؤمن  
جانبهم بالنبي أو يقتل .

(٣) متى تعدت قبيلة من العرب على المسلمين أو ساعدت قريشاً قوتلت  
حتى تدين بالاسلام .

(٤) كل من بدأ بعداوة من أهل الكتاب كالنصارى قوتل حتى يذعن  
بالاسلام أو يعطي الجزية عن يده وهو صاغر .

(٥) كل من اسلم فقد عصم دمه وماله إلا بحقه والاسلام يقطع  
ما قبله .

وقد أنزل الله في القرآن الكريم كثير من الآي تحريضا على الاقدام في  
قتال الأعداء وتبعيداً عن الفرار من الزحف فقال في الموضوع الاول في سورة  
النساء ﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ  
يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾  
وقال في الموضوع الثاني في سورة الانفال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا  
لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْاِدْبَارَ وَمَنْ يُؤْمَرْ بِدُبُرِهِ  
إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ  
جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

## بدء القتال

كانت عادة قريش أن تذهب بتجارها إلى الشام لتبيع وتبتاع ، ويسمى الركب السائر بهذه التجارة عيرا ، وكان يسير معها لحراستها كثير من اشراف القوم وسراهم . ولا بد لوصولهم إلى الشام من المرور على دار الهجرة فرأى رسول الله ﷺ ان يصادر تجارتهم ذاهبة وآية ليكون في ذلك عقاب لمشركي مكة حتى تضعف قوتهم المالية فيكون ذلك ادعى لخذلانهم في ميدان القتال الذي لا بد ان يكون ، لان قريشا لم تكن لتسكت عن سفه احلامهم وعاب عبادتهم خصوصا وهم قدوة العرب في الدين .

## سرية (١)

في شهر رمضان ارسل عمه حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين رجلا من المهاجرين وعقد له لواء ايض حمله ابو مرثد حليف حمزة ليعترض عيرا لقريش آية من الشام فيها ابو جهل وثلاثمائة من اصحابه المشركين فسار حمزة حتى وصل ساحل البحر من ناحية العيص (٢) فصادف العير هناك . فلما تصافوا للقتال حجز بين الفريقين مجدي بن عمرو الجهني فأطاعوه وانصرفوا ، وشكر عليه السلام مجديا على عمله لما كان من قلة عدد المسلمين وكثرة عددهم .

وفي شوال أرسل عبيدة بن الحارث ابن عم حمزة في ثمانين راكبا من المهاجرين وعقد له لواء ايض حمله مسطح بن اثانة ليعترض عيرا لقريش فيها

(١) السرية قطعة من الجيش ، ونريد بها كل غزاة لم يكن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي كان فيها تسمى غزوة .

(٢) عرض من اعراض المدينة اي ناحية منها .

مائتا رجل فوافوا العير يبطن رابع (١) فكان بينهم الرمي بالتبديل ثم خاف  
المشركون أن يكون للمسلمين كمين فانهزموا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين  
الى المسلمين المقداد بن الاسود وعتبة بن غزوان وكانا قد أسلما وخرجا ليلحقا  
بالمسلمين

## وفيات

وفي هذه السنة توفي من المهاجرين عثمان بن مظعون أخو رسول الله  
ﷺ من الرضاع ، أسلم قديما وهاجر الهجرتين . ولما دفن أمر عليه  
السلام بأن يرش قبره بالماء ووضع على قبره حجرا وقال : أتعلم به قبر أخي  
وأدفن اليه من مات من أهلي . وهذا كان القصد من وضع الاحجار على  
المقابر ، لا ما يقصده أهل العصور الاخيرة من تشييد الهياكل (٢) على القبور  
وتصويرها بصور ترى في عين الناظر كالأصنام ليأتي أقارب الميت ويصنعوا عندها  
احتفالات كثيرة تشبه ما كان يفعله مشركوا مكة عند معابدهم . ومن العتب  
فعل شيء لم يفعله رسول الله ﷺ مما يتعلق بأمور الآخرة .

ومات من الأنصار أسعد بن زرارة أحد النقباء الاثني عشر . كان رضي  
الله عنه نقيب بني النجار ، ولما مات اختار رسول الله ﷺ نفسه للنقباء عليهم  
لأن ابن أخت القوم منهم ، ومات ايضا البراء بن معرور أحد النقباء وهو  
الذي كان يتكلم عن القوم في العقبة الثانية ، ومات من مشركي مكة في  
هذه السنة الوليد بن المغيرة ولما احتضر جزع فقال له أبو جهل : ماجزعك  
ياعم ؟ فقال : والله ما بي من جزع من الموت ولكن اخاف أن يظهر دين ابن  
أبي كبشة بمكة فقال أبو سفيان : لا تخف إني ضامن ألا يظهر ، وفيها

(١) واد بين الحرمين قرب البحر

(٢) إن الصحابة رضي الله عنهم شيدوا ضريح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة اشد  
تمسكا منا بدين الله اهش

أيضا مات العاص بن وائل السهمي ، وقد كفى الله المسلمين شر هذين الشقيين .

## السنّة الثانیة

### غزوة ودان

ولاثنتي عشرة ليلة خلت من السنة الثانية خرج رسول الله ﷺ من المدينة ، بعد أن استخف عليها سعد بن عبادة ليعترض عيراً لقريش ، فسار حتى بلغ ودان (١) وكان يحمل لواء عمه حمزة ولم يلق هناك حرباً لأن العير كانت قد سبقته . وفي هذه الغزوة صالح بني ضمرة على أنهم آمنون على أنفسهم ولهم النصر على من رامهم وأن عليهم نصرة المسلمين إذا دعوا . ثم رجع المسلمون إلى المدينة بعد مضي خمس عشرة ليلة .

### غزوة البواط

ولم يمض على رجوعه غير قليل حتى بلغه أن عيراً لقريش آية من الشام فيها أمية بن خلف ومائة من قريش وألفان وخمسمائة بعير فسار إليها في مائتين من المهاجرين ، وذلك في ربيع الأول وكان يحمل لواء سعد بن أبي وقاص ، فسار حتى بلغ بواط (١) فوجد العير قد فاتته فرجع ولم يلق كيدا . وذلك كله لما كان يأخذه المشركون من الحذر على أنفسهم والاجتهاد في تعمية أخبارهم عن أهل المدينة .

### غزوة العُسيرة

وأعقب رجوعه عليه السلام خروج قريش بأعظم عير لها ، فقد جمعوا

(١) قرية بين مكة والمدينة بينها وبين الأبواء ستة أميال

(٢) جبال جهينة على إيراد من المدينة جهة بقرب ينبع من ناحية رضوى .

فيها أموالهم حتى لم يبق بمكة قرشي أو قرشية لها مثقال فصاعداً إلا بعث به في تلك العير ، وكان يرأسها أبو سفيان بن حرب ومعه بضعة وعشرون رجلاً . فخرج لها الرسول في جمادي الأولى ومعه مائة وخمسون من المهاجرين ، واستخلف على المدينة أباسلمة بن عبد الأسود ، وحمل لواء عمه حمزة . ولم يزل سائراً حتى بلغ العُشيرة فوجد العير قد مضت . وحالف عليه السلام في هذه الغزوة بني مدلج وحلفاءهم ، ثم رجع عليه السلام إلى المدينة ينتظر هذه العير حيناً ترجع .

### غزوة بدر الأولى

وبعد رجوعه عليه السلام بقليل جاء كرز بن جابر الفهري وأغار على سرح المدينة وهرب ، فخرج الرسول في طلبه واستخلف على المدينة زيد بن حارثة الأنصاري ، وحمل لواء علي بن أبي طالب ، فسار حتى بلغ سفوان (١) وفاته كرز فلم يلق حرباً . وتسمى هذه الغزوة بدرًا الأولى

### سرية

وفي رجب من هذه السنة أرسل سرية عدتها ثمانية رجال يرأسها عبدالله بن جحش وأعطاه كتاباً مختوماً لا يفضه إلا بعد أن يسير يومين ثم ينظر فيه ، فسار عبدالله يومين ثم فتح الكتاب فإذا فيه ( إذا نظرت كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة فترصد بها قريشاً وتعلم لنا أخبارهم ) وإنما لم يخبرهم عليه السلام بمقصدهم وهم بالمدينة حذراً من شيوخ الخبر فيدل عليهم أحد الأعداء من المنافقين أو اليهود فترصد لهم قريش ولا يخفى أن عدد السرية

---

(١) واد من ناحية بدر .



قليل لا يمكنه المقاومة . ثم سار عبد الله رضي الله عنه ، وفي أثناء السير تخلف سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان لأنها أضلا بعيرهما الذي كانا يمتقبانه وسار الباقر حتى وصلوا نخلة فمرت بهم عير قرشية تريد مكة فيها عمرو بن الحضرمي وعتبان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان ، فأجمع المسلمون أمرهم على أن يحملوا عليهم ويأخذوا ما معهم فحملوا عليهم في آخر يوم من رجب فقتلوا عمرو بن الحضرمي وأسروا عتبان والحكم وهرب نوفل واستاقوا العير ، وهي أول غنيمة غنمها المسلمون من أعدائهم قريش ، ثم رجعوا ولم يتمكن المشركون من اللحاق بهم . فلما قدموا المدينة وشاع أنهم قاتلوا في الأشهر الحرم وعابتهم قريش واليهود بذلك عنفهم المسلمون وقال لهم عليه السلام : ما امرتكم بقتال في الأشهر الحرم فندموا . فأنزل الله في سورة البقرة ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ فسرى عنهم . وقد طلب المشركون فداء أسيريهما فقال عليه السلام : حتى يرجع سعد وعتبة ، فلما رجعا قبل عليه السلام الفدية في الأسيرين . فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه مع المسلمين ، وأما عتبان فلحق بمكة كافراً

### تحويل القبلة (١)

مكث عليه السلام بالمدينة ستة عشر شهراً يستقبل بيت المقدس في صلاته ، وكان يجب أن تكون قبلته الكعبة ويقلب وجهه في السماء داعياً الله بذلك . فبينما هو في صلاته إذ أوحى الله إليه بتحويل القبلة إلى الكعبة فتحول وتحول من ورائه . وكانت هذه

(١) كان ذلك في شهر شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من قدوم الرسول المدينة

تهذيب السيرة ص ١٩٢

الحادثة سبباً لافتتان بعض المسلمين الذين ضعفت قلوبهم فارتدوا على أعقابهم ،  
وقد أكثر اليهود من التنديد على الاسلام بهذا التحويل وما دروا أن الله  
المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

## صوم رمضان

وفي شعبان من هذه السنة أوجب الله صوم شهر رمضان على الامة  
الاسلاميه وكان عليه السلام قبل ذلك يصوم ثلاثة أيام من كل شهر . والصيام  
من دعائم هذا الدين والفرائض التي بها يتم النظام فان الانسان مجبول على  
حب نفسه والسعي فيما يعود عليها بالنفع الخاص تاركاً ما وراء ذلك من حاجات  
الضعفاء والمساكين فلا بد من وازع يزعه لحاجات قوم أقعدتهم قواهم عن  
ادراك حاجاتهم ، ولا أقوى من ذوق قوارص الجوع والعطش اذ بها تلبين نفسه  
ويتذب خلقه فيسهل عليه بذل الصدقات

## صرفة الفطر

ولذلك أوجب الشارع الحكيم عقب الصوم زكاة الفطر ، فترى الانسان يبذلها  
بسخاء نفس ومحبة خالصة .

## زكاة المال

وفي هذا العام فرضت زكاة الاموال . وهذه هي النظام الوحيد الذي به  
يأكل الفقراء والمساكين من إخوانهم الاغنياء بلا ضرر على هؤلاء ، فاذا  
بلغت الدنانير عشرين أو الدراهم مائتين ، وحال عليها الحول ، وجب عليك ان  
تؤدي ربع عشرها أي اثنين ونصفاً في كل مائة وما زاد فبحسابه . وإذا  
بلغت الشياه أربعين والبقر ثلاثين والابل خمساً ، وحال عليها الحول ، وجب

عليك كذلك أن تؤدي منها جزءاً مخصوصاً حدده الشارع . ومثلها عروض التجارة  
ومحصولات الزراعة كل هذا يقبضه الامام ويوزعه على مستحقيه من الفقراء  
والمساكين وبقية المذكورين في آية الصدقة ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين  
والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله  
وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ . واللييب العاقل البعيد  
عن التعصب يحكم لاول نظرة أن هذا النظام ، مع عدم إضراره بالاغنياء  
مقلد لمصائب الفقر التي ألجأت كثيراً من فقراء الامم أن يخالفوا نظام  
دولهم ويؤسسوا مبادئ تقويض العمران وتداعي الامن كما يفعله  
الاشتراكيون (١) وغيرهم .

### غزوة بدر الكبرى

لم يطل العهد بتلك العير العظيمة التي خرج لها عليه السلام وهي متوجهة  
الى الشام فلم يدركها ولم يزل مترقباً رجوعها ، فلما سمع برجوعها ندب اليها  
أصحابه وقال : هذه عير قريش فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فأجاب  
قوم وثقل آخرون لظنهم أن الرسول عليه السلام لم يرد حرباً فإنه لم يحتفل  
بها بل قال : من كان ظهره حاضراً فليركب معنا . ولم ينتظر من كان ظهره

(١) ان الزكاة عامل كبير من عوامل نشر الألفة والمحبة بين الناس وهو ما يحرص عليه الاسلام  
الذي يقيم وزناً للقيم الاخلاقية الانسانية

ان للزكاة ميزانية خاصة في بيت المال بحيث لا تغطي على التكافل الاجتماعي النفقات الاخرى  
للدولة كما يقع الان في ميزانية الدولة في عصرنا الحاضر ومن اراد التوسعة في الموضوع  
فليراجع : اشتراكية الاسلام طبعة اولي ص ٥٧ للدكتور مصطفى سباعي .

هذه هي الاشتراكية الصحيحة التي ضمنها الاسلام للفقراء من اموال الاغنياء فليعلم الذين لا  
يريدون دفع زكاة اموالهم يظنون انهم تزيد اموالهم او حبا او طمعا ولكن الله القدير العزيز  
العليم قد ضمن للنفي حينما يريد دفع زكاة ماله فإنه يضاعف مال الغني فنرى قلة من اموال الاغنياء  
تدفع زكاة اموالهم للفقراء والناقون الذين لا يدفعونها انهم جهلوا تعاليم الاسلام وضمن  
الزيادة المضاعفة من الله ( ا ه شارح )

غائبا . فخرج لثلاث ليال خلون من رمضان بعد أن ولي على المدينة عبد الله ابن  
أم مكتوم وكان معه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا : مائتان ونيف واربعون من الانصار  
والباقون من المهاجرين ، ومعهم فرسان وسبعون بعيرا يعتقبونها ، والحامل للواء  
مصعب بن عمير العبدي ولما علم أبو سفيان بخروج الرسول ﷺ استأجر  
راكبا ليأتي قريشا ويخبرهم الخبر ؛ فلما علموا بذلك أدركتهم حميتهم وخافوا  
على تجارتهم فنفروا سراعا ولم يتخلف من اشرافهم الا ابو لهب بن عبد المطلب  
فانه أرسل بدله العاص بن هشام بن المغيرة وأراد أمية بن خلف ان يتخلف  
لحديث حديثه إياة سعد بن معاذ حينما كان معتمرا بعد الهجرة بقليل حيث  
قال - كما رواه البخاري - سمعت من رسول الله يقول انهم قاتلوك بمكة ؟  
قال لا ادري . ففزع لذلك وحلف ألا يخرج فعابه أبو جهل ولم يزل به حتى  
خرج قاصدا الرجوع بعد قليل ، ولكن إرادة الله فوق كل إرادة فان منيته  
ساقته الى حتفه رغم أنفه وكذلك عزم جماعة من الاشراف على القعود فغيب  
عليهم ذلك ، وبهذا أجمعت رجال قريش على الخروج فخرجوا على الصعب والذلول  
أمام القينات يفنين بهجاء المسلمين ﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ وَقَالَ  
لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ﴿ وقد ضرب الله عمل  
الشیطان هذا مثلا يعتبر به ذوو الرأي من بعدم فقال في سورة الحشر ﴿ كمثل  
الشیطان إذ قال للانسان أ كْفُرْ فَمَا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي  
أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ . وهكذا كان عمله في هذه الواقعة ﴿ فلما تراءت  
الفتتان نكص على عقبيه وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ  
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ . وكان عدده من خرج  
من المشركين تسعمائة وخمسين رجلا معهم مائة فرس وسبعائة بعير . أما رسول  
الله ﷺ فلم يكن يعرف شيئا مما فعله المشركون ولم يكن خروجه إلا للبير ،  
فمسكر بيوت السقيا خارج المدينة واستعرض الجيش فرد من ليس له قدرة

على الحرب ثم أرسل اثنين يتجسسان الاخبار عن العير : ولما بلغ الروحاء (١)  
جاءه الخبر بمسير قريش لمنع عيرهم ، وجاءه مخبراه بأن العير ستصل بدرأ غدأ  
أو بعد غد ، فجمع عليه السلام كبراء الجيش وقال لهم : ( أيها الناس إن الله  
قد وعدني إحدى الطائفتين أنها لكم العير أو النفير ) فتبين له عليه السلام  
أن بعضهم يريدون غير ذات الشوكة ، وهي العير ، ليستعينوا بما فيها من  
الاموال فقد قالوا : هلا ذكرت لنا القتال فنستعد ؟ وجاء مصداق ذلك قوله  
تعالى في سورة الأنفال ﴿ وَإِنْ يَعْذِبْكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَتَّهَمَ لَكُمْ  
وَتَوَدَّوْنَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ . ثم قام المقداد بن  
الأسود رضي الله عنه فقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله ، فوالله لا  
نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا  
هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ؛ والله  
لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فدعا له بخير ،  
ثم قال عليه السلام : أشيروا علي أيها الناس - وهو يريد الأنصار - لأن بيعة  
العقبة ربما يفهم منها أنه لا تجب عليهم نصرته إلا ما دام بين أظهرهم ، فان  
فيها : يا رسول الله إنا براء من ذمتك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت اليها  
فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا وبناتنا - فقال سعد بن معاذ سيد  
الأوس : كأنك تريدنا يا رسول الله ؟ فقال : أجل ، فقال سعد : قد آمنتنا  
بك وصدقناك وأعطيناك عهدنا فامض لما أمرك الله فوالذي بعثك بالحق لو  
استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضه معك وما نكره أن تكون تلقي  
العدو بنا غدأ إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا  
ما تقر به عينك فسير على بركة الله ، فأشرق وجهه عليه السلام وسر بذلك  
وقال كما في رواية البخاري ( أبشروا والله لكأني أنظر الى مصارع القوم ) .  
فعلم القوم من هذه الجملة أن الحرب لا بد حاصلة ، وحقيقة حصلت ، فان

(١) موضع على ثلاثين او اربعين ميلا جنوب المدينة النبوية .

أبا سفيان لما علم بخروج المسلمين له ترك الطريق السلوكية وسار متبعاً ساحل البحر فنجا وأرسل الى قريش يعلمهم بذلك ويشير عليهم بالرجوع فقال أبو جهل : لا زجع حتى نحضر بدر (١) فنقيم فيه ثلاثاً فنحرج الجـزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً . فقال الأخنس ابن شريق الثقفي لبني زهرة ، وكان حليفاً لهم ، ارجعوا يا قوم فقد نجى الله اموالكم ، فرجعوا ولم يشهدوا بدرأ زهري ولا عدوى ثم سار الجيش حتى وصلوا وادي بدر فنزلوا عدوته القصوى (٢) عن المدينة في أرض سهلة لينة أما جيش المسلمين فانه لما قارب بدرأ أرسل عليه السلام علي بن أبي طالب والزبير ابن العوام ليعرفا الاخبار فصادفا سقاة لقريش فيهم غلام لبني الحجاج و غلام لبني العاص السهميين فأتيا بهما . والرسول عليه السلام قائم يصلي ، ثم سألاهما عن أنفسهما فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم الماء فضرباها لانها ظنا أن الغلامين لأبي سفيان فقال الغلامان نحن لأبي سفيان فتركاها . ولما أتم الرسول عليه السلام صلاته قال : اذا صدقاكم ضربتموها واذا كذباكم تركتموها ؟ صدقا . والله انها لقريش . تم قال لهما : أخبراني عن قريش ؟ قالوا : هم وراء هذا الكتيب فقال لهما : كم هم ؟ فقالوا : لا ندري . قال كم ينحرون كل يوم ؟ قالوا يوماً تسعاً ويوماً عشراً ، قال القوم ما بين التسعمائة والألف . ثم سألهما عمّن في النفير من أشرف قريش فذكراله عدداً عظيماً ، فقال عليه السلام لأصحابه : هذه مكة قد ألت اليكم أفلاذ كبدها (٣) . ثم ساروا حتى نزلوا بعدوة الوادي الدنيا من المدينة بعيداً عن الماء في أرض سبخة فأصبح المسلمون عطاشاً بعضهم جنب و بعض محدث فحدثهم الشيطان بوسوسته ولولا فضل الله عليهم ورحمته لثبتت عنائمهم فانه قال لهم ما ينتظر المشركون منكم الا ان يقطع

(١) محل بين مكة والمدينة وهو الى المدينة اقرب في الجنوب الغربي منها على الطريق السلطاني ، وكان به سوق تعقد كل سنة ثمانية ايام .

(٢) عدوة الوادي : شاطئه

(٣) قطع كبده .

العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاءوا .

فأرسل الله لهم الغيث حتى سال الوادي فشربوا واتخذوا الحياض على  
عدوة الوادي واغتسلوا أو توضأوا وملاؤا الأسقية ولبدت الارض حتى ثبتت  
عليها الاقدام ، على حين أن كان هذا المطر مصيبة على المشركين فانه وحل  
الارض حتى لم يعودوا يقدرون على الارتحال ومصداق هذا قوله تعالى في سورة  
الأنفال ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ  
عَنكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾  
وقد أرى الله رسوله في منامه الأعداء ، كما أراهوه وقت اللقاء قلبي العدة  
كيلا يفشل المسلمون وليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، قال تعالى في سورة  
الأنفال : ﴿ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكُمْ كَثِيرًا  
لَفَشَلْتُمْ وَكُنتَ تَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ  
الصُّدُورِ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذْ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ  
فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَاللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورَ ﴾  
ثم سار جيش المسلمين حتى نزل أدنى ماء من بدر فقال له الحباب بن المنذر  
الأنصاري ، وكان مشهوراً بجودة الرأي ، يا رسول الله أهذا منزل أنزلكه الله  
ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر أم هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال بل هو  
الرأي والحرب والمكيدة . فقال يا رسول الله ليس لك هذا بمنزل  
فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فاني أعرف غزارة مائه  
وكثرته فنزله ونغور ما عداه من الآبار ثم بنى عليه حوضاً فتملؤه ماء فشرب  
ولا يشربون . فقال الرسول عليه السلام : لقد أشرت بالرأي . ونهض  
حتى أتى أدنى ماء من القوم ثم أمر بالآبار التي خلفهم فغورت لينقطع أمل  
المشركين في الشرب من وراء المسلمين وبنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه .  
ثم قال له سعد بن معاذ سيد الأوس . يا نبي الله ألا نبي لك عريشاً تكون  
فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله تعالى وظهرنا على عدونا

كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا  
 فقد نخلف عنك اقوام يا نبي الله مانحن أشد لك حبا منهم ولا أطوع لك منهم  
 رغبة في الجهاد ونية ، ولو ظنوا انك تلقى حربا ماتخلفوا عنك إنما ظنوا  
 أنها العير : يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك ، فقال عليه السلام  
 أو يقضى الله خيراً من ذلك . ثم بنى الرسول عريش فوق تل مشرف على  
 ميدان الحرب . ولما اجتمعوا عدل عليه السلام صفوفهم . مناكهم متلاصقة  
 فصاروا كأنهم بنيان مرصوص ثم نظر لقريش فقال ( اللهم هذه قريش  
 قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولاك ، اللهم فنصرك الذى  
 وعدتني به ) . وفي هذا الوقت وقع خلف بين رؤساء عسكر المشركين  
 فان عتبة بن ربيعة أراد أن يمنع الناس من الحرب ويحمل دم حليفه عمرو  
 ابن الحضرمي الذى قتل في سرية عبد الله بن جحش ويحمل ما أصيب من غيره  
 ودعا الناس الى ذلك . فلما بلغ أبا جهل الخبر وسمه بلجبن وقال : والله  
 لا زجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد . وقبل أن تقوم الحرب على ساقها خرج  
 من صفوف المشركين الأسود بن عبد الاسد المخزومي وقال : أعاهد الله  
 لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه ، فخرج اليه حمزة بن عبد  
 المطلب وضربه ضربة قطع بها قدمه بنصف ساقه فوقع على ظهره فزحف  
 على الحوض حتى اقتحم فيه ليبر قسمه فاتبعه حمزة فقتله . ثم وقف عليه السلام  
 يحرض الناس على الثبات والصبر وكان فيما قال . ( وإن الصبر في مواطن  
 البأس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم ) . ثم ابتداء القتال بالبارزة  
 فخرج من صفوف المشركين ثلاثة نفر : عتبة بن ربيعة بين اخيه شيبة وابنه  
 الوليد فطلبوا أكفاءهم فخرج اليهم ثلاثة من الانصار فقالوا : لا حاجة لنا  
 بكم إنما يزيد أكفاءنا من بني عمنا فأخرج لهم عليه السلام عبيدة بن الحرث  
 ابن عبد المطلب الأول ، وحمزة بن عبد المطلب الثاني ، وعلى بن ابي طالب  
 الثالث . فأما حمزة وعلى فقتلا صاحبيهما وأما عبيدة وعتبة فاختلفا بضرتين  
 كلاهما جرح صاحبه فحمل رفيق عبيدة على عتبة فأجيز عليه وحمل عبيدة بين



الصفوف جريحا يسيل مخ ساقه وأضعوه الى جانب موقفه صلى الله عليه وآله وسلم فأفرشه رسول الله قدمه الشريفة فوضع خده عليها وبشره عليه السلام بالشهادة فقال : وددت والله أن أبا طالب كان حيا ليعلم أننا أحق منه بقوله .

ونساه حتى نصرع حوله ونذهل عن آبائنا والحلائل

وبعد انقضاء هذه المبارزة وقف عليه السلام بين الصفوف يعدها بقضيب في يده ، فر بسواد بن غزية حليف بني النجار وهو خارج من الصف فضربه بالقضيب في بطنه وقال : استقم ياسواد ، فقال أوجعتي يارسول الله وقد بعثت بالحق والعدل فأقذني من نفسك ، فكشف الرسول عليه السلام عن بطنه ، وقال استقد ياسواد ، فاعتنقه سواد وقبل بطنه ، فقال عليه السلام : ما حملك على ذلك ؟ فقال يارسول الله قد حضر ماترى فأردت أن يكون آخر العهد أو يمس جلدي جلدك ، فدعاه بخير . ثم ابتداء عليه السلام يوصي الجيش فقال ( لا تحملوا حتى آمركم وان اكنتمكم القوم فانضحوهم بالنبل ولا تسالوا السيوف حتى يغشوكم ) ثم حضهم على الصبر والثبات ثم رجع الى عريشه ومعه رفيقه أبو بكر ، وحارسه سعد بن معاذ واقف على باب العريش متوشح سيفه . وكان من دعاء الرسول عليه السلام ذلك الوقت - كما جاء في صحيح البخاري - ( اللهم انشدك عهدك ووعدك ان شئت لم تعبد ) . فقال أبو بكر : حسبك فان الله سينجز لك وعده ، فخرج عليه السلام من العريش وهو يقول ( ١ ) ( سيهزم الجمع ويولون الدبر ) ثم قال عليه السلام - يجرى الجيش - ( والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر الا أدخله الله الجنة . ومن قتل قتيلاً فله سلبه ) فقال عمير بن الحمام ويده تمرات يأكلها : بخ بخ ! مايني وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء . ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل . واشتد القتال وحمي الوطيس وأيد

(١) سورة القمر آية ٤٥

الله المسلمين بالملائكة بشرى لهم ولتطمئن به قلوبهم فلم تكن الا ساعة حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، فقتل من المشركين نحو السبعين منهم من قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة قتلوا مبارزة أول القتال ، وأبو البحتري بن هشام . والجراح والد أبو عبيدة قتله ابنه بعد أن ابتعد عنه فلم يزدجر ، وقتل أمية بن خلف وابنه وقد اشترك في قتلها جماعة من الأنصار مع بلال بن رباح وعمار بن ياسر ، وقد سعيا في ذلك لما كان يفعله بهما أمية في مكة . ومن القتلى حنظلة بن أبي سفيان وأبو جهل بن هشام أتخذه فتيان صغيران من الأنصار لما كانا يسمعان من أنه كان شديد الأيذاء لرسول الله ، وأجهز عليه عبدالله بن مسعود . وقتل نوفل بن خويلد قتله علي بن أبي طالب ، وقتل عبيدة والعاص والد أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية ، وقتل كثيرون غيرهم . أما الأسرى فكانوا سبعين أيضاً قتل منهم عليه السلام ، عقبه بن أبي معيط والنضر بن الحارث الذين كانا بمكة من أشد المستهزئين ، وكانت هذه الواقعة في ( ١٧ ) رمضان وهو اليوم الذي ابتدأ فيه نزول القرآن . وبين التاريخين ١٤ سنة قمرية كاملة .

وقد أمر عليه السلام بالقتلى فنقلوا من مصارعهم التي كان الرسول عليه السلام أخبر بها قبل حصول الموقعة إلى قليب بدر ، لأنه عليه السلام كان من سننه في مغازيه إذا مر بحيفة انسان أمر بها فدفنت لايسأل عنه مؤمناً أو كافراً . ولما ألقى عتبة والد أبي حذيفة أحد السابقين الى الاسلام توجه وجه ابنه ففطن الرسول عليه السلام لذلك فقال : لعلك دخلك من شأن أهلك شيء ؟ فقال . لا والله ، ولكني كنت أعرف من أبي رأيا وحاما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه الله للاسلام ، فلما رأيت ما مات عليه أحزنتي ذلك . فدعا له الرسول عليه بخير ، ثم أمر عليه السلام براحلته فشد عليها حتى قام على شفة القليب الذي رمى فيه المشركون فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يا فلان بن فلان ! ويا فلان

ابن فلان ! أيسركم أنكم كنتم أطعمتم الله ورسوله ؛ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً : فقال عمر : يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها !! فقال : والذي نفس محمد بيده ما اتم بأسمع لما أقول منهم . وتقول عائشة رضی الله عنها : إنما قال إنهم الآن ليعملون أن ما كنت أقول لهم حق ، ثم قرأت ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمَعُ السُّوتَى . وَمَا أَنْتَ بِمُسْمَعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ تقول يعلمون ذلك حينما تبوأوا مقاعدهم من النار ( رواه البخاري ) ثم أرسل عليه السلام المبشرين ، فأرسل عبدالله بن أبي رواحة لأهل العالية (١) وأرسل زيد بن حارثة لأهل السافلة راكباً على ناقة رسول الله . وكان المنافقون والكفار من اليهود قد أرجفوا بالرسول ﷺ والمسلمين — عادة الاعداء في اذاعة الضراء ، يقصدون بذلك فتنة المسلمين — فجاء أولئك المبشرون بما سر أهل المدينة ، وكان ذلك وقت انصرافهم من دفن رقية بنت رسول الله وزوج عثمان . ثم قفل رسول الله راجعاً وهنا وقع خلف بين بعض المسلمين في قسمة الغنائم : فالشبان يقولون كنا رداءً لكم فنشاركمكم . ولما كان هذا الاختلاف مما يدعوا الى الضعف ويزرع في القلوب العداوة والبغضاء المؤديين الى تشتت الشمل أنزل الله ، حسماً لهذا الخلاف ، أول سورة الأنفال ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فسطع على افئدتهم نور القرآن فتألفت بعد ان كادت تفترق وتركوا أمر الغنائم لرسول الله يضعها كيف يشاء — كما حكم القرآن — فقسمها عليه السلام على السواء الرجل مع الرجل ، والفرس مع الفارس . وأدخل في الأسهم بعض من لم يحضر لأمر كلف به وهم : أبو لبانة الأنصاري لأنه كان مخلصاً على أهل المدينة ، والحارث بن حاطب لان الرسول عليه

(١) قري بظاهر المدينة وهي العوالي

السلام خلفه على بني عمرو بن عوف ليحقق أمراً بلغه ، والحارث بن الصمة  
وأخوات بن جبير لأنهما كسرا بالروحاء فلم يتمكننا من السير ، وطلحة بن  
عبيد الله ، وسعيد بن زيد لأنهما أرسلتا يتجسسان الاخبار فلم يرجعا الا بعد  
انتهاء الحرب ، وعثمان بن عفان لان الرسول عليه السلام خلفه على ابنته رقية  
بمرضها ، وعاصم بن عدي لانه خلفه على أهل قباء والعالية وكذلك أسهم  
لمن قتل بيدر وهم أربعة عشر منهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم  
الذي جرح في المبارزة الاولى فانه رضي الله عنه مات عند رجوع المسلمين من  
بدر ودفن بالصفراء . ولما قارب عليه السلام المدينة تلقتة الولاة بالدفوف يقطن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع  
أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

### أسرى بدر

ولما دخلوا المدينة استشار عليه السلام أصحابه فيما يفعل بالأسرى فقال  
عمر بن الخطاب : يا رسول الله قد كذبوك وقاتلوك وأخرجوك فأرى أن  
تمكنني من فلان ، لقريب له . فأضرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه العباس  
وعليا من أخيه عقيل . وهكذا حتى يعلم الناس أنه ليس في قلوبنا مودة  
للمشركين . ما أرى أن تكون لك أسرى فأضرب أعناقهم ؛ هؤلاء صنائدهم  
وأمتهم وقادتهم ، ووافقهم على ذلك سعد بن معاذ وعبدالله بن رواحة ، وقال أبو  
بكر : يا رسول الله هؤلاء أهلك وقومك قد أعطاك الله الظفر والنصر عليهم  
أرى أن تستبقهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار ،

وعسى أن الله يهديهم بك فيكونوا لك عضداً . فقال عليه السلام : إن الله  
ليلين قلوب أقوام حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشدد قلوب أقوام حتى  
تكون أشد من الحجارة ؛ وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال ﴿ تَمَنُّ  
تَبِعَتِي فَأَنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنكَ غَافِرٌ رَحِيمٌ ﴾ وإن مثلك يا  
عمر مثل نوح قال ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِبَّارًا ﴾  
ورأى عليه السلام رأى أبي بكر بعد أن مدح كلا من الصحابين لأن الوجهة  
واحدة وهي إعزاز الدين وخذلان المشركين ، ثم قال لأصحابه : أتم اليوم  
عالة فلا يفلتن أحد من أسراكم إلا بفداء . وقد بلغ قريشاً ما عزم عليه الرسول  
في أمر الأسرى فناحت على القتلى شهراً ، ثم أشير عليهم من كبارهم ألا  
يفعلوا كيلاً يبلغ محمداً وأصحابه جزعهم فيشتموا بهم فسكتوا وصمموا على ألا  
يبكوا قتلاهم حتى يأخذوا بثأرهم وتواصوا فيما بينهم أن لا يعجلوا في طلب الفداء  
لئلا يتغالي المسلمون فيه .

### الفداء

فلم يلتفت الى ذلك المطلب بن أبي وداعة السهمي ، وكان أبوه من الأسرى ،  
فخرج خفية حتى أتى المدينة وفدى أباه بأربعة آلاف درهم وعند ذلك بعث  
قريش في فداء أسراها وكان أربعة آلاف درهم . ومن لم يكن معه فداء  
وهو يحسن القراءة والكتابة ، اعطوه عشرة من غلمان المدينة يعلمهم وكان  
ذلك فداءه . (ومن) الأسرى عمرو بن أبي سفيان ولما طلب من أبيه فداؤه  
أبى وقال : والله لا يجمع محمد بين ابني ومالي ، دعوه يمسكوه في ايديهم ما  
بدا لهم . فبينما ابو سفيان بمكة إذ وجد سعد بن النعمان الأنصاري معتمراً فعدا  
عليه فحبسه بابنه عمرو ، فمضى قوم سعد الى رسول الله واخبروه فأعطاهم  
عمراً ففكوا به سعداً . ومن الأسرى ابو العاص ابن الربيع زوج زينب بنت

الرسول وكان عليه السلام قد اثني عليه خيراً في مصاهرته ، فانه لما استحكمت  
العداوة بين قريش ورسول الله بمكة طلبوا من ابي العاص ان يطلق زينب كما  
فعل ابنا ابي لهب بابنتي الرسول فامتنع وقال : والله لا افارق صاحبي واحبان  
لي بها امرأة من قريش . ولما أسر أرسلت زينب في فدائه قلادة لها كانت  
حلتها بها أمها خديجة ليلة عرسها فلما رأى عليه السلام تلك القلادة رق لها  
رقة شديدة وقال لأصحابه : إن رأيتم أن تطلقوا لها اسيرها وتردوها لها قلادتها  
فافعلوا ، فرضي الأصحاب بذلك ، فأطلقه عليه السلام بشرط ان يترك زينب  
تهاجر الى المدينة . فلما وصل الى مكة أمرها باللاحاق بأبيها وكان الرسول  
أرسل من يأتي بها فاحتملوها . هذا ، ولما أسلم ابو العاص بن الربيع قبيل  
الفتح رد عليه امرأته بالنكاح الاول . (ومن) الأسرى سهيل بن عمرو وكان  
من خطباء قريش وفصحائها وطالما آذى المسلمين بلسانه فقال عمر بن الخطاب :  
دعني يا رسول الله أنزع ثنيتي سهيل يدلع (١) لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في  
موطن ابدأ ، فقال عليه السلام ( لا أمثل فيمثل الله بي وإن كنت نبياً ،  
وعسى أن يقوم مقاماً لا تدمه ) وقدم بفدائه مكرز بن حفص . ولما ارتضى  
معهم على مقدار حبس نفسه بدله حتى جاء بالفداء . هذا ، وقد حقق الله خبر  
الرسول في سهيل فانه لما مات عليه السلام أراد أهل مكة الارتداد ، كما فعل  
غيرهم من الاعراب ، فقام سهيل هذا خطيباً وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه  
وصلى على رسوله : أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان  
يعبد الله فان الله حي لا يموت ألم تعلموا ان الله قال ( إِنْ تَكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ  
مَيِّتُونَ ) وقال ( وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ  
أَقَانُ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ) ثم قال : والله إني اعلم ان هذا  
الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها فلا يفرنكم هذا ( يريد ابا سفيان ) من  
انفسكم فانه يعلم من هذا الامر ما اعلم لكنه قد ختم على صدره حسد بني هاشم

(١) يخرج

وثوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمته تاممة ، وان الله ناصر من نصره  
 ومقوِّد دينه وقد جمعكم الله على خيركم ( يريد أبو بكر ) وان ذلك لم يزد  
 الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه . فتراجع الناس عما كانوا  
 عزموا عليه ، وكان هذا الخبر من معجزات نبينا ﷺ ( ومن ) الاسرى  
 الوليد بن الوليد أفتكه أخواه خالد وهشام ، فلما افتدى ورجع الى مكة  
 أسلم ف قيل له : هلا اسلمت قبل الفداء ؟ فقال خفت أن يعدوا اسلامي  
 خوفاً . ولما اراد الهجرة منعه أخواه ففرَّ الى النبي في عمرة القضاء ( ومن )  
 الاسرى السائب بن يزيد ، وكان صاحب الراية في تلك الحرب ، فدى نفسه  
 وهو الجد الخامس للإمام محمد بن ادريس الشافعي . ( ومنهم ) وهب بن  
 عمير الجمحي كان أبوه عمير شيطاناً من شياطين قريش كثير الايذاء لرسول  
 الله ، جلس يوماً بعد انتهاء هذه الحرب مع صفوان بن أمية يتذاكران مصاب  
 بدر فقال عمير : والله لولا دين عليّ عندي قضاؤه وعيال أخشى عليه الفقر بعدي  
 كنت آتي محمداً فأقتله فان ابني أسير في أيديهم ، فقال صفوان : دينك  
 عليّ وعيالك مع عيالي فأخذ عمير سيفه وشحذه وسمه وانطلق حتى قدم المدينة  
 فبينما عمر مع نفر من المسلمين إذ نظر إلى عمير . متوشحاً سيفه فقال :  
 هذا الكلب عدو الله ماجاء الا بشر ، ثم قال للنبي عليه السلام : هذا عدو  
 الله عمير قد جاء متوشحاً سيفه ، فقال : أدخله علي . فأخذ عمر بجمائل سيفه  
 وأدخله . فلما رآه عليه السلام قال : أطلقه يا عمر ، ادن يا عمير فدنا وقال :  
 أنعموا صباحا ، فقال عليه السلام قد أبدلنا الله تحية خيراً من تحيتك وهي  
 السلام ، ثم قال ماجاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في ايديكم  
 فأحسنوا فيه ، قال : فما بال السيف ؟ قال قبجها الله من سيوف وهـل  
 أغنت عنا شيئاً ؟ قال عليه السلام : أصدقتي ما الذي جئت له ؟ قال ما جئت  
 الا لذلك . قال عليه السلام : كلا بل قعدت أنت وصفوان في الحجر وقلتما  
 كيت وكيت فأسلم عمير وقال كنا نكذبك بما تأتي به من خبر السماء وما ينزل

عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان ! ! فقال عليه السلام  
 فتحوا أحكام في دينه وأقرؤوه القرآن وأطلقوا أسيره . فعاد عمير الى مكة  
 وأظهر اسلامه . ( ومن ) الأسرى أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن  
 عمير مر به أخوه فقال للذي أسره : شد يدك به ، فان أمه ذات متاع  
 لها تفديه . فقال له يا أخي هذه وصايتك بي ! ثم بعثت أمه بفدائه أربعة  
 آلاف درهم . ( ومن ) الأسرى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ  
 كان قد خرج لهذه الحرب مكرهاً ولما وقع في الأسر طلب منه فداء نفسه  
 وابن أخيه عقيل بن أبي طالب فقال : علام ندفع وقد اسكرهنا على الخروج  
 فقال عليه السلام : لقد كنت في الظاهر علينا فأخذت منه فدية نفسه وابن أخيه ،  
 ثم قال الرسول . لقد تركتني فقير قريش ما بقيت ، قال كيف وقد تركت  
 لأم الفضل أموالاً ، وقلت لها : إن مت فقد تركتك غنية . فقال العباس :  
 والله ما اطلع على ذلك أحد . وهذا العمل غاية ما يفعل من العدل والمساواة فانه  
 عليه السلام لم يعف عمه مع علمه بأنه إنما خرج مكرهاً وقد أعفى غيره  
 جماعة تحقق له فقرهم فهكذا العدل ؛ ولا غرابة فذلك أدب قوله تعالى  
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ  
 أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ . ( ومن ) الأسرى أبو عزة الجمحي الشاعر كان  
 شديد الايذاء لرسول الله بمكة فلما أسر قال : يا محمد إني فقير وذو عيال  
 وذو حاجة قد عرفتها فامنن ؛ فمن عليه فضلاً منه .

### العتاب في الفراء

ولما تم الفداء أنزل الله في شأنه ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ  
 أَسْرَى حَتَّىٰ (١) يُبْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ

(١) بخن : الشيء من باب ظرف اي غلظ وصلب ائختته ادهنته يقال ائخن في الارض قتلاً .

اه مختار الصحاح ص ٦٨



الأخرّة والله عزّيزٌ حكيمٌ ★ لولا كتابٌ من الله سبقَ لسبّكم فيما  
 أخذتم عذابٌ عظيمٌ ﴿ نهي سبحانه عن اتخاذ الأسرى قبل الاثخان  
 في قتل الذين يصدون عن سبيل الله ويمنعون دين الله من الانتشار ، وعاب  
 بعض المسلمين على إرادة عرض الدنيا وهو الفدية ، ولولا حكم سابق من  
 الله الا يعاقب مجتهدا على اجتهاده مادام المقصد خيرا لكان العذاب ، ثم  
 أباح لهم الأكل من تلك الفدية المبني أخذها على النظر الصحيح . وهذا من  
 أقوى الأدلة على صدق نبينا عليه السلام فيما جاء به ، لأنه لو كان من عنده  
 ما كان يعاتب نفسه على عمل عمله بناء على رأي كثير من الصحابة . وقد  
 وعد الله الأسرى الذي يعلم في قلوبهم خيراً بأن يؤتيمهم خيراً مما أخذ منهم  
 ويغفر لهم فقال ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَعْلَمَ  
 اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ  
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وهذه الغزوة هي التي أعز الله بها الاسلام وقوي أهله  
 ودمغ فيه الشرك وخرّب محله مع قلة المسلمين وكثورة عدوهم فهي آية ظاهرة  
 على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله مع ما كان عليه العدو من القوة بسوانج  
 الحديد والعدة الكاملة والخيال المسومة والخيلاء الزائدة ولذلك قال الله ممثنا  
 على عباده بهذا النصر ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ أي قليل  
 عددكم لتعلموا ان النصر إنما هو من عند الله فهي أعظم غزوات الاسلام اذ  
 بها كان ظهوره وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره فقد قتل فيها من  
 صناديد قريش من كانوا الأعداء للاسلام ، ودخل الرعب في قلوب  
 العرب الآخرين ، فكانت للمسلمين هبة بها يكسرون الجيوش ويهزبون الرجال ؛  
 فلا جرم ان شكرنا العلي الاعلى على هذه العناية واتخذنا يوم النصر في بدر  
 وهو السابع عشر من رمضان ، عيداً نتذكر فيه نعمة الله على رسوله  
 وعلى المسلمين

## غزوة فينقاع

هذا ، واذا كان للشخص عدوان فانتصر على احدهما حرك ذلك شجو الآخر وهاج فؤاده فتبدو بغضاؤه غير مكترث بعاقبة عدائه ، وهذا ما حصل من يهود بني فينقاع عند تمام الظفر في بدر فانهم نبذوا ما عاهدوا المسلمين عليه وأظهروا مكنون ضمائرهم فبدت البغضاء من أفواههم وانتهكوا حرمة سيدة من نساء الانصار ، وهذا مما يدعو المسلمين للتحرز منهم وعدم ائتمانهم في المستقبل اذا شبت الحرب في المدينة بين المسلمين وغيرهم فأنزل الله في سورة الانفال ﴿ وَآمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْهُم (١) إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ فدعا عليه السلام رؤساءهم وحذرهم عاقبة البغي ونكت العهد فقالوا : يا محمد لا يغرنك ماليت من قومك فانهم لا علم لهم بالحرب ولو لقيتنا لتعلمن أنا نحن الناس ، وكانوا أشجع يهود ، فأنزل الله في سورة آل عمران ﴿ قُلْ الَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْمَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي قَتْلِ التَّقَاتِ فِئَةٍ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ . وعند ذلك تبرأ من حلفهم عبادة بن الصامت أحد رؤساء الخزرج وتشبث بالحلف عبدالله بن أبي وقال : اني رجل أخشى الدوائر فأنزل الله تعليما للمسلمين في سورة المائدة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ فترى الذين في قلوبهم مرضٌ

(١) اي فاطرح لهم العهد على طريق مستو ، قصداً بأن تظهر لهم نبد اليهود ولا تتأجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد لأن ذلك خيانة ، لذا قال ( إن الله لا يحب الخائنين )

يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ  
بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ تَادِمِينَ \*  
وعندما تظاهر يهود قيقناع بالعداوة وتحصنوا بحصونهم سار اليهم عليه السلام في  
نصف شوال من هذه السنة يحمل لواء عمه الحمزة وخلف على المدينة أبا لبابة  
الأنصاري فحاصرهم خمس عشرة ليلة .

### جاء قيقناع

ولما رأوا من انفسهم العجز عن مقاومة المسلمين وادركهم الرعب سألوا  
رسول الله ان يخلي سبيلهم فيخرجوا من المدينة ولهم النساء والذرية والمسلمين  
الأموال فقبل ذلك عليه السلام وكل بجلائهم عبادة بن الصامت وامهلهم ثلاث  
ليال فذهبوا الى اذرع (١) ولم يحل عليهم الحول حتى هلكوا وخمس عليه  
السلام اموالهم واعطى سهم ذوي القربى لبني هاشم ولبني المطلب دون بني  
أخويهما عبد شمس ونوفل ، ولما سئل عن ذلك قال : إنما بنو هاشم وبنو  
المطلب شيء واحد في الجاهلية والاسلام . هكذا وشبك بين اصابعه

### غزوة السويق

كان ابو سفيان متجهاً لأنه لم يشاهد بديراً التي قتل فيها ابنه وذوو قريبه  
فخلف الايمس رأسه الماء حتى يغزو محمداً . وليبر بقسمه خرج بمائتين من  
اصحابه يريد المدينة ، ولما قاربها أراد أن يقابل اليهود من بني النضير

(١) قرية واقعة بين السويداء ودمشق وتسمى الآن [ازرع] واهلها مسلمون بخلاف السويداء :  
دروز بعيدين عن الاسلام كل البعد وجوهر الاسلام المتين يدعون الاسلام ولكن لا صلاة  
ولا صيام الا انهم يسمون ابناهم بأسماء ابناء المسلمين واذرع تابعة لمنطقة حوران وتبعد عن  
دمشق ١٠٠ كم جنوباً اه (ش)

ليهيجهم ويستعين بهم على حرب المسلمين . فأتى سيدهم حي بن اخطب فلم  
يرض مقابلته فأتى سلام بن مشكم فأذن له واجتمع به ثم خرج من عنده  
وارسل رجالا من قريش الى المدينة فخرقوا في بعض نخلها ووجدوا أنصاريا  
فقتلوه ، ولما علم رسول الله خرج في اثرهم في مائتين من اصحابه لحس خلون  
من ذي الحجة بعد ان ولى على المدينة بشير بن عبد المنذر ولكن لم يلحقهم  
لأنهم هربوا ، وجعلوا يخفون ما يحملونه ليكونوا أقدر على الاسراع فالتوا  
ما معهم من جرب السويق فأخذهم المسلمون ، ولذلك سميت هذه الغزوة  
بغزوة السويق .

### صلاة العير

وفي هذا العام سنَّ الله للعالم الاسلامي سنة عظيمة ، بها يتمكن ابناء  
البلد الواحد من المسلمين ان يجددوا عهد الاخاء ويقووا عروة الدين  
الوثقى وهي الاجتماع في يومي عيد الفطر وعيد الاضحى . وكان عليه السلام  
يجمع المسلمين في صعيد واحد ويصلي بهم ركعتين تضرعا الى الله الا يفصم  
عروتهم وان ينصرهم على عدوهم ، ثم يخطبهم حاضاً على الائتلاف ومذكراً  
لهم ما يجب عليهم لانفسهم ، ثم يصفح المسلمون بعضهم بعضاً وبعد ذلك  
يخرجون لاداء الصدقات للفقراء والمساكين حتى يكون السرور عاما للجميع  
المسلمين فبعد الفطر زكاته وبعد الاضحى تضحيته . نسأله تعالى أن يؤلف بين  
قلوبنا ويوفقنا لاعمال سلفنا .

### زواج عليؑ بفاطمة عليها السلام

وفي هذه السنة تزوج عليؑ بن ابي طالب وعمره إحدى وعشرون سنة  
بفاطمة بنت رسول الله وسنها خمس عشرة سنة وكان منها عقب رسول الله

بنو الحسن الحسين وزينب ، وفيها (١) دخل عليه السلام بعائشة بنت ابي بكر  
وسنها اذ ذاك تسع سنوات .

### السنة الثالثة

يا لله يقضي على الشقي بالشقاوة حتى لا يسمع ولا يبصر فيتخذ الغدر  
رداءً واخيانة شعاراً فلا ينجح معه الا اراحة العالم من شره ، هذا كعب بن  
الاشرف اليهودي عظيم بني النضير اعمته عداوة المسلمين حتى خلع برفع الحياء  
وسار يجرّض قريشا على حرب رسول الله ويهجوّه بالشعر ويجهّد في اثاره  
الشحناء بين المسلمين ، فكلما جبر عليه السلام كسرا هاضه هذا الشقي  
بما ينفثه من سموم لسانه .

### قتل كعب بن الاشرف

ولما انتصر المسلمون بيدر ورأى الأسرى مقرنين في الجبال خرج الى قريش  
بيكي قتلاهم ويحرضهم على حرب المسلمين (١) فقال عليه السلام : من لكعب  
بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله ؟ فقال محمد بن مسلمة الانصاري  
الأوسى : أتج أن اقتله ؟ قال نعم ، قال : أنا لك به وأذن لي أن أقول  
شيئاً أتمكن به ، فأذن له ، ثم خرج ومعه أربعة من قومه حتى أتى كعبا  
فقال له : إن هذا الرجل ( يريد رسول الله ) قد سألنا صدقةً وانّه  
قد عانا وإني قد أتيتك أستسلفك ، قال وأيضا والله أتملنّه قال إنا قد اتبعناه  
(١) اي في هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة .

(٢) الحديث : عن جابر رضي الله عنه : اخرجه الشيخان وابو داود وهنا في بعض ترك من  
الالفاظ تيسير الوصول ( ٣ - ١٧٨ )  
رواية البخاري من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله اخرجه مسلم والنسائي هداية  
الباري ٢-٢٣١

فلا نحب أن ندعه حتى ننظر الى اي شيء يصير شأنه ، وقد أردنا ان تسلفنا وسقنا أو وسقين قال نعم ولكن ارهنوني . قالوا : أى شيء تريد ؟ قال : ارهنوني نساءكم قالوا : كيف زهنك نساءنا وانت أجمل العرب ؟ قال : فارهنوني أبناءكم قالوا كيف زهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن (١) بوسق أو وسقين ، هذا عار علينا ولكن زهنك اللامة ( يعني السلاح ) فرضي فواعدده ليلاً أن يأتيه فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة أخو كعب من الرضاع وعباد ابن بشر والحارث بن أوس وأبو عيس بن جبر وكلهم أوسيون فناداه محمد بن مسامة فأراد أن ينزل فقات له امرأته : أين تخرج الساعة وإنك امرؤ تجارب ؟ فقال إنما هو ابن اخي محمد بن مسامة ورضيعي أبو نائلة . إن الكريم لو دعي الى طعنة بليل لأجاب . ثم قال محمد لمن معه إذا جاءني فاني آخذ بشعره فأشبهه فاذا رأيتموني استمكنت من رأسه فاضربوه فنزل اليهم كعب متوشحاً سيفه وهو ينفخ منه ريح المسك فقال محمد : ما رأيت كاليوم ريحاً أطيب أتأذن لي أن أشم رأسك ؟ قال نعم فشمه ، فلما استمكن منه قال : دونكم فاقتلوه ففعلوا وأراح الله المسلمين من شر أعماله التي كان يقصدها بهم . ثم أتوا النبي فأخبروه . وكان قتل هذا الشقي في ربيع الأول من هذا العام وكان عليه السلام اذا رأى من رئيس غدرًا ومقاصد سوء ومحبة لاثارة الحرب أرسل له من يريجه من شره . وقد فعل كذلك مع أبي عفاك اليهودي وكان مثل كعب في الشر .

### غزوة عطفان

بلغ رسول الله أن بني ثعلبة ومحارب من عطفان تجمعوا برياسة رئيس

(١) خمسة اوسق من تمر . جمع وسق بفتح اوله وسكون ثانية وحكي كسر اوله وهو ستون صاعا تفسير غريب الحديث ص ٢٥ والصاع ، اربعة امداد والمد رطل وثلث او رطلان على اختلاف المذهبين . تيسير الوصول ٣ - ١٢٢

منهم اسمه دعثور يريدون الغارة على المدينة فأراد عليه السلام ان يغل ايديهم كيلا يتمكنوا من هذا الاعتداء فخرج اليهم من المدينة في أربعائة وخمسين رجلا لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول وخلف على المدينة عثمان بن عفان . ولما سمعوا بسير رسول الله هربوا الى رؤوس الجبال ، ولم يزل المسلمون سائرين حتى وصلوا ماء يسمى ذا امر فعسكروا به وحدث أنه عليه السلام نزع ثوبه يجففه من مطر بلله وارتاح تحت شجرة والمسلمون متفرقون فأبصره دعثور فأقبل اليه بسيفه حتى وقف على رأسه وقال : من يمنعك مني يا محمد ؟ فقال الله . فأدركت الرجل هيبة ورعبا اسقطا السيف من يده ، فتناوله عليه السلام وقال لدعثور : من يمنعك مني ؟ قال لا احد . فعقاعته فأسلم الرجل ودعا قومه للاسلام وحول الله قلبه من عداوة رسول الله وجمع الناس لحربه الى محبته وجمع الناس له ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ وهذا ما ينتجه حسن المعاملة والبعد عن الفظاظه وغلظ القلب ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

### غزوة بجران

بلغه عليه السلام أن جمعا من بني سليم يريدون الغارة على المدينة فصار اليهم في ثلاثمائة من اصحابه لست خلون من جمادى الاولى وخلف على المدينة ابن أم مكتوم . ولما وصل الى بجران (١) تهرقوا ولم يلق كيدا فرجع .

(١) موضع بناحية الفرع ، وهذا موضع من اضخم اعراض المدينة .

## سرية

لما تيقنت قريش أن طريق الشام من جهة المدينة اغلق في وجه تجارتهم ولا يمكنهم الصبر عنها لأن بها حياتهم ارسلوا عيرا الى الشام من طريق العراق وكان فيها جمع من قريش منهم أبو سفيان بن حرب وصفوان ابن أمية وحويطب بن عبد العزى فجاءت اخبارهم لرسول الله فأرسل لهم زيد ابن حارثة في مائة راكب يتربونهم وكان ذلك في جمادي الآخرة فسارت السرية حتى لقيت العير على ماء اسمه ( القردة ) بناحية نجد فأخذت العير وما فيها وهو الرجال ، وقد خمس الرسول عليه السلام هذه حينما وصلت له .

## غزوة أحد

لما أصاب قريش ما أصابها بيدر وأغلقت في وجوههم طرق التجارة اجتمع من بقي من أشرفهم إلى أبي سفيان رئيس تلك العير التي جلبت عليهم المصائب — وكانت موقوفة بيدار الندة ولم تكن سلمت لاصحابها بعد — فقالوا : إن محمداً قد وترنا وقتل خيارنا وإنا رضينا أن نترك ربح أموالنا فيها استعداداً للحرب محمداً وأصحابه وقد رضي بذلك كل من له نصيب وكان ربحها نحواً من خمسين ألف دينار فجمعوا لذلك الرجال فاجتمع من قريش ثلاثة آلاف رجل ومعهم الأحابيش وهم حلفاؤهم من بني المصطلق وبني الهون بن خزيمية ومعهم أبو عامر الراهب الأسى وكان قد فارق المدينة كراهية لرسول الله ﷺ ومعه عدد ممن هم على شاكلته وخرج معهم جماعات من اعراب كنانة وتهامة وقال صفوان بن أمية لأبي عزة الشاعر الذي لا ينسى القاريء أن الرسول من عليه بيدر وأطلقه من غير فداء : إنك رجل شاعر فأعنا بلسانك فقال إني عاهدت محمداً ألا أعين عليه وأخاف ان وقعت في يده



مرة ثانية ألا أنجو ، فلم يزل به صفوان حتى أطاعه وذهب يستنفر الناس  
 لحرب المسلمين . ودعا جبير بن مطعم غلاماً حبشياً له اسمه وحشى ، وكان رامياً  
 قلماً يخطى ، فقال له اخرج مع الناس فإن أنت قتلت حمزة بعني طعيمة فأنت  
 حر ثم خرج الجيش ومعهم القيان والدفوف والمعازف والخمور واصطحب الاشراف  
 منهم نساءهم كيلاً ينهزموا ولم يزالوا سائرين حتى نزلوا مقابل المدينة بذي الحليفة .  
 أما رسول الله عليه الصلاة والسلام فكان قد بلغه الخبر من كتاب بعث به  
 اليه عمه العباس بن عبد المطلب الذي لم يخرج مع المشركين في هذه الحرب  
 محتجاً بما أصابه يوم بدر . ولما وصلت الأخبار باقتراب المشركين جمع عليه  
 السلام أصحابه وأخبرهم الخبر وقال : إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث  
 نزلوا فإن هم أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم  
 فكان مع رايه شيوخ المهاجرين والأنصار ورأى ذلك أيضاً عبد الله بن أبي ،  
 أما الأحداث وخصوصاً من لم يشهد بدرأً منهم فأشار عليه بالخروج وكان  
 مع رأيهم حمزة بن عبد المطلب ، وما زال هؤلاء بالرسول حتى تبع رأيهم لانهم  
 الأكثرون عدداً والاقويون جلدأً فصلى الجمعة بالناس في يومها لعشر خلون  
 من شوال وحضهم في خطبتها على الثبات والصبر وقال لهم ( لكم النصر ما صبرتم )  
 ثم دخل حجرته ولبس عدته فظاهر بين درعين (١) وتقلد السيف وألقى  
 الترس وراء ظهره : ولما رأى ذوو الرأي من الأنصار أن الأحداث  
 استكروها الرسول على الخروج لاموهم وقالوا : ردوا الأمر لرسول الله فما  
 أمر ائتمرنا . فلما خرج عليه السلام قالوا يا رسول الله تتبع رأيك فقال :  
 ما كان لنبي لبس سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه . ثم عقد  
 الإلوية فأعطى لواء المهاجرين لمصعب بن عمير ، ولواء الخزرج للحباب بن المنذر  
 ولواء الأوس لآسيد بن الحضير . وخرج من المدينة بألف رجل . فلما وصلوا  
 رأس الثنية نظر عليه السلام كتيبة كبيرة فسأل عنها فقيل هؤلاء حلفاء

(١) اي لبس درعا فوق درع وهما ذات الفضول ، وفضة التي اصابتها من قينقاع

عبد الله بن أبي من اليهود فقال انا لانستعين بكافر على مشرك وامر بردهم لانه  
 لا يأمن جانبهم من حيث أن لهم اليد الطولى في الخيانة . ثم استعرض الجيش  
 فرد من استصغر وكان فيمن ردرافع بن خديج وسمرة بن جندب ، ثم أجاز رافعاً  
 لما قيل له انه رام فبكى سمرة وقال لزوج أمه : أجاز رسول الله رافعاً  
 وردني مع اني أصرعه ، فبلغ رسول الله الخبر فأمرها بالمصارعة فكان الغالب  
 سمرة فأجازه . ثم بات عليه السلام محله ليلة السبت واستعمل على حرس الجيش  
 محمد بن مسلمة وعلى حرسه الخاص ذكوان بن قيس . وفي السحر سار  
 الجيش حتى اذا كان بالشوط وهو بستان بين أحد والمدينة ، رجع عبدالله  
 بن أبي بلثمة من اصحابه وقال : عصاني وأطاع الولدان فعلام تقتل انفسنا  
 فتبعهم عبدالله بن عمرو والد جابر وقال يا قوم : اذكركم الله ان تخذلوا  
 قومكم ونيبكم ﴿ قالوا لو نعلم قتالاً لا تبعنكم ﴾ فقال له : ابعدكم الله  
 فسيغني الله عنكم نبيه . ولما فعل ذلك عبدالله بن أبي همت طائفتان من  
 المؤمنين أن تفشلا : بنو حارثة من الخزرج وبنو سامة من الأوس فعصمهما  
 الله وقد افترق المسلمون فرقتين فيما يفعلون بالمتخذين فقوم يقولون تقتلهم  
 وقوم يقولون نتركهم ، فأنزل الله في سورة النساء ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ  
 فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أتريدون ان تتهدوا من أضل الله وامن  
 يضل الله فلن تجد له سبيلاً ﴾ . ثم سار الجيش حتى نزل الشعب من  
 أحد (١) وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة ، أما المشركون فنزلوا بطن  
 الوادي من قبل أحد وكان على ميمنتهم خالد بن الوليد ، وعلى اليسرة عكرمة  
 ابن أبي جهل ، وعلى المشاة صفوان بن أمية فجعل عليه السلام الزبير بن العوام  
 بازاء خالد وجعل آخرين أمام الباقين واستحضر الرماة وكانوا خمسين رجلاً  
 يرأسهم عبدالله بن جبير الأنصاري فوقفهم خلف الجيش على ظهر الجبل وقال :  
 ولا تبرحوا : إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وان رأيتموهم ظهرنا

(١) جبل شمال المدينة الشرقي

علينا فلا تبرحوا ثم عدل عليه السلام الصفوف وخطب المسلمين وكان فيما قال : ألقى في قلبي الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها فاتقوا ربكم وأجلوا في طلب الرزق لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله ، والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى له سائر جسده ثم ابتدأ القتال بالبارزة فخرج رجل من صفوف المشركين فبرز له الزبير فقتله ، ثم حمل اللواء طلحة بن أبي طلحة فقتله علي فحمل اللواء أخوه عثمان فقتله حمزة فحمله أخ لهما اسمه أبو سعيد فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم قضى عليه فتناوب اللواء بعده أربعة من اولاد طلحة بن ابي طلحة وكلهم يقتلون . وخرج من صفوف المشركين عبد الرحمن بن ابي بكر يطلب البراز فأراد ابوه ان يبرز له . فقال عليه السلام : متعنا بنفسك يا ابا بكر . ثم حملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات وفي كلها يفضحهم المسلمون بالنبل فينتهقرون . ولما التقت الصفوف وحميت الحرب ابتدأ نساء المشركين يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار تهيبجا لعواطف الرجال ، وكان عليه السلام كلما سمع نشيد النساء يقول ( اللهم بك اجول وبك اصول وفيك اقاتل ، حسبي الله ونعم الوكيل ) وفي هذه المعركة قتل حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله سيد الشهداء غافله وحشي وهو يجول في الصفوف وضربه بحربة لم تخطيء ثنايا بطنه .

هذا ؛ ولما قتل حملة اللواء من المشركين ولم يقدر احد على الدنو منه ولوا الأدبار ونسأؤهم يبكين ويولولن ، وتبعهم المسلمون يجمعون الغنائم والأسلاب . فلما رأى ذلك الرماة الذين يجمون ظهور المسلمين فوق الجبل قالوا : ما لنا في الوقوف من حاجة ، ونسوا امر السيد الحكيم صلى الله عليه وآله وسلم فذكروهم رئيسهم به فلم يلتفتوا وانطلقوا يتتهبون . اما رئيسهم فثبت وثبت معه قليلا منهم . فلما رأى خالد بن الوليد احد رؤساء المشركين خلو الجبل من الرماة

انطلق ببعض الجيش فقتل من ثبت من الرماة واتى المسلمين من ورائهم وهم  
مشتغلون بديارهم : فلما رأوا ذلك البلاء دهشوا وتركوا ما بأيديهم وانهتقضت  
صفوفهم واختلطوا من غير شعور حتى صار يضرب بعضهم بعضاً ورفعت إحدى  
نساء المشركين اللواء فاجتمعوا حوله وكان من المشركين رجل يقال له ابن  
قيئة قتل مصعب بن عمير صاحب اللواء واشاع ان محمداً قد قتل فدخل الفشل  
في المسلمين حتى قال بعضهم : علام نقاتل إذا كان محمداً قد قتل ؟ فارجعوا  
إلى قومكم يؤمنوكم ؛ وقال جماعة : إذا كان محمد قتل ققاتلوا عن  
دينكم وكان من نتيجة هذا الفشل ان انهرم جماعة من المسلمين من بينهم  
الوليد بن عقبة ، وخارجة بن زيد ، ورفاعة بن المعلى ؛ وعثمان بن عفان ،  
وتوجهوا إلى المدينة ولكنهم استحيوا ان يدخلوها فرجعوا بعد ثلاث وثبت  
رسول الله ﷺ ومعه جماعة منهم ابو طلحة الأنصاري استمر بين يديه يمنع  
عنه بحجفته ، وكان رامياً شديداً الرمي فنثر كنانته بين يدي رسول الله وصار  
يقول : وجهي لوجهك فداء ، وكل من كان يمرُّ ومعه كنانة يقول له عليه  
السلام : اثرها لأبي طلحة ؛ وكان ينظر الى القوم ليرى ماذا يفعلون فيقول  
له ابو طلحة : يا نبي الله بأبي انت وامى ، لا تنظر يصيبك سهم من سهام  
القوم ! نحري دون نحرك . وعمن ثبت سعد بن ابي وقاص فكان عليه السلام  
يقول له : ارم سعد ! فداك ابي وامى ومنهم سهل بن حنيف وكان من  
مشاهير الرماة نضح عن رسول الله بالنبل حتى انفرج عنه الناس . ( ومنهم )  
ابو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري تنرس على رسول الله فصار النبل يقع  
على ظهره وهو منحني حتى كثر فيه . ( وكان ) يقاتل عن الرسول زيادة  
ابن الحارث حتى اصابت الجراح مقاتله فأمر به فأدنى منه ووسده قدمه حتى  
مات ، وقد اصابه عليه السلام شدة عظيمة تحملها بما اعطاه الله من الثبات  
فقد أقبل ابي بن خلف يريد قتله فأخذ عليه السلام الحربة ممن كانوا معه  
وقال : خلوا طريقه . فلما قرب منه ضربه ضربة كانت سبب هلاكه وهو

راجع ولم يقتل رسول الله غيره لا في هذه الغزوة ولا في غيرها (وكان)  
 ابو عامر الراهب قد حفر حفراً وغطاها ليقع فيها المسلمون فوقع الرسول في  
 حفرة منها فأغمى عليه وخذشت ركبته فأخذ علي بيده ورفع طلحة بن  
 عبيد الله وهما ممن ثبت حتى استوى قائماً فرماه عتبة بن ابي وقاص بججر كسر  
 رباعيته فتبعه حاطب بن ابي بلتععة فقتله ، وشج وجهه عليه السلام عبد الله بن  
 شهاب الزهري وجرحته وجنتاه بسبب دخول حلقتي المغفر فيها من ضربة ضربه  
 بها ابن قبيصة ، غضب الله عليه ، نجاء ابو عبيدة وعالج الحقتين حتى نزعهما  
 فكسرت في ذلك ثنيتاه وقال حينئذ عليه السلام (١) : كيف يفلح قوم  
 خصبوا وجه نبيهم ؟ فأزل الله في سورة آل عمران ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ  
 شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَأَنْهَمُ الظَّالِمُونَ ﴾ \* وكان اول من عرف  
 رسول الله بعد هذه الدهشة كعب بن مالك الأنصاري فنادى : يا معشر المسلمين  
 ابشروا ، فأشار اليه الرسول ان اصمت . ثم سار بين سعد بن ابي وقاص  
 وسعد بن عباد يريد الشعب ومعه جمع ابو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير  
 والحارث بن الصمة ، واقبل عليه إذ ذاك عثمان بن عبد الله بن المغيرة يقول :  
 أن محمد ؟ لانجوت إن نجبا ، فعثر به فرسه ووقع في حفرة فمشى اليه  
 الحارث بن الصمة وقتله . لما وصل الشعب جاءت فاطمة فمسكت عنه الدم  
 وكان على يسكب الماء ثم اخذت قطعة من حصير فأحرقتها ووضعتها على  
 الجرح فاستمسك الدم (٢) . ثم اراد عليه السلام ان يعلو الصخرة التي في  
 الشعب فلم يمكنه القيام لكثرة ما نزل من دمه فحمله طلحة بن عبيد الله حتى  
 اصعده فنظر الى جماعة من المشركين على ظهر الجبل فقال : لا ينبغي لهم  
 ان يعلونا ، اللهم لا قوة لنا إلا بك ثم ارسل اليهم عمر بن الخطاب في  
 جماعة فأزلوهم . (وقد) اصاب المسلمين الذين كانوا يحوطون رسول الله كثير

(١) أخرجه مسلم والترمذي . تيسير الوصول ٣ - ١٨٣

(٢) متفق عليه عن أبي حازم الطب النبوي ص ٣٨

الجراحات لأن الشخص منهم كان يتلقى السهم خوفاً أن يصل للرسول فوجده  
بطلحة نيف وسبعون جراحة وشلت يده ، واصاب كعب بن مالك سبع  
عشرة جراحة ، أما القتلى فكانوا نيفا وسبعين منهم ستة من المهاجرين  
والباقون من الأنصار . (ومن) المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن  
عمير . ومن الأنصار حنظلة بن أبي عامر . وعمرو بن الجموح وابنه خلاد بن  
عمرو وأخو زوجه والدجابر بن عبدالله ، فأنت زوج عمر وهند بنت حرام  
وحملتهم زوجها وابنها وأخاها على بعير لتدفنهم بالمدينة فنهى عليه السلام عن  
الدفن خارج أحد فرجموا (وقتل) سعد بن الربيع وأرسل عليه السلام  
من يأتيه بخبره فوجده بين القتلى وبه رمق فقيل له إن رسول الله يسأل عنك  
فقال لبلغه قل لقومي يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهدتم عليه  
رسوله ليلة العقبة فوالله ما لكم عندي عذر . وقتل انس بن النضر ، عم  
أنس بن مالك فانه لما سمع بقتل رسول الله قال : يا قوم ما تصنعون بالبقاء  
بعده ؟ موتوا على ما مات عليه إخوانكم ، فلم يزل يقاتل حتى قتل رضي الله  
عنه . ومثلت قريش بقتلى أحد حتى إن هنداً زوج أبي سفيان بقرت بطن  
حمزة وأخذت كبده لتأكلها فلاكتها ثم أرسلتها ، ودفنوا قريباً من ذلك باخوانه  
الشهداء . ثم إن أبا سفيان صعد الجبل ونادى بأعلى صوته : نعمت فعال إن  
الحرب سجال يوم بيوم بدر ، وموعدكم بدر العام المقبل . ثم قال إنكم  
ستجدون في قتلكم مثلة لم أمر بها ولم تسؤني . ثم إن المشركين رجعوا الى  
مكة ولم يرجوا على المدينة ، وهذا مما يدل على أن المسلمين لم ينهزموا في  
ذلك اليوم والا لم يكن بد من تعقب المشركين لهم حتى يغيروا على مدينتهم .  
ثم تفقد عليه السلام القتلى وحزن على عمه حمزة حزناً شديداً ودفن الشهداء  
كلهم بأحد كل شهيد بثوبه الذي قتل فيه ، وكان يدفن الرجلين والثلاثة  
في لحد واحد ، لما كان عليه المسلمون من التعب ، فكان يشق عليهم أن

يُحْفَرُوا لِكُلِّ شَهِيدٍ حُمْرَةٌ . وَلَمَّا رَجَعَ الْمَسَامُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ سَخَّرَ مِنْهُمْ الْيَهُودَ  
وَالْمُنَافِقِينَ وَظَهَرُوا مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَقَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ : ﴿ تَوَّ كَانُوا  
عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ﴾

وهذا الذي ابتلى به المسامون درس مهم لهم يذكرهم بأمرين عظيمين  
تركهما المسامون فأصيبوا ؛ أولهما طاعة الرسول في أمره فقد قال للرماة لا  
تبرحوا مكانكم إن نحن نصرنا أو قهرنا ، فعصوا أمره ونزلوا . الثاني ان  
تكون الاعمال كلها لله غير منظور فيها لهذه الدنيا التي كثيراً ما تكون  
سبباً في مصائب عظيمة ، وهؤلاء أرادوا عرض الدنيا واتهوا بالغنائم حتى  
عوقبوا ، وفي ذلك أنزل الله في سورة آل عمران التي فصلت غزوة أحد  
﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ  
فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا  
وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ تَوَّ بِأَعْيُنِكُمْ عَنْهُمْ لِيُتْلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ  
وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فسبب هذا الابتلاء التنازع فينبغي الاتفاق ؛  
والفشل فينبغي الثبات ؛ والعصيان فينبغي طاعة ولاية الامور . نسأل الله  
التوفيق .

### غزوة حمراء الاسد

ولما رجع عليه السلام الى المدينة أصبح حذراً من رجوع المشركين الى  
المدينة ليتمموا انتصارهم فنأدى في اصحابه بالخروج خلف العدو وألا يخرج  
الا من كان معه بالأمس فاستجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرع  
فضمدوا جراحاتهم وخرجوا واللواء معقود لم يحل فأعطاه علي بن أبي طالب  
وولى على المدينة ابن أم مكتوم ثم سار الجيش حتى وصلوا الى حمراء

الأسد (١) وقد كان ما ظنه الرسول حقاً فإن المشركين تـالـاوموا على ترك المسلمين من غير شن الغارة على المدينة حتى يتم لهم النصر فأصروا على الرجوع ولكن لما بلغهم خروج الرسول في أثرهم ظنوا انه قد حضر معه من لم يحضر بالأمس وألقى الله الرعب في قلوبهم فتمادوا في سيرهم الى مكة وظفر عليه السلام وهم في حمراء الأسد ، بأبي عزة الشاعر الذي من عليه بيدر بعد ان تعهد الا يكون على المسلمين فأمر بقتله ، فقال يا محمد أقلني وامن علي ودعني لبناتي واعطيك عهداً ألا اعود لمثل ما فعلت ، فقال عليه السلام : لا والله لا تمسح عارضيك بمكة وتقول : خدعت محمداً مرتين لا يبلغ المؤمن من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا زيد ف ضرب عنقه . وفي هذا تأديب عظيم من صاحب الشرع الشريف فان الرجل الذي لا يحتز مما اصيب منه ليس بمعاقل فلا بد من الحزم لاقامة دعائم الأمن والسلام .

### صوات

وفي هذه السنة تزوج عليه السلام بنته أم كاثوم لعثمان بن عفان بعد أن ماتت رقية عنده ولذلك كان يسمى ذا النورين ، وفيها تزوج عليه السلام حفصة بنت عمر بن الخطاب وأمها اخت عثمان بن مظعون وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه فتوفي عنها بجراحه اصابته بيدر . وفيها تزوج عليه السلام زينب بنت خزيمة الهلالية من بني هلال بن عامر كانت تدعي في الجاهلية أم المساكين لرأفتها واحسانها اليهم وكانت قبله تحت عبدالله بن جحش فقتل عنها بأحد وهي اخت ميمونة بنت الحارث لأمها . وفيها ولد الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وفيها حرمت الخمر وكان تحريمها بالتدريج

(١) موضع على ثلاثة أميال من المدينة بطريق مكة



لما كان عليه العرب من المحبة الشديدة لها فيصعب اذاً تحريمها دفعة واحدة ، وكان ذلك التحريم تابعاً لحوادث تنفر عنها ، لأن المنكر إذا اسند تحريمه لحادثة أقرّ الجميع على تقييدها كان ذلك أشد تأثيراً في النفس . فأول ما بين فيها قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ فمنفعة الميسر التصدق بربحه على الفقراء كما كانت عادة العرب ، ومنفعة الخمر تقوية الجسم ولما شربها بعض المسلمين وخلط في القراءة حرمت الصلاة على السكران ؛ فقال تعالى في سورة النساء ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ . ولما حدث من شربها اعتداء بعض المسلمين على اخوانهم حرمت قطعاً بقوله تعالى في سورة المائدة ( يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ (١) وَالْأَزْلَامُ (٢) رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ) وقد اجاب المسلمون على ذلك بقولهم ، انتهينا . فليجب المسلمون الآن .

### السنة الرابعة

في بدء السنة الرابعة بلغ رسول الله أن طليحة وسلمة ابني خويلد الاسديين يدعوان قومهما بني أسد لحربه عليه السلام فدعا أبا سلمة ابن عبدالاسد الخزومي ، وعقد له لواء وقال له : سرحتي تنزل أرض بني أسد بن خزيمية فأغر عليهم وارسل معه رجلا فسار في هلال المحرم حتى بلغ قطناً (٣) فأغار

(١) هي حجارة يصب عليها دماء الذبح وتعد

(٢) هي القداح التي كانوا يستقسمون بها ، وفي قرن الخمر والميسر بالأنصاب والأزلام نهاية التنفير ، ولذلك قال عليه السلام : شارب الخمر كعابد الوثن

(٣) جبل لبني أسد بناحية فيد شرقي المدينة

عليهم فهربوا من منازلهم ووجد أبو سلمة إبلا وشاة فأخذها ولم يلق حربا ورجع بعد عشرة أيام من خروجه ، وفي بدئها أيضاً بلغه عليه السلام أن أباسفيان بن خالد بن نبيح الهذلي المقيم بعرنة (١) يجمع الجموع لحربه فأرسل له عبدالله بن أنيس الجهني وحده ليقتله فاستأذن رسول الله ﷺ أن يتقول حتى يتمكن فاذن له وقال : انتسب لخزاعة فخرج لحبس خلون من الحرم ، ولما وصل اليه قال له سفيان : ممن الرجل ؟ قال : من خزاعة سمعت بجمعك لحمد فحئت لا كون معك ، فقال له : أجل إني لفي الجمع له ، فمشى عبد الله معه وحديثه وسفيان يستحلي حديثه ، فلما انتهى الى خباته تفرق الناس عنه فجلس معه عبدالله حتى نام فقام وقتله ثم ارتحل حتى اتى المدينة ولم يلحقه الطلب وكفى الله المؤمنين القتال .

### سرية

وفي صفر أرسل عليه الصلاة والسلام عشرة رجال عيوناً على قريش مع رهط عضل والقارة الذين جاءوا رسول الله ﷺ يطلبون من يفقههم في الدين وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري فخرجوا يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى اذا كانوا بالرجيع (٢) غدر بهم أولئك الرهط ودلوا عليهم هذيلاً قوم سفيان بن خالد الهذلي الذي كان قتله عبدالله بن أنيس فنفروا اليهم يقرب من مائتي رام واقتفوا آثارهم حتى قربوا منهم فلما أحس بهم رجال السرية لجأوا الى جبل هناك فقال لهم الأعداء . انزلوا ولكم العهد الا تقتلكم فنزل اليهم ثلاثة اغتروا بعهدهم وقتلهم الباقون ومعهم عاصم غير راضين بالنزول في ذمة مشرك .

(١) موضع قريب من عرفات

(٢) ماء لبني هزبل بين مكة وعسفان .

ولما رأى الثلاثة الذين سلموا عين الغدر امتنع احدثهم فقتلوا ، واما الاثنان فباعوهما بمكة ممن كان له ثأر عند المسلمين وهناك قتلا . وقد قال احدهما وهو حبيب بن عدى حين ارادوا قتله :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً      على أي جنب كان في الله مصرعي (١)  
وذلك في ذات الاله وان يشأ      يُبارك على أوصال شلو ممزِع (٢)

### سرية

وفي صفر (٣) وقد على رسول الله ابو عامر بن مالك ملاعب الاسنة ، وهو من رءوس بني عامر ، فدعاه عليه السلام الى الاسلام فلم يسلم ولم يبعد بل قال إني ارى امرئ هذا حسنا شريفا ولو بعثت معي رجلا من اصحابك الى اهل نجد فدعوهم الى امرئ رجوت ان يستجيبوا لك . فقال عليه السلام : اني اخشى عليهم اهل نجد . فقال ابو عامر : انا لهم جار فارسل معهم المنذر ابن عمرو في سبعين من اصحابه كانوا يسمون القراء لكثرة ما كانوا يحفظون من القرآن فساروا حتى نزلوا بئر معونة (٤) فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب الى عامر بن الطفيل سيد بني عامر ، فلما وصل اليه لم يلتفت الى الكتاب بل عدا على حرام فقتله ثم استصرخ على بقية البعثة اصحابه من بني عامر فلم يرضوا ان يخفروا جوار ملاعب الاسنة فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم وهم رعل

(١) هذه بعض الآيات وفي رواية : فوالله ما أرجو إذا مت مسلما .

(٢) الشلو : الجسد الممزع : المقطع

(٣) وذلك في السنة الرابعة .

(٤) شرقي المدينة بين ارض بني عامر وحره بني سليم

وذكوان (١) وعصية فاجابوه وذهبوا معه حتى اذا اتقوا بالقراء احاطوا بهم :  
 وقتلوهم حتى قتلوه عن آخرهم بعد دفاع شديد لم يجدهم نفعا لقلّة عددهم  
 وكثرة عدوهم ولم ينج الا كعب بن زيد وقع بين القتلى حتى ظن انه منهم  
 وعمرو بن أمية كان في سرح القوم . وابلغ عليه السلام خبر القراء فخطب  
 في اصحابه ، وكان فيما قال : ( ان اخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم ،  
 وانهم قالوا ربنا بلغ قومنا انا قد لقينا ربنا فرضينا عنه ورضي عنا ) ، وكان  
 وصول خبر هذه السرية والرجيع في يوم واحد فحزن عليهم صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا  
 واقام يدعو على الغادرين بهم شهرا في الصلاة

### غزوة بني النضير

يا لله ما اسوأ عاقبة الطيش فقد تكون الامة مرتاحة البال هادئة الخواطر  
 حتى تقوم جماعة من رؤسائها بعمل غدر يظنون من ورائه النجاح فيجلب  
 عليهم الشرور ويشتمهم من ديارهم ، وهذا ما حصل ليهود بني النضير حلفاء  
 الخزرج الذين كانوا يجاورون المدينة فقد كان بينهم وبين المسلمين عهد يأمن  
 بها كل منهم الآخر ولكن بنو النضير لم يوفوا بهذه العهد حسداً منهم وبغيا .  
 فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض من اصحابه في ديار بني النضير اذا اثمر جماعة  
 منهم على قتله بأن يأخذ احد منهم صخرة ويلقيها عليه من علو فاطلع عليه السلام  
 على قصدهم فرجع وتبعه اصحابه ، ثم ارسل لهم محمد بن مسلمة يقول لهم :  
 اخرجوا من بلادي فقد هممت بما هممت من الغدر ( اذ الحزم كل الحزم الا  
 يتهاون الانسان مـع من عرف منه الغدر ) فتهياً القوم للرحيل فارسل لهم

(١) فقتن صلى الله عليه وسلم شهراً يدعو في الصبح على احياء من العرب على رعل وذكوان  
 وعصيه وبني لحيان . اخرج الشيخان . تيسير الوصول ٣-١٨٤

إخوانهم المنافقون يقولون لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم (١) \* لئن  
 أخرجتم لنخرجنَّ معكم ولا نطيعُ فيكمَ أحداً أبداً وإنَّ قوتلتمْ  
 لنصرتنَّكم واللهُ يشهدُ إنهمْ لكاذبونَ . لئنْ أخرجوا لا يخرجونَّ معهمْ  
 ولئنْ قوتلوا لا ينصرونَّهمْ ولئنْ نصرهمْ ليولنَّ الأدبارَ ثمَّ لا ينصرونَّ \*  
 ولكن اليهود طمعوا بهذا الوعد وتأخروا عن الجلاء فأمر عليه السلام  
 بالتهيؤ لقتالهم ، فلما اجتمع الناس خرج بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ،  
 واعطى راية علياً . أمّا بنو النضير فتحصنوا في حصونهم وظنوا أنها ما نعتهم  
 من الله فحاصرهم عليه السلام ست ليال ، ثم أمر بقطع نخيلهم ليكون ادعى  
 الى تسليمهم فقتل الله في قلوبهم الرعب ولم يروا من عبدالله بن ابي مسعدة بل  
 خذلهم كما خذل بني قينقاع من قبلهم ، فسألوا رسول الله أن يجلبهم ويكف  
 عن دمائهم وان لهم ما حمت الابل من اموالهم ، إلا آلة الحرب ، ففعل  
 وصار اليهود يخرّبون بوتهم بأيديهم كيلا يسكنها المسلمون (٢) . ولما سار  
 اليهود نزل بعضهم بجبير ، ومنهم أكبرهم حبي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق .  
 ومنهم من سار الى أذرعات بالشام ، وأسلم منهم اثنان يامين بن عمرو وأبو سعد  
 ابن وهب ولم يخمس رسول الله ما أخذ من بني النضير فانه فيء لم يوجف عليه  
 بنخيل ولا ركاب ، ومثل هذا يكون لمعدات الحرب وللرسول يطعم منه اهله  
 ولذوي القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل كما قال تعالى في سورة الحشر  
 \* ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذوي القربي  
 واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولةً بين الأغنياء منكم \*

(١) سورة الحشر وأول الآية (آية ١١-٢١) الم تر الى الذين نافقوا يقولون لآخوانهم الذين  
 كفروا من اهل الكتاب . يعني بني النضير .

(٢) كما ذكر تعالى في اول سورة الحشر وأنزل الله سورة الحشر في بني النضير . حتى آية (١٧)  
 وهذه الغزوة كانت في السنة الرابعة .

فأعطى عليه السلام من هذا النية فقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم وردوا لآخوانهم من الانصار ما كانوا قد أخذوه منهم أيام هجرتهم؟ واخذ عليه السلام أرضا يزرعها ويدخر منها قوت اهله عاما

### غزوة ذات الرقاع (١)

وفي ربيع الآخر بلغه عليه السلام أن قبائل من نجد يتهاون لحربه وهم بنو محارب وبنو ثعلبة فتجهز لهم وخرج في سبعمائة مقاتل وولى على المدينة عثمان بن عفان ، ولم يزلوا سائرين حتى وصلوا ديار القوم فلم يجدوا فيها احداً غير نسوة فأخذهن فبلغ الخبر رجالهم فخافوا وتفرقوا في رؤوس الجبال ، ثم اجتمع جمع منهم وجاءوا للحرب فتقارب الناس واخاف بعضهم بعضاً . ولما حانت صلاة العصر وخاف عليه السلام ان يغدر بهم الأعداء وهم يصلون صلى باسمين صلاة (٢) الخوف فألقى الله الرعب في قلوب الأعداء وتفرقت جموعهم خائفين منه صلى الله عليه وسلم .

ومال الامام البخاري الى أن هذه الغزوة كانت في السنة السابعة واجمع أهل السير على (٣) خلافه .

### غزوة بدر الآخرة

لما أهل شعبان هذا هذا (٤) العام كان موعد أبي سفيان فانه بعد انقضاء

(١) سميت ذات الرقاع لأنهم رقعوا راياتهم وقيل شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وقيل :

الحجارة أو هنت اقدمهم فشدوا رقاعا . ١ ه تهذيب السيرة ١-٢٧٢

(٢) من أراد التوسعة في صلاة الخوف فليراجع كتب الفقه .

(٣) اي في السنة الرابعة . ١-٢٧٢

(٤) وذلك في السنة الرابعة . ١-٢٧٧

غزوة أحد قال للمسلمين : موعدنا بدر العام المقبل ، فأجابه الرسول الى ذلك .  
وكان بدر محل سوق تعقد كل عام للتجارة في شعبان يقيم التجار فيه ثمانياً .  
فلما حل الأجل وقريش مجذبون ، لم يتمكن أبو سفيان من الايفاء بوعده  
فاراد أن يخذل المسلمين عن الخروج كيلا يوسم بخلف الوعد فاستأجر نعيم  
ابن مسعود الأشجعي ليأتي المدينة وقال للمسلمين :

(١) ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا  
اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ولم يلتفت عليه السلام لهذا الارجاف اتكالا على ربه ،  
بل خرج بألف وخمسمائة من اصحابه واستخلف على المدينة عبدالله بن عبد الله  
ابن أبي (٢) ولم يزالوا سائرين حتى اتوا بدرأ فلم يجدوا بها احداً لأن أبا  
سفيان اشار على قريش بالخروج على نية الرجوع بعد مسير ليلة أو ليلتين  
ظاناً أن إرجاف نعيم يفيد فيكون الخلف هم المسلمون فسار حتى اتى مجنّة  
وهي سوق معروفة من ناحية مر الظهران فقال لقومه : إن هذا عام جذب  
ولا يصلحنا إلا عام عشب فارجعوا ، أما المسلمون فاقاموا بدر لا يشاركونهم  
في تجارته أحد (٣) ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْهُمْ سَوْءٌ وَاتَّبَعُوا  
رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ ولما سمع بذلك صفوان بن أمية قال لابي  
سفيان : قد والله نهيتك أن تعد القوم قد اجترأوا علينا ورأوا أخلفناهم .

## مصادر

وفي هذا العام ولد الحسين بن علي وفيه توفيت زينب بنت خزيمة أم

(١) سورة آل عمران وال الآية : الذين قال لهم الناس . آية (١٧٣)

(٢) ابن سلول الانصاري

(٣) سورة آل عمران آية : ١٧٤

المؤمنين وفيه ، توفي أبو سلمة رضى الله عنه ابن عمه رسول الله وأخوه من  
الرضاعة وأول من هاجر الى الحبشة ، وفيه تزوج عليه السلام ام سلمة هند  
زوج أبي سلمة بعد وفاته .

## الستة الخامسة

### غزوة دومة الجندل

في ربيع الأول من هذا العام بلغ النبي ﷺ أن جمعاً من الأعراب  
بدومة الجندل يظلمون من مربيهم وأنهم يريدون الدنو من المدينة فتجهز لغزوم  
وخرج في ألف من أصحابه بعد ان ولى على المدينة سباع بن عرفة الغفاري  
ولم يزل يسير الليل ويكن النهار حتى قرب منهم فلما بلغهم الخبر تفرقوا  
فهجم المسلمون على ماشيتهم ورعائهم فاصيب من أصيب وهرب من هرب ثم نزل  
بساحتهم فلم يلق أحداً رث السرايا فلم يجد منهم احداً فرجع عليه السلام :  
غانماً وصالح وهو عائد عيينة بن حصن الفزاري وهو الذي كان يسميه عليه  
السلام : الأحمق المطاع لانه كان يتبعه الف قناة ، وأقطعه عليه السلام ارضاً  
يرعى فيها بهمم على بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة لان ارضه كانت قد  
اجدبت .

### غزوة بني المصطلق

في شعبان بلغه عليه السلام أن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق الذين  
ساعدوا قريشاً على حرب المسلمين في أحد يجمع الجموع لحربه فخرج له عليه  
السلام في جمع كثير ، وولى على المدينة زيد بن حارثة وخرج معه من نسائه

---

(١) مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين طيبة خمس عشرة ليلة . من اعمال المدينة



عائشة وأم سلمة وخرج معه ناس من المنافقين لم يخرجوا قط في غزوة قبلها يرجون أن يصيبوا من عرض الدنيا ، وفي اثناء مسيره عليه السلام التقى بعين بني المصطلق فسأله عن احوال العدو فلم يجب فامر بقتله ، ولما بلغ الحارث - رئيس الجيش - مجيء المسلمين لحربه وانهم قتلوا جاسوسه خاف هـو وجيشه خوفاً شديداً حتى تفرق عنه بعضهم ولما وصل المسلمون الى المريسيع (١) تصاف الفريقان للقتال بعد ان عرض عليهم الاسلام فلم يقبلوا فتراموا بالنبل ساعة ثم حمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد فلم يتركوا لرجل من عدوهم مجالاً للهرب بل قتلوا عشرة منهم وأسروا باقيهم مع النساء والذرية واستاقوا الابل والشيء ، وكانت الابل الفى بعير والشيء خمسة آلاف استعمل الرسول على ضبطها مولاه شقران وعلى الأسرى بريدة . وكان في نساء المشركين بريرة بنت الحارث سيد الفوم وقد أخذ من قومها مئتا بيت أسرى وزعت على المسلمين وهنا يظهر حسن السياسة ومتمهي الكرم فان بني المصطلق من أعز العرب داراً فأسر نسائهم بهذه الحال صعب جداً فاراد عليه السلام ان يجعل المسلمين يمنون على النساء بالحرية من تلقاء أنفسهم فتزوج بريرة بنت الحارث التي سماها جويرية فقل المسلمون اصهار رسول الله لا ينبغي أسرهم في ايدينا فمنوا عليهم بالعتق ، فكانت جويرية أمين امرأة على قومها كما قالت عائشة رضي الله عنها . وتسبب عن هذا الكرم العظيم وهذه المعاملة الجميلة أن اسلم بنو المصطلق عن بكرة ابيهم وكانوا للمسلمين بعد ان كانوا عليهم وقد حصل في هذه الغزوة نادران لولا أن صاحبتهما حكمة رسول الله ﷺ لعادتا بالتفريق على المسلمين (فاولاهما) أن أجيراً لعمر بن الخطاب اختصم مع حليف للخزرج فضرب الأجير الحليف حتى سال دمه فاستصرخ بقومه الخزرج واستصرخ الاجير بالمهاجرين فاقبل الذعر من الفريقين وكادوا يقتلون لولا أن خرج عليهم رسول

(١) ماء الخزاعة على يوم من الفرع . لذا يقول البخاري هي غزوة المريسيع وقال ابن اسحاق وذلك سنة ست . اه تيسير الوصول [ ١٨٧-٣ ]

الله فقال : ما بال دعوى الجاهلية ؟ ( وهي ما يقال في الاستغاثة يا لفلان )  
 فآخبر الخبر ، فقال : دعوا هذه الكلمة فانها منتنة . ثم كلم المضروب حتى  
 اسقط حقه وبذلك سكنت الفتنة . فلما بلغ عبد الله بن أبي هذا الخصام غضب .  
 وكان عنده رهط من الخزرج فقال : ما رأيت كاليوم مذلة ، او قد فعلوها؟  
 نافرونا في ديارنا والله ما نحن والمهاجرين الا كما قال الأول : سمن كلبك  
 يأكلك ، اما والله (١) \* لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها  
 الازل \* ثم التفت الى من معه وقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ! احللتهم و  
 بلادكم وقاسمتهم اموالكم ، اما والله لو امسكنم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى  
 غير داركم . ثم لم ترضعوا بما فعلتم حتى جعلتم انفسكم غرضا للمنايا دون محمد  
 فأيتتم اولادكم وقلتم وكثروا ، فلا تنفقوا عليهم حتى (٢) ينفضوا من عنده .  
 وكان في مجلسه شاب حديث السن قوى الاسلام اسمه زيد بن ارقم فآخبر  
 رسول الله الخبر فتغير وجهه وقال يا غلام لعلك غضبت عليه فقلت ؟ ما قلت  
 فقال والله يا رسول الله لقد سمعته ، قال : لعله اخطأ سمعك . فاستأذن عمر  
 الرسول في قتل ابن ابي او ان يامر احداً غيره بقتله فنهاه عن ذلك وقال :  
 كيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمداً يقتل اصحابه . ثم اذن بالرحيل في  
 وقت لم يكن يرتحل فيه حين اشتد الحر يقصد بذلك عليه السلام شغل الناس  
 عن التكلم في هذا الموضوع ، فجاء أسيد بن حضير وسأله عن سبب الارتحال  
 في هذا الوقت ؟ فقال : او ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ زعم انه ان رجع  
 الى المدينة ليخرجن الاعز منها الازل ، قال : انت والله يا رسول الله تخرجه  
 ان شئت ؛ هو والله الذليل وانت العزيز . ثم سار عليه السلام بالناس سيرا  
 حينئذ حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يلبثوا ان وجدوا مس الارض حتى  
 وقعوا نياما . وكلم رجال من الانصار عبد الله بن ابي في ان يطلب من الرسول  
 الاستغفار (٣) فلوى راسه واستكبر . وهما نزل على الرسول سورة المنافقين

(١) سورة المنافقون آية [٨] (٢) انظر سورة المنافقون آية [٧] (٣) انظر سورة المنافقون آية [٥]

التي فضحت عبدالله ابن ابي واخوانه وصدقت زيد بن أرقم . ولما بلغ ذلك عبدالله بن عبدالله ابن ابي استأذن رسول الله في قتل ابيه حذرا من ان يكلف بذلك غيره فيكون عنده من ذلك اضعاف واحقاد . فأمره عليه السلام بالاحسان الى ابيه .

### حديث الافك (١)

(النادرة الثانية) وهي أفظع من الاولى وأجلب منها للمصائب وهي رمي عائشة الصديقة زوج رسول الله بالافك فاتهموها بصفوان بن المعطل السامي . وذلك أنهم لما دنوا من المدينة أذن عليه السلام ليلة بالرحيل وكانت السيدة قد مضت لقضاء حاجتها (٢) حتى جاوزت الجيش . فلما قضت شأنها أقبلت الى رحلها فلمست صدرها فاذا عقد لها من جزع ظفار قد انقطع فرجعت تلتمس عقدها فحبسها ابتغاءه فأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونها فاحتملوا هودجها ظانين أنها فيه لأن النساء كن إذ ذاك خفافاً لم يغشهن اللحم فلم يستنكر القوم خفة الهودج وكانت عائشة جارية حديثة السن فجاءت منزل الجيش بعد أن وجدت عقدها وليس بالمنزل داع ولا مجيب فغلبتها عينها فنامت ، وكان الذي يسير وراء الجيش يفتقد ضائعه صفوان بن المعطل فأصبح عند منزلها فعرفها لأنه كان رآها قبل الحجاب فاسترجم فاستيقظت باسترجاعه وسترت وجهها بجلبابها فأناخ راحته وأركبها من غير أن يتكلم بكلمة . ثم انطلق يقود بها الراحلة حتى وصل الجيش وهو نازل المراحة فقامت قيامة أهل الافك وقالوا ما قالوا في

(١) وعن الزهري عن عروة وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفراً أقرع بين نسائه . الحديث رواه الحسة إلا أبا داود .

تفسير الوصول ١ - ١٥٨

(٢) بدء الحديث

عائشة وصفوان ، والذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي . ولما قدموا المدينة مرضت عائشة شهراً والناس يفيضون في قول أهل الإفك ، وهي لا تشعر بشيء ، وكانت تعرف في رسول الله رقة إذا مرضت فلم يعطها نصيباً منها في هذا المرض بل كان يمر على باب الحجر لا يزيد على قوله : كيف حالكم (١) مما جعلها في ريب عظيم . فلما نكثت (٢) خرجت هي وأم مسطح بن أثاثة أحدهم أهل الإفك للتبرز خارج البيوت فعمرت أم مسطح في مرطها فقالت : تمسح مسطح ! فقالت عائشة : بأس ما قلت !! أتسيبن رجلاً شهد بدرًا ؟ فقالت يا هنتاه أولم تسمعي ما قالوا ؟ فسألتهما عائشة عن ذلك فأخبرتها الخبر فازدادت مرضاً على مرضها . ولما جاءها عليه السلام كعادته ، استأذنته أن تمرض في بيت أبيها ، فأذن لها ، فسألت أمها عما يقول الناس فقالت : يا بنية هووني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئته عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها فقالت عائشة : سبحان الله !! أو قد تحدث الناس بهذا ؟ وبكت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم . وفي خلال ذلك كان عليه السلام يستشير كبار أهل بيته فيما يفعل ، فقال له أسامة بن زيد لما يعلمه من براءة عائشة : أهلك أهلك ! ولا نعلم عليهم إلا خيراً ، وقال علي بن أبي طالب : لم يضق الله عليك والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تصدق . فدعا عليه السلام بريرة جارية عائشة وقال لها : هل رأيت من شيء يُريبك ؟ فقالت : والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمضه (٣) غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجينها فتأتي الداجن (٤) فتأكله . فقام عليه السلام من يومه وصعد المنبر والمسلمون مجتمعون وقال : من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا

(١) كيف تيكم

(٢) أي أفقت من مرض

(٣) المراد العيب .

(٤) الشاة التي تألف البيوت .

رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما يدخل على أهلي إلا معي : فقال سعد بن  
 معاذ أنا يا رسول الله أعذرك منه فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان  
 من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ، فقام سعد بن عبادَةَ الخزرجي  
 وقال كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما  
 أحببت أنه يقتل ، فقام أسيد بن حضير وقل لسعد بن عبادَةَ ؛ كذبت لعمر  
 الله لنقتله فإياك منافق تجادل عن المنافقين . وكادت تكون فتنة بين الأوس  
 والخزرج ، لولا أن رسول الله نزل من فوق المنبر وخفضهم حتى سكتوا أما  
 عائشة فبقيت ليلتين لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم ، وبينما هي مع ابويها إذ  
 دخل النبي عليه السلام فسلم ثم جلس فقال : أما بعد يا عائشة انه بلغني  
 عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألمت بذنب  
 فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف وتاب تاب الله عليه . فتقلص دمع  
 عائشة وقالت لأبويها : أجيبا رسول الله ، فقالا : والله ما ندري ما نقول ،  
 فقالت : إني والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم  
 وصدقتم به ، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر  
 والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف  
 حيث قال ﴿ فصبرٌ جميلٌ وَاللَّهُ المستعانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾

ثم تحولات واضطجعت على فراشها ولم يزاول رسول الله ﷺ مجلسه  
 حتى نزلت عليه الآيات من سورة النور ببراءة السيدة المطهرة عائشة الصديقة  
 إن الذين جاءوا بالافك عصبيةٌ منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خيرٌ  
 لكم لكل أمرىء منهم ما اكتسب من الأثم والذي تولى كبره منهم له  
 عذابٌ عظيمٌ ★ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم  
 خيراً وقالوا هذا إفك مبين ★ لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم  
 يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ★ ولولا فضل الله عليكم  
 ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذابٌ عظيمٌ ★ إذ

تلقونهُ بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم \* ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم \* يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين \* ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم \* إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم واتم لا تعلمون \* ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم \* يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم \* فسرى عن رسول الله وهو يضحك وبشر عائشة بالبراءة فقالت لها أمها قومي واشكري رسول الله . فقالت لا والله ، لا أشكر إلا الله الذي برأني . وبعد ذلك أمر عليه السلام بأن يجلد من صرح بالافك ثمانين جلدة وهي حد القاذف ، وكانوا ثلاثة : حمنة بنت جحش ، ومسطح بن أثانة وحسان بن ثابت . وكان أبو بكر ينفق على مسطح بن أثانة لقربته منه فلما تكلم بالافك قطع عنه النفقة فأنزل الله \* ولا ياتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم \* فقال أبو بكر : بل نحب ذلك يا رسول الله ، وأعاد النفقة على مسطح فهذه مضار المناقنين الذين يدخلون بين الأمم مظهرين لهم المحبة وقلوبهم ملوذة جحداً يتربضون الفتن ، فمتى رأوا بابا لها ولجوه فنعوذ بالله منهم

### غزوة الخندق (١)

لم يقر لعظماء بني النضير قرار بعد جلائهم عن ديارهم وإرث المسلمين لها

(١) كانت في سنة خمس من شوال

بل كان في نفوسهم دائماً أن يأخذوا ثأرهم ويستردوا بلادهم فذهب جميع  
منهم إلى مكة وقبلوا رؤساء قريش وحرصوهم على حرب رسول الله ومنوهم  
المساعدة فوجدوا منهم قبولا لما طلبوه ، ثم جاءوا إلى قبيلة غطفان وحرصوا  
رجالها كذلك وأخبروهم بمبايعة قريش لهم على الحرب فوجدوا منهم ارتياحاً .  
فتجهزت قريش واتباعها يرأسهم أبو سفيان ويحمل لواءهم عثمان بن طلحة بن  
أبي طلحة العبدي وعددهم أربعة آلاف معهم ثلثمائة فرس والفرس بعير . وتجهزت  
غطفان يرأسهم عيينة بن حصن الذي جرى إحسان رسول الله كـفـراً فانه ،  
كما قدمنا ؛ اقطعه أرضاً يرعى فيها سوائمه حتى إذا سمن خفه وحافره قام  
يقود الجيوش لحرب انعم عليه وكان معه الف فارس وتجهزت بنومرة يرأسهم  
الحارث بن عوف المرسي وهم اربعمائة ، وتجهزت بنو اشجع يرأسهم ابو مسعود  
ابن رخيصة ، وتجهزت بنو سليم يرأسهم سفيان بن عبد شمس ، وهم سبعمائة ،  
وتجهزت بنو أسد يرأسهم طليحة بن خويلد الأسدي ، وعدة الجميع عشرة  
آلاف محارب قاندهم العام أبو سفيان . ولما بلغه عليه السلام اخبار هاتمه  
التجهيزات استشار اصحابه فيما يصنع ايحك بالمدينة ام يخرج للقاء هذا الجيش  
الجرار ؛ فاشار عليه سلمان الفارسي بعمل الخندق وهو عمل لم تكن العرب  
تعرفه فامر عليه السلام المسلمين بعمله وشرعوا في حفره شمالي المدينة من الحرة  
الشرقية الى الحرة الغربية ؛ وهذه هي الجهة التي كانت عورة تؤتي المدينة من  
قبلها . اما بقية حدودها فمستبكة بالبيوت والنخيل لا يتمكن العدو من الحرب  
جهتها . وقد قاسى السامون صعوبات جسيمة في حفر الخندق لأنهم لم يكونوا  
في سعة من العيش حتى يتيسر لهم العمل . وعمل معهم عليه الصلاة والسلام  
فكان ينقل التراب متمثلاً بشعر ان راحة :

اللهم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا (١)

(١) الحديث اخرجه الشيخان عن البراء رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وهو ينقل معنا التراب ولقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول : ويرفع بها صوته .  
تيسير الوصول ٣-١٨٦

فانزلن سكينتنا علينا وثبت الأقدام إن لاقينا  
والمشركون قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنةً أيننا

واقام الجيش في الجهة الشرقية مسنداً ظهره إلى سلع وهو جبل مطل على المدينة وعدتهم ثلاثة آلاف . وكان لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة ، ولواء الأنصار مع سعد بن عباد . أما قريش فنزلت بمجمع الأسياح ، وأما غطفان فنزلت جهة أحد . وكان المشركون معجبين بمكيدة الخندق التي لم تكن العرب تعرفها ، فصاروا يترامون مع المسلمين بالنبل . ولما طال المطال عليهم أكره جماعة منهم أفراسهم على اقتحام الخندق منهم عكرمة بن أبي جهل وعمرو بن ود وآخرون وقد برز علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لعمر بن ود فقتله وهرب إخوانه ، وهوى في الخندق نوفل بن عبد الله فاندقت عنقه ، ورمى سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم قطع أ كحله وهو شريان الذراع واستمرت المناوشة والمرامة بالنبل يوماً كاملاً حتى فانت المسلمين صلاة ذاك اليوم وقضوها بعد ؛ وجعل عليه السلام على الخندق حراساً حتى لا يقتحمه المشركون بالليل ، وكان يجرس بنفسه ثلثة فيه مع شدة البرد ، وكان عليه السلام يبشر أصحابه بالنصر والظفر ويعدم الخير . أما المنافقون فقد أظهروا في هذه الشدة ما تكنه ضمائرهم حتى قالوا : ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ وانسحبوا قائلين : ﴿ إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ نَخَافُ أَنْ يَغِيرَ عَلَيْهَا الْعَدُوَّ ﴾ ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ واشتدت الحال بالمسلمين فان هذا الحصار صاحبه ضيق على فقراء المدينة ، والذي زاد الشدة عليهم ما بلغهم من ان يهود بني قريظة الذين يساكنونهم في المدينة قد اتهموا هذه الفرصة لنقض العهد ، وسبب ذلك أن حياً بن أخطب سيد بني النضير المجليين توجه إلى كعب بن أسعد القرظي سيد بني قريظة وكان له



كالشيطان إذ قال للانسان اكفر فحسن له تقضى العهد ولم يزل به حتى  
أجابه لقتال المسلمين ، ولما بلغت هذه الأخبار رسول الله صلى الله عليه  
وعلى آله وسلم أرسل مسامة بن أسلم في مائتين وزيد بن حارثة في ثلاثمائة  
لحراسة المدينة خوفا على النساء والذراري ، وأرسل الزبير بن العوام  
يستجلى له الخبر . فلما وصلهم وجدهم حائقين يظهر على وجوههم الشر ونالوا  
من رسول الله ﷺ والمسلمين امامه : فرجع وأخبر الرسول بذلك وهناك  
اشتد وجل المسلمين وزلزلوا زلزالا شديداً لأن العدو جاءهم من فوقهم ومن  
أسفل منهم وزاغت الأبصار وبلنت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنون ، وتكلم  
المنافقون بما بدا لهم فاراد عليه السلام أن يرسل لعبيدة بن حصن ويصالحه  
على ثلث ثمار المدينة لينسحب بغطفان فابى الأنصار ذلك قائلين إنهم لم يكونوا  
ينالون منا قليلا من ثمارنا ونحن كفار أبعد الاسلام يشاركوننا فيها ؟  
وإذا أراد الله العناية بقوم هياً لهم اسباب الظفر من حيث لا يملعون : فانظر  
الى هذه العناية من التمسكين بدينه القويم : جاء نعيم بن مسعود الأشجعي ،  
وهو صديق قريش واليهود ومن غطفان . فقال : يا رسول الله اني  
قد أسامت وقومي لا يعلمون باسلامي فمركي بأمرك حتى أساعدك . فقال :  
أنت رجل واحد وماذا عسى أن تفعل ؟ ولكن خذل عنا ما استطعت فان  
الحرب خدعة

### الخرعة في الحرب

فخرج من عنده وتوجه الى بني قريظة الذين نقضوا عهود المسلمين فلما  
راوه أكرموه لصداقته معهم ، فقال : يا بني قريظة تعرفون ودِّي لكم وخوفي  
عليكم وإني محدثكم حديثاً فآكتموه عني ، قالوا : نعم . فقال لقد رأيتم ما وقع

بني قينقاع والنضير من إجلالهم وأخذ أموالهم وديارهم وإن قريشاً وغطفان  
ليسوا مثلكم فهم إذا رأوا فرصة انتهبوها وإلا انصرفوا لبلادهم . وأما أتم  
فتساكنون الرجل - يريد الرسول - ولا طاقة لكم بحربه وخدمكم فأرى ألا  
تدخلوا في هذه الحرب حتى تستيقنوا من قريش وغطفان أنهم لن يتركوكم  
ويذهبوا إلى بلادهم بأن تأخذوا منهم رهائن سبعين شريفاً منهم ، فاستحسنوا  
رأيه وأجابوه إلى ذلك . ثم قام من عندهم وتوجه إلى قريش فاجتمع برؤسهم  
وقال : أتم تعرفون ودي لكم ومحبي إياكم وإني محدثكم حديثاً فاكتموه عني  
قالوا : نفعل ، فقال لهم : إن بني قريظة قد ندموا على ما فعلوه مع محمد  
وخافوا منكم أن ترجعوا وتتركوهم معه ، فقالوا له أيرضيك أن نأخذ جمعاً من  
أشرافهم ونعطيهم لك وترد جناحنا الذي كسرت ( يريد بني النضير ) فرضي بذلك  
منهم ، وها هم مرسلون إليكم فاحذروهم ولا تذكروا مما قلت لكم حرفاً ، ثم  
أتى غطفان فأخبرهم بمثل ما أخبر به قريشاً ، فأرسل أبو سفيان وفداً لقريظة  
يدعوهم للقتال غداً فأجابوا إنا لا يمكننا أن نقاتل في السبت ( وكان إرساله ليلة  
سبت ) ولم يصبنا ما أصابنا إلا من التعدي فيه . ومع ذلك فلا نقاتل حتى  
تعطونا رهائن منكم حتى لا تتركونا وتذهبوا إلى بلادكم فتحقت قريش وغطفان  
كلام نعيم بن مسعود وتفرقت القلوب فخاف بعضهم بعضاً . وكان عليه السلام  
قد ابتهل إلى الله الذي لا ملجأ إلا إليه ودعاه بقوله ( اللهم منزل الكتاب  
سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم ) وقد أجاب الله  
دعاه عليه السلام فأرسل إلى الأعداء ريحاً باردة في ليلة مظلمة فخاف العرب  
أن تنفق اليهود مع المسلمين ويهجموا عليهم في الليلة المظلمة ، فاجتمعوا أمرهم  
على الرحيل قبل أن يصبح الصباح . ولما سمع عليه السلام الضوضاء في جيش  
العدو ، قال لأصحابه لا بد من حدث فمن منكم ينظر لنا خبر القوم ؟ فسكتوا  
حتى كرر ذلك ثلاثاً ، وكان فيهم حذيفة بن اليمان ، فقال عليه السلام :

تسمع صوتي منذ الليلة ولا تجيب ! فقال : يا رسول الله البرد شديد فقال :  
اذهب في حاجة رسول الله واكتشف لنا خبر القوم ، فخطب رضي الله عنه  
بنفسه في خدمة نبيّه حتى اطلع على جلية الخبر ، وأن الاعداء عازمون على  
الرحلة .

### هزيمة الأحزاب

وقد بلغ من خوفهم أن كان رئيسهم أبو سفيان : ليتعرف كل منكم  
أخاه وليمسك يده حذراً من أن يدخل بينكم عدو ، وقد حلّ عقاب بعيره  
يريد أن يبدأ بالرحيل . وقال له صفوان بن أمية : إنك رئيس القوم فلا  
تتركهم وتمضي ، فنزل أبو سفيان وأذن بالرحيل وترك خالد بن الوليد في جماعة  
ليحموا ظهور المرتحلين حتى لا يدهموا من ورائهم وأزاح الله عن المسلمين هذه  
الغمة التي تحزب فيها الأحزاب من عرب ويهود على المسلمين . ولولا لطف الله  
وعنايته بهذا الدين منةً منه وفضلاً لساعت الحال . وكان جلاء الأحزاب في  
ذي القعدة وكان حقاً على الله أن يسميه نعمة بقوله في سورة الأحزاب ﴿ يا  
أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا  
عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً . إذ جاءوكم  
من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر  
وتظنون بالله الظنوننا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً . وإذ  
يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض " ما وعدنا الله ورسوله إلا  
غوراً . وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا  
ويستأذن فريق منهم النبي يقولون " إن بيوتنا عورة " وما هي بعورة  
إن يريدون إلا فراراً .

## غزوة بني قريظة (١)

ولما رجع عليه السلام بأصحابه وأراد أن يخلع لباس الحرب أمره الله بالحقوق بني قريظة حتى يطهر أرضه من قوم لم تعد تنفع معهم اليهود ولا تربطهم المواثيق ولا يأمن المسلمون جانبهم في شدة ، فقال لأصحابه : لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة فساروا مسرعين وتبعهم عليه السلام راكباً على حماره ولواؤه بيد علي بن أبي طالب وخليفته على المدينة عبدالله ابن أم مكتوم ، وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف . وقد أدرك جماعة من الاصحاب صلاة العصر في الطريق فصلاها بعضهم حاملين امر الرسول بعدم صلاتها على قصد السرعة ولم يصلها الآخرون الا في بني قريظة بعد مضي وقتها حاملين الامر على حقيقته فلم يعنف فريقاً منهم . ولما رأى بنو قريظة جيش المسلمين ألقى الله الرعب في قلوبهم وأرادوا التنصل من فعلتهم القبيحة وهي الغدر بمن عاهدهم وقت الشغل بعدو آخر ولكن أنى لهم ذلك وقد ثبت للمسلمين خدرهم ، فلما رأوا ذلك تحصنوا بمحصونهم وحاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة ؛ فلما رأوا أن لا مناص من الحرب ، وأنهم ان استمروا على ذلك ماتوا جوعاً طلبوا من المسلمين أن ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير من الجلاء بالاموال وترك السلاح فلم يقبل الرسول ﷺ ، فطلبوا أن يجلوا بأنفسهم من غير سلاح فلم يرض ايضاً ، بل قل لا بد من النزول والرضا بما يحكم عليهم خيراً كان او شراً ، فقالوا له أرسل لنا أبا لبابة نستشيره وكان أوسياً من حلفاء قريظة له بينهم اولاد واموال . فلما توجه اليهم استشاروه في النزول على حكم الرسول . فقال لهم : أنزلوا وأوماً بيده الى حلقة يريد أن الحكم الذبح ، ويقول ابو لبابة : لم ابارح موقني حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزل من عندهم قاصداً المدينة خجلاً من متابله رسول الله وربط نفسه في سارية من سوارى المسجد

(١) وذلك الغزوة كانت في سنة خمس .

حتى يقضي الله فيه امره . ولما سأل عنه عليه السلام اخبر بما فعل ، فقال :  
أما لو جاءني لاستغفرت له ، أما وقد فعل ما فعل فتركه حتى يقضي الله فيه .  
ثم ان بني قريظة لما لم يروا بدأ من النزول على حكم رسول الله فعلوا ، فأمر  
برجلهم فكتفوا فجاءه رجال من الاوس وسألوه ان يعاملهم كما عامل بني قينقاع  
حلفاء اخوانهم الخزرج ، فقال لهم : ألا يرضيكم ان يحكم فيهم رجل منكم ؟  
فقالوا نعم . واختار سيدهم سعد بن معاذ الذي كان جريحاً من السهم الذي  
أصيب به في الخندق وكان مقياً بخيمة في المسجد معدة لمعالجة الجرحى فأرسل  
عليه السلام من يأتي به . فحملوه على حماره والتف عليه جماعة من الأوس  
يقولون له : أحسن في مواليك ، ألا ترى ما فعل ابن ابي في مواليه ؟ فقال  
رضى الله عنه : لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم . ولما أقبل على  
الرسول واصحابه وهم جلوس ، قال عليه السلام (١) : قوموا الى سيدكم فأزولوه؛  
ففعلوا وقالوا له : إن رسول الله قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم . وقال له  
الرسول : احكم فيهم يا سعد ! فالتفت سعد للناحية التي ليس فيها رسول الله  
وقال : عليكم عهد الله وميثاقه أن الحكم كما حكمت فقالوا نعم ، فالتفت الى الجهة  
التي فيها الرسول وقال : وعلى من هنا كذلك ؟ وهو غاض طرفه إجلالاً ،  
فقالوا نعم ، قال : فاني أحكم ان تقتلوا الرجال وتسبوا النساء ولذرية ، فقال  
عليه السلام ( لقد حكمت فيهم حكم الله يا سعد ) لأن هذا جزاء الخائن الفادر .  
ثم امر بتنفيذ الحكم فنفذ عليهم وجمعت غنائمهم ، فكانت ألفاً وخمسمائة سيف  
وثلاثمائة درع وألفي رمح وخمسمائة ترس وجحفة ، ووجد أثاثاً كثيراً وآنية  
وأجمالاً نواضح وشياهاً فخمس ذلك كله مع النخل والسي للراجل ثلث  
والفارس ، وأعطى النساء اللاتي يمرضن الجرحى ، ووجد في الغنيمة جرار خمر

(١) رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري في هداية الباري ١-٤٠٩ قال الشارح: إن هذا الحديث فيه مشروعية  
توقيع أهل الفضل بالقيام لهم لما لهم من الشرف المقتضى لذلك . والحديث رواه مسلم وأبو داود  
والنسائي اهـ ص ٤١٠ .

فأريقت . وبعد تمام هذا الامر انفجر جرح سعد بن معاذ فمات رضي الله عنه وأرضاه . كان في الأنصار كأبي بكر في المهاجرين وقد كان له العزم الثابت في جميع المشاهد التي تقدمت الخندق ، وكان عليه السلام يحبه كثيراً وبشره بالجنة على عظيم اعماله . وعقب رجوع المسلمين الى المدينة تاب الله على أبي لبابة بقوله : ﴿ وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وقد عاهد الله أن يهجر ديار قريظة التي حصلت فيها هذه الذلة وبتمام هذه الغزوة أراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين تعوّدوا الغدر والخيانة ، ولم تبق إلا بقية من كبارهم بخير مع أهلها وهم كانوا السبب في إثارة الاحزاب . وسيأتي للقارئ قريباً اليوم الذي يعاقبون فيه .

### زواج زينب بنت جحش

وفي هذا العام تزوج عليه السلام زينب بنت جحش وأما أميمة عمتها بعد ان طلقها مولاه زيد بن حارثة ، وكان من امر زواجها لزيد أن الرسول ﷺ خطبها له فتأفف أهلها من ذلك لمكانها في الشرف العظيم ، فان العرب كانوا يكرهون تزويج بناتهم من الموالي ويعتقدون أن لا كفء من سواهم لبناتهم ، وزيد وإن الرسول تبناه ولكن هذا لا يلحقه بالاشراف ، فلما نزل قوله تعالى في سورة الاحزاب ، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ . لم يروا بدأ من القبول ، فلما دخل عليها زيد أرتته من كبريائها وعظمتها ما لم يتحملة ، فاشتكاها لرسول الله فأمره باحتمالها والصبر عليها الى ان ضاقت نفسه فأخبره بالعزم على طلاقها وقرر ذلك ولما كانت العشرة بين هذين الزوجين ضرباً من العيث أمر الله نبيه أن يتزوج زينب بعد طلاقها

حسماً لهذا الشقاق من جهة وحفظاً لشرفها أن يضيع بعد زواجها بمولى من جهة أخرى ، ولكن رسول الله خشي من لوم اليهود والعرب له في زواجه بزواج ابنه ، فقال لزيد : أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفي في نفسه ما أبداه الله فبت الله حكمه بإبطال هذه القاعدة وهي تحريم زوج المتبني بقوله له في سورة الاحزاب ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوّجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهنّ وطراً وكان أمرّ الله مفعولاً ﴾ ثم ان الله حرّم التبني على المسلمين لما فيه من الاضرار وأنزل فيه من سورة الاحزاب ﴿ ما كان محمدٌ أباً أحدي من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ . ومن هذا الحين صار اسم زيد (١) (زيد بن حارثة) بدل (زيد بن محمد) ، وأبدل بذلك أن ذكر اسمه في القرآن يتلى على مر الدهور والاعوام . يقول المؤرخون وذوو المقاصد السافلة منهم في هذه القصة أقوالاً لا تجوز الا لمن ضاع رشده ولم يفقه حقيقة ما يقول ، فانهم يذكرون أن الرسول توجه يوماً لزيارة زيد فرأى زوجته مصادفة لأن الريح رفعت الستر عنها فوقعت في قلبه فقال : سبحان الله ، فلما جاء زوجها ذكرت له ذلك فرأى من الواجب عليه فراقها فتوجّهه وأخبر الرسول بعزمه فهناه عن

(١) وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً من الوحي لكتّم هذه الآية . وإذ تقول للذي أنعم الله عليه يعني بالاسلام وانعمت عليه بالعتق أمسك عليك زوجك الى قوله وكان امر الله مفعولاً وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوجها فالوا : تزوج حليّة ابنه . فأنزل الله تعالى : ما كان محمد أباً أحدي من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبناه وهو صغير فلبث حتى صار رجلاً يقال له زيد بن محمد فأنزل الله تعالى : أدعوهم لأبائهم الآية فلان ابن فلان وفلان أخو فلان ) أخرجه الترمذي وصححه . تفسير الوصول ١ - ١٦٣ .

ذلك الخ . وهذا مما يكذبه أن نساء العرب لم تكن قبل ذلك تعرف  
 ستر الوجوه وزينب بنت عمته واسلمت قديماً ورسول الله بمكة فكيف  
 لم يرها وقد مضى على اسلامها نحو عشر سنوات وهي بنت عمته إلا حينما رفعت  
 الريح الستر مصادفة ورسول الله هو الذي زوجها زيدا فلو كان له رغبة  
 حب أو عشق لتزوجها ولا مانع يمنع من ذلك . ومن منا يتصور أن السيد  
 الاكرم يقول لقومه إنه مرسل من ربه ويتلو عليهم صباح مساء أمر الله  
 بقوله في سورة الحجر المكية ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنِيَكَ إِلَىٰ مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا  
 مِنْهُمْ ﴾ وفي سورة طه المكية أيضا ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنِيَكَ إِلَىٰ مَا مَتَعْنَا بِهِ  
 أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ثم هو بعد ذلك يدخل بيت رجل من  
 متبعيه وينظر إلى زوجه مصادفة ثم يشتهي زواجها ؟ إن هذا الامر عظيم  
 تشعر بذلك صدورنا . ولو حدث أمر مثله من أقل الناس لعيب عليه  
 فكيف بمن اجتمعت كلمة المؤرخين على أنه أحسن الناس خلقا وأبعدهم عن  
 الدنيا وأشدهم ذكاء وفراصة حتى مدحه الله بقوله في سورة ن ( وَإِنَّكَ لَعَلِيَّ  
 مُخَلَّقٌ عَظِيمٌ ) . لا شك أن هذه الخرافة مما يلتحق بخرافة الغرائيق وضعف  
 أعداء الدين ليصلوا بها الى أغراضهم ؛ والحمد لله قد ناقضت النقل والعقل  
 فلم تبق شبهة في أن الحقيقة ما نقلناه لك أولا . وهو الذي يستفاد من  
 القرآن الشريف قال تعالى سورة الأحزاب ( وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ  
 مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ . فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ  
 مِنْهَا وَطَرًّا زَوَّجْنَا كُهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ  
 أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًّا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ) والذي أبداه الله  
 هو زواجه بها ولم يبد غير ذلك . وهذا القرآن أعظم شاهد .



## (١) الحجاب

وفيه نزلت آية الحجاب وهو خاص بنساء رسول الله ﷺ ، وكان عمر ابن الخطاب قبل نزول آيته يحبه ويذكره كثيراً ويود أن ينزل فيه قرآن : وكان يقول . لو أطاع فيكن ما أنكن عين : فنزل في سورة الأحزاب ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ فقال بعضهم : أنهى أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب ؟ لئن مات محمد لأتزوجن عائشة ! فنزل بعد الآية المتقدمة ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُجُوجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ : أما غير أزواجه عليه السلام من المؤمنات فامرن بغض الأبصار وحفظ الفروج ، كما أمر بذلك الرجال ، وأمرن ألا يمدن يديهن للأجانب إلا ما ظهر منها كالخاتم في الإصبع والخضاب في اليد والكحل في العين . أما ما خفي منها فلا يحل إبداؤه كالسوار الذراع والدملج للعضد والخلخال للرجل والقلادة للعنق والاكليل للرأس والوشاح للصدر

(١) ان الحجاب في هذا الزمن له اهميته الكبرى في ضمان خلق المجتمع لذا : كان امر الحجاب عام بنساء النبي ﷺ ونساء المؤمنين لذا نرى حكمة الحجاب ظاهرة في تطبيقها في الأمة المحمدية فأنقل لكم العبارات القرآنية التي نزلت بهذا الشأن .

قال ابن كثير : في تفسيره عند قوله تعالى يا ايها النبي قل لأزواجك . يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ أن يأمر النساء المؤمنات وخاصة أزواجه وبناته لشرفهن بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليمتيزن عن سمات نساء

الجاهلية وسمات الاماء . والجلباب : هو الرداء فوق الخمار قال ابن مسعود وجمع من الصحابة والتابعين مذكور اسمائهم بالتفصيل ؛ هو بمنزلة الازار اليوم .

قال الجوهرى : الجلباب : هو الملحفة واستشهد في بيت من الشعر

تمشى النسور اليه وهي لاهية مشى العذارى عليهن الجللاب

عن ابن عباس : امر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤسهن بالجللاب ويبدن عينا واحدة .

وقال محمد بن سيرين . سألت عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل : يدين عليهن من جلابين . فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى ولما نزلت هذه الآية : خرج نساء الانصار كأن على رؤسهن الغربان من السكنية وعليهن أكسية سود يلبسها .

ولكن ايها المسلم : ترى بعض المسلمات يقلن أن الحجاب وهو عبارة عن أن تغطي المرأة رأسها فقط فهل هذا كلام معقول :

١ - إن هذا كلام لا يقوله الا احمق جاهل بتعاليم الاسلام فأقول لهم اي خطابي للرجال من أجل أن يعلموا نساءهن وبناتهن عن كيفية الحجاب .

فالحجاب هو أن تلبس المرأة لباساً لا يرى جزءاً من جمالها أو ما يغري الناس في سيرها في الشوارع العامة التي تضر بصفوف المسلمين .

فأول ما يجب على المرأة المسلمة التي تريد أن تتمسك بدينها المتين أن تعلم أن الحجاب ليس على بدنها فقط أو على رأسها .

ولكن الحجاب هو محل نظر الرجل المرأة وهو الوجه بدليل انك أيها المؤمن إذا أردت أن تخطب امرأة ما فان الشارع سمع لك أن تنظر الى وجهها ويديها لأن في ذلك بداية لظهور جمال المرأة فعلى العاقلة ان لا تظهر محاسنها وجمالها إلا لزوجها فقط أو محارمها فيها يعلم ان الحجاب من اسس اخلاق المجتمع أهش

والقرط للأذن . والمراد بالزينة الظاهرة والخفية موضعها . وأمرن أيضاً بأن  
يضربن بخمرهن على الجيوب كيلا تبقى صدورهن مكشوفة فإن النساء إذ ذاك  
كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حوالها ، وكن يسدن  
الخمر من ورائهن . ونهين عن أن يضربن بأرجلهن ليعلم أنهن ذوات خيال  
وإذا كان النهي عن اظهار صوت الحلى بعد ما نهين عن اظهار الحلى علم بذلك  
أن النهي عن اظهار مواضع الحلى ابلغ وأبلغ قال تعالى في سورة النور  
﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْظُنَّ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ  
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ  
إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي  
أَخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي  
الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ، وَلَا  
يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيَعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ \* وتوبوا إلى الله جميعاً  
أُتِيهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ . وكان النساء في أول الاسلام ، كما  
كن في الجاهلية ، متبدلات تبرز المرأة في دوع وخمار لا فرق بين الحرة  
والأمة وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون للاماء إذا خرجن بالليل إلى  
مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطات ، وربما تعرضوا للحرة بعلة الأمة  
يقولون حسبناها أمة فامرنا أن يخالفهن بزينة زى الاماء بأن يدين عليهن من  
جلايبهن ليغطي الوجه والأعطاف ليحتشمن ويهن فلا يطمع فيهن طامع . قال  
تعالى في سورة الأحزاب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ  
الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ آدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَ وَكَانَ  
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ \* . أما حجب المرأة عمن يريد خطبتها فهو أمر لم يكن  
يفعل في عهد الرسول ﷺ ولا في عهد السلف الصالح . فإن الشارع الحكيم  
سن ذلك ليكون الرجل على علم مما يقدم عليه حتى يتم الوفاق والوثام بين  
الزوجين في أمر أجمع عليه أئمة الدين . قال حجة الاسلام الغزالي في الاحياء  
( وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر فقال :  
إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى ان يؤدم

بينهما (١) ، أي يؤلف بينهما : من وقوع الأدمة على الادمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة . وإنما ذكر ذلك المبالغة في الائتلاف . وقال عليه السلام ( إنَّ في أعين الأنصار شيئاً فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهنَّ فليُنظر اليهنَّ (٢) ) قيل كان في أعينهمَّ عمش وقيل صغر . وكان بعض الصالحين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر احترازاً من الغرور . وقال الاعمش : كل تزويج يقع على غير نظر فأخره هم وغم ولا يبعد أن يكون فساد الزمن والابتعاد عن التربية الدينية التي تسوق الى مكارم الاخلاق قد حسنا عند عامة المسلمين في العصور الاولى حجب المرأة مطلقاً حسبها المفاسد ودرءاً للفتنة

## فرض الحج

وفي هذا العام ، على ما عليه الاكثرون ، فرض الله على الامة الاسلامية حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ليجتمع المسلمون من جميع الاقطار فيتجهوا الى الله ويتهلوا اليه أن يؤيدهم بنصره ويعينهم على اتباع دينه القويم وفي ذلك من تقوية الرابطة واتحاد القلوب ما فيه للمسلمين الفائدة العظمى .

## السنَّة السادسة

### سرية

والعشر خلون من محرّم السنة السادسة أرسل عليه السلام محمد بن مسامة في ثلاثين راكباً لشن الغارة على بني بكر بن كلاب الذين كانوا نازلين بناحية

(١) عن المغيرة : أخرجه الترمذي والنسائي

(٢) عن أبي هريرة : أخرجه مسلم والنسائي .

ضرية (١) . فسار اليهم يسكن النهار ويسير الليل حتى دهمهم فقتل منهم عشرة  
وهرب باقيهم ، فاستأقت السرية النعم والشيء وعادوا راجعين الي المدينة ، وقد  
التقوا وهم عائدون بثامة بن أثال الحنفي من عطاء بني حنيفة فأسروه وهم لا  
يعرفونه ، فلما أتوا به رسول الله عرفه وعامله بمنتهى مكارم الاخلاق فانه أطلق  
اساره بعد ثلاث أبي فيها الاتقياد للاسلام بعد أن عرض عليه . ولما رأى  
ثامة هذه المعاملة وهذه المكارم رأى من العث أن يتبع هواه ويترك ديناً  
عماده المحامد فرجع الي رسول الله وأسلم غير مكروه وخاطب الرسول بقوله :  
( يا محمد والله ما كان على الارض من وجه أبغض اليّ من وجهك فقد أصبح  
وجهك أحب الوجوه كلها الي ، والله ما كان على الارض من دين أبغض الي  
من دينك فقد أصبح أحب الدين كله الي والله ما كان من بلد أبغض الي من  
بلدك فقد أصبح أحب البلاد الي ) فسر عليه السلام كثيراً باسلامه لان من  
ورائه قوماً يطيعونه . ولما رجع ثامة الي بلاده مرّ بمكة معتمراً واطهر فيها  
اسلامه فأرادت قريش ايذاءه فذكروا احتياجهم لحبوب اليمامة التي منها ثامة  
فتركوه ، ومع ذلك فقد حلف هو الا يرسل اليهم من اليمامة جبواً حتى  
يؤمنوا فجدوا جداً ولم يروا بداً من الاستغاثة برسول الله فعاملهم عليه السلام  
بما جبل عليه من الشفقة والرحمة وارسل ثامة أن يعيد عليهم ما كان يأتيهم  
من أقوات اليمامة ففعل . وقد كان لهذا الرجل الكريم الاصل قدم راسخة في  
الاسلام عقب وفاة الرسول حينما ارتد اكثر اهل بلاده فكان ينهي قومه عن  
اتباع مسيامة ويقول : لهم اياكم وامراً مظالماً لا نور فيه وانه لشقاء كتبه الله  
على من اتبعه ، فثبت معه كثير من قومه رضي الله عنه .

### غزوة بني لحيان

بنو لحيان هم الذين قتلوا عاصم بن ثابت واخوانه ، ولم يزل رسول الله

(١) موضع على سبع ليال من المدينة في طريق البصرة .

حزيناً عليهم متشوقاً للقصاص من عدوهم حتى (١) ربيع الأول من هذه السنة فأمر أصحابه بالتجهز ولم يظهر لهم مقصده . كما هي عادته عليه السلام في غالب الغزوات ، لتعمى الأخبار عن الأعداء وولى على المدينة ابن أم مكتوم وسار في مائتي راكب معهم عشرون فرسا ، ولم يزل سائراً حتى مقتل أصحاب الرجيع فترحم عليهم ودعا لهم ولما سمع به بنو لحيان تفرقوا في الجبال فأقام عليه السلام بديارهم يومين يبعث السرايا فلا يجدون أحداً ثم أرسل بعضاً من أصحابه ليأتوا عسفان (٢) حتى يعلم بهم أهل مكة فيدخلهم الرعب . فذهبوا إلى كراع الغميم (٣) ثم رجع عليه السلام إلى المدينة وهو يقول : ( آيئون تائبون لربنا حامدون . أعوذ بالله من وعشاء (٤) السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال )

### غزوة النابة

كان للنبي عليه السلام عشرون لائحة ترعى بالنابة (٥) فأغار عليها عيينة ابن حصن في أربعين راكباً واستلبها من راعيها فجاءت الأخبار رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والذي بلغه هو سلمة بن الأكوع أحد رماة الانصار وكان عداء فأمره الرسول بأن يخرج في أثر القوم ليشتغلهم بالنبل حتى يدركهم المسلمون ، فخرج يشتد في أثرهم حتى لحقهم وجعل يرميهم بالنبل ، فاذا وجهت الخيل نحوه رجع هارباً فلا يلحق ، فاذا دخلت الخيل بعض المضائق علا الجبل فرمى عليها الحجارة حتى ألقوا كثيراً مما بأيديهم من الرماح والابراد ليخففوا عن انفسهم حتى لا يلحقهم الجيش . ولم يزل سلمة على ذلك حتى تلاحق به الجيش فان الرسول دعا أصحابه فاجابوه ، وأول من انتهى إليه المقداد بن

(١) خرج في جمادي الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة إلى بني لحيان السيرة لابن هشام ٢٧٩-٢٨٠

(٢) موضع قرب مكة . (٣) جبل جنوب عسفان بثمانية أميال .

(٤) مشقة وشدته السيرة النبوية لابن هشام ٢٨٠-٢٨١ (٥) موضع على بريد من المدينة جهة غطفان .

الاسود فقال له : اخرج في طلب القوم حتى ألحقك واعطاه اللواء فخرج وتبعته  
الفرسان حتى أدركوا أواخر العدو فحصلت بينهم مناوشات قتل فيها مسلم  
ومشركان ، واستنقذ المسلمون غالب اللقاح وهرب أوائل القوم بالبقية . وطلب  
سلامة بن الأكواع من رسول الله أن يرسله مع جماعة في أثر القوم ليأخذهم  
على غرة وهم نازلون على أحد مياههم فقال له عليه السلام ( ملكت فأسجج )  
ثم رجع بعد خمس ليال .

### سرية

كان بنو أسد الذين مر ذكرهم كثيراً ما يؤذون من يرث بهم من  
المسلمين ، فأرسل لهم عليه السلام عكاشة بن محصن في أربعين راكباً ليفير  
عليهم . ولما قارب بلادهم علموا به فهربوا . وهناك وجدوا رجلاً نائمًا فأمنوه  
ليدلهم على نعم القوم فدلهم عليها فاستاقوها وكانت مائة بعير ثم قدموا المدينة  
ولم يلقوا كيداً .

### سرية

وفي ربيع الأول بلغه عليه السلام أن من بذى القصة (١) يريدون  
الاغارة على نعم المسلمين التي ترعى بالهيفاء (٢) فأرسل لهم محمد بن مسامة  
في عشرة من المسلمين فبلغ ديارهم ليلاً ، وقد كمن المشركون حينما علموا بهم  
فنام المسلمون ولم يشعروا إلا والنبل قد خالطهم فتواثبوا على اسلحتهم ولكن  
تعلم عليهم الأعداء فقتلوهم غير محمد بن مسامة تركوه لظهم انه قتل فماد الى  
المدينة وأخبر الرسول عليه السلام فأرسل أبا عبيدة عامر بن الجراح في ربيع الآخر  
ليقتص من الأعداء ، فلما وصل ديارهم وجدهم تشتتوا هارين فاستاق نعمهم ورجع .

(١) موضع على اربعة وعشرين ميلا من المدينة في طريق الربذة . (٢) موضع قرب المدينة

### سرية

عاكس بنو سليم الذين كانوا من المتحزبين في غزوة الخندق المسلمين في سيرهم فأرسل عليه السلام زيد بن حارثة في ربيع الآخر لغيرهم عليهم في الهجوم (١) فلما بلغوا ديارهم وجدوهم تفرقوا . ووجدوا هناك امرأة من مزينة دلتهم على منازل بني سليم فأصابوا بها نعمة وشاءا ووجدوا رجلاً أسروهم ، وفيهم زوج تلك المرأة ، فرجعوا بذلك الى المدينة فوهب الرسول لهذه المرأة نفسها وزوجها .

### سرية

بلغ الرسول أن عيراً لقريش أقبلت من الشام تريد مكة فأرسل لها زيد بن حارثة في مائة وسبعين راكباً ليعترضها فأخذها وما فيها وأسر من معها من الرجال وفيهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ، وكان من رجال مكة المعدودين تجارة ومالاً وأمانة . فاستجار بزوجه زينب فأجارته ونادت بذلك في جمع قريش . فقال عليه السلام ( المسلمون يد واحدة يحير عليهم أذنهم وقد أجرنا من أجزت ) وهذا أبلغ ما قيل في المساواة بين أفراد المسلمين ورد عليه الرسول ماله فأسره لا يفقد منه شيء فذهب الى مكة فأدى لكل ذى حق حقه ، ورجع الى المدينة مسالماً فرد عليه رسول الله زوجته .

### سرية

وفي جمادى الآخرة أرسل عليه السلام زيد بن حارثة في خمسة عشر

---

(١) ناحية من بطن نخل



رجلاً للأغارة على بني ثعلبة الذين قتلوا أصحاب محمد بن مسامة وهم مقيمون  
بالطرف (١) فتوجهت السرية لذلك ، ولما رأهم الأعداء ظنوهم طليعة لجيش  
رسول الله فهربوا وتركوا نعمهم وشاءهم فاستاقها المسلمون ورجعوا الى المدينة  
بعد أربع ليال .

### سرية

وفي رجب أرسل عليه السلام زيد بن حارثة ليغير على بني فزارة لأنهم  
تعرضوا لزيد وهو راجع بتجارة من الشام فسلبوا ما معه وكادوا يقتلونه ، فلما  
جاء المدينة وأخبر الرسول الخبر أرسله مع رجاله للقصاص من فزارة المقيمين في  
وادي القرى (٢) فساروا حتى دهموا العدو وأحاطوا بهم وقتلوا منهم جمعاً كثيراً  
وأخذوا امرأة (٣) من كبارهم أسيرة فاستوهبها (٤) عليه السلام بمن أسرها  
وفدى بها أسيراً كان بمكة .

### سرية

وفي شعبان أرسل عليه السلام عبد الرحمن بن عوف مع سبعائة من

---

(١) ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة في طريق العراق

(٢) موضع شمال المدينة

(٣) عليها قشع من آدم: قال القشع: النطع ومعها ابنة من أحسن العرب ا ه تيسير الوصول ٣-١٨٥

(٤) فقال يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك فقلت هي لك يا رسول الله ما كشفت لها ثوبا قال

فبعث بها صلى الله عليه وسلم الى مكة ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أسروا بمكة أخرجه

مسلم وأبوا داود ا ه تيسير الوصول ٣ - ١٨٥ .

الصحابة لغزو بني كلب في ذومة الجندل (١) وقد وصاهم عليه السلام قبل السفر بقوله ﴿ اغزوا جميعاً في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم ﴾ ثم أعطاه اللواء فساروا على بركة الله حتى حلوا بديار العدو فدعوههم الى الاسلام ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أسلم رئيس القوم الأصبح بن عمر والنصراني وأسلم معه جمع من قومه وبقى آخرون راضين باعطاء الجزية ، فتزوج عبد الرحمن بنت ربيهم كما أمره بذلك عليه السلام . وهذه أقرب واسطة لتمكين صلات الود بين الامراء بحيث يهيم كلا ما يهيم الآخر فعما هي سياسة السلم والمحبة .

### سرية

وفي شعبان أرسل عليه السلام علي بن أبي طالب في مائه لغزو بني سعد ابن بكر بفدك (٢) لأنه بلغه أنهم يجمعون الجيوش لمساعدة يهود خيبر على حرب المسلمين مقابل تمر يعطونه من تمر خيبر . فسارت السرية ، وبينما هم سائرون التقوا بجاسوس العدو أرسلوه الى خيبر ليعقد المعاهدة مع يهودها فطلبوا منه أن يدلهم على اقوم وهو آمن فدلهم على موضعهم فاستاق منه المسلمون نعم القوم وهرب الرعاة فحذروا قومهم فدخلهم الرعب وتفرقوا فرجع المسلمون ومعهم خمسمائة بعير وألفا شاة . ورد الله كيد المشركين فلم يمدوا اليهود بشيء .

(١) حصن وقرى بينها وبين دمشق خمس ليال وبين المدينة خمس عشرة ليله .

(٢) قرية بينها وبين المدينة ست ليال من جهة خيبر .

## قتل أبي رافع

وكان المحرك لأهل خيبر على حرب المسلمين ، وهو سيدهم ، أبو رافع سلام بن أبي الحقيق الملقب بتاجر اهل الحجاز لما كان له من المهارة في التجارة وكان ذا ثروة طائلة يقلب بها قلوب اليهود كما يريد ، فانتدب له عليه السلام من يقتله فاجاب لذلك خمسة رجال من الخزرج رئيسهم عبدالله بن عتيك ليكون لهم مثل أجر إخوانهم من الأوس الذين قتلوا كعب بن الأشرف ، فان من نعم الله على رسوله أن كان الأوس والخزرج يتفاخرون بما يفعلونه من تنفيذ رغبات رسول الله فلا تعمل الأوس عملاً الا اجتهد الخزرج مثله فأمرهم الرسول (١) بذلك بعد أن وصاهم ألا يقتلوا وليدًا ولا امرأة فساروا حتى أتوا خيبر فقال عبدالله لأصحابه: مكانكم فاني منطلق للبواب وملتطف له لعمري أدخل . فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوب كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب : ادخل يا عبدالله إن كنت تريد الدخول فاني أريد ان أغلق الباب ، فدخل وكمن حتى نام البواب فأخذ المفاتيح وفتح ليسهل له الهرب ثم توجه الى بيت أبي رافع وصار يفتح الابواب التي توصل اليه . وكما فتح باباً أغلقه من داخل حتى انتهى اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله فلم يمكنه تمييزه فنادى يا أبا رافع قال من ؟ فأهوى بالسيف نحو الصوت فلم يغن شيئاً ، وعند ذلك قالت امرأته : هذا صوت ابن ابي عتيك ، فقال لها : شككتك امك وأين ابن أبي عتيك الآن ؟ فعاد عبدالله للنداء مغيباً صوته قائلاً : ما هذا الصوت الذي نسمعه يا ابا رافع ؟ قال لامك الويل إن رجلاً في البيت ضربني بالسيف ، فعمد اليه فضربه أخرى لم تغن شيئاً ، فتوارى ثم جاءه كالمغيث وغير صوته فوجده مستلقياً على ظهره فوضع السيف في

(١) الحديث عن عبدالرحمن بن كعب رواه مالك . تيسير الوصول ٢ - ١٨٠ .

بطنه وثمامل عليه حتى سمع صوت العظم . ثم خرج من البيت وكان نظره  
ضعيفاً فوقع من فوق السلم فانكسرت رجله فعصبا بعمامته ثم انطلق الى اصحابه  
وقال : النجاة ! قتل والله ابو رافع ، فانتهاوا الى الرسول فحدثوه . ثم قال  
لعبدالله ابسط رجلك فمسحها عليه السلام فكأنه لم يشتكها (١) قسط وعادت  
أحسن ما كانت ، فانظر رعاك الله الى ما كان عليه المسلمون من استسهال  
المصاعب ما دامت في إرضاء رسول الله ﷺ ، فرضي الله عنهم وأرضاهم .

### سرية

ولما قتل كعب ولي اليهود مكانه أسير بن رزام فأرسل عليه السلام من  
يستعلم له خبره فجاءته الاخبار بأنه قال لقومه : سأصنع بمحمد ما لم يصنعه  
أحد قبلي ، أسير الى غطفان فأجمعهم لحربه . وسعى في ذلك ، فأرسل عليه  
السلام عبدالله بن رواحة الخزرجي في ثلاثين من الانصار لاستماتته فخرجوا  
حتى قدموا خيبر وقالوا لأسير : نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له ،  
قال : نعم ولي مثل ذلك ، فأجابوه . ثم عرضوا عليه أن يقدم على رسول الله  
ويترك ما عزم عليه من الحرب فيوليه الرسول على خيبر فيعيش أهلها بسلام  
فأجاب الى ذلك وخرج في ثلاثين يهودياً كل يهودي رديف لسلم . وبينما هم في  
الطريق ندم أسير على مجيئه وأراد التخلص مما فعل بالقدر بمن آمنوه فأهوى  
بيده الى سيف عبدالله بن رواحة فقال له : أغدراً يا عدو الله ! ثم نزل وضربه  
بالسيف فأطاح عامّة فخذته ولم يلبث أن هلك فقام المسلمون على من معه من  
اليهود فقتلوه عن آخرهم ، وهذه عاقبة الغدر .

(١) أخرجه البخاري تيسير الوصول ٢ - ١٧٩ .

## قصة عكل وعرينة

قدم على رسول الله في شوال جماعة من عكل وعرينة فأظهروا الاسلام وبايعوا رسول الله وكانوا سقاماً مصفرةً الوانهم عظيمة بطونهم فلم يوافقهم هواء المدينة فأمر لهم عليه السلام بنود من الابل معها راع وامرهم باللحوق بها في مرعاها ليشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا . ولما تمّ شفاؤهم جازوا الاحسان كفراً فقتلوا الراعي ومثلوا به واستاقوا الابل ، فلما بلغ ذلك رسول الله أرسل وراءهم كرز بن جابر الفهري في عشرين فارساً فلحقوا بها وقبضوا على جميعهم . ولما جيء بهم الى المدينة أمر عليه السلام أن يمثل بهم كما مثلوا بالراعي فقطعت ايديهم وارجلهم وسمرت أعينهم وألقوا بالحرّة حتى ماتوا . فهكذا يكون جزاء الخائن الذي لا ينتظر منه صلاح ، وعمل هؤلاء الشريرين مما يدل على فساد الاصل ولؤم العشيرة . وقد نهى رسول الله ﷺ بعد ذلك عن المثلة .

## سيرة

جلس ابو سفيان بن حرب يوماً في نادي قومه فقال : ألا رجل يذهب لمحمد فيقتله غداً فانه يمشي بالاسواق لنستريح منه ؟ فتقدم له رجل وتعهد له بما اراد فاعطاه راحلة ونفقة وجهزه لذلك . فخرج الرجل حتى وصل الى المدينة صبح سادسة من خروجه فسأل عن رسول الله فدل عليه ، وهو بمسجد بني عبد الاشهل ، فلما رآه عليه السلام قال : إن هذا الرجل ليريد غداً وإن الله مانعي منه . فذهب لينحني على الرسول فجذبه أسيد بن حضير من ازاره وهناك سقط الخنجر فندم الرجل على فعلته . ثم سأله عليه السلام عن سبب عمله فصدقه بعد أن توثق من حفظ دمه فدخل عليه السلام سبيله . فقال الرجل

والله يا محمد ما كنت أخف الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي  
 وضعفت نفسي . ثم إنك اطلعت على ما هممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت أنك  
 ممنوع وأنت على حق وأنّ حزب أبي سفيان حزب الشيطان ثم أسلم ، وعند  
 ذلك أرسل عليه السلام عمرو بن أمية الضمري ، وكان رجلاً جريئاً فاتكأ  
 في الجاهلية . واصحبه برفيق ليقتلا أبا سفيان غيلة جزاء اعتدائه ، فلما قدما  
 مكة توجهوا ليطوفا بالبيت قبل أن يؤديا ما أرسلوا له فعرف عمرو أحد رجال  
 مكة فقال : هذا عمرو بن أمية ما جاء إلا بشر ، فلما رأهم علموا به لم  
 يجد مناصاً من الحرب فاصطحب معه رفيقه ورجعا الى المدينة وكان الله سبحانه  
 أراد أن يعيدش أبو سفيان حتى يسلم بيده مفاتيح الكعبة للمسلمين ويعتق  
 الدين الحنيفي القويم .

### غزوة الحمريّة

رأى عليه السلام في نومه أنه دخل هو واصحابه المسجد الحرام آمنين  
 حالقين رءوسهم ومقصرين فأخبر المسلمين أنه يريد العمرة واستنفر الأعراب  
 الذين حول المدينة ليكونوا معه حذراً من أن تردّهم قريش عن عمّرتهم ،  
 ولكن هؤلاء الأعراب ابطأوا عليه لانهم ظنوا ألا ينقلب الرسول والمؤمنون  
 الى أهلهم أبداً وتخلصوا بأن قالوا شغلتنا أهواننا واهلونا فاستغفر لنا ؛ فخرج  
 عليه السلام بمن معه من المهاجرين والانصار تبلغ عدتهم ألفاً وخمسمائة وولى على  
 المدينة بن أم مكتوم وأخرج معه زوجه أم سلمة وأخرج (١) الهدى ليعلم  
 الناس انه لم يأت محاربا ولم يكن مع اصحابه شيء من السلاح الا السيوف في  
 القرب لان الرسول لم يرض ان يحملوا السيوف مجردة وهم معتمرون ، ثم سار

(١) كانت سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة نفر .

اه تهذيب السيرة ٢-٣٣٧

الجيش حتى وصل عُسفان (١) فجاءه عينه يخبره ان قريشا اجمت رأيهما ان يصدوا المسلمين عن مكة والا يدخلوها عليهم عنوة ابدا ، وتجهزوا للحرب وأعدوا خالد بن الوليد في ماتي فارس طليعة لهم ليصدوا المسلمين عن التقدم . فقال عليه السلام : هل من رجل يأخذ بنا على غير طريقهم ؟ فقال رجل من أسلم : أنا يا رسول الله ، فسار بهم في طريق وعرة ثم خرج بهم الى مستو سهل يملك مكة من أسفلها ؛ فلما رأى خالد ما فعل المسلمون رجوع الى قريش وأخبرهم الخبر، ولما كان عليه السلام بثنية لمرار (٢) بركت ناقته فزجروها فلم تقم فقالوا خلأت القصواء فقال عليه السلام ما خلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل، والذي نفس محمد بيده لا تدعوني قريش لخصلة فيها تعظيم حرمت الله إلا أحببتهم اليها (٣) ، مع أن المسلمين لو قاتلوا أعداءهم في مثل هذا الوقت لظفروا بهم ، ولكن كف الله أيدي المسلمين عن قريش وكف أيدي قريش عن المسلمين كيلا تنتهك حرمت البيت الذي أراد الله أن يكون حرما آمنا يوطد المسلمون من جميع الاقطار دعائم اخوتهم فيه . ثم أمرهم عليه السلام بالنزول أقصى الحديبية (٤) وهناك جاء بديل بن ورقاء الخزاعي رسولا من قريش يسأل عن سب مجيء المسلمين فأخبره عليه السلام بمقصده فلما رجع بديل الى قريش وأخبرهم بذلك لم يثقوا به لأنه من خزاعة الموالية لرسول الله كما كانت كذلك لأجداده وقالوا : أريد محمد أن يدخل علينا في جنوده معتمراً تسمع العرب أنه قد دخل علينا عنوة وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا ؟ والله لا كان هذا ابداً ومنا حين تطرف ، ثم أرسلوا حليس بن علقمة سيد الاحابيش وهم خلفاء قريش ، فلما رآه عليه السلام قال ، هذا من قوم يعظمون الهدى

(١) موضع على مرحلتين من مكة

(٢) مهبط الحديبية

(٣) إن احاديث الحديبية رويت عن البخارى وأبو داود ومسلم مطولة راجع تيسير الوصول ٣-١٨٨

(٤) بئر قرب مكة سميت الأرض باسمها .

ابعثوه في وجهه حتى يراه ؛ ففعلوا واستقبله الناس يلبون ، فلما رأى ذلك  
حليس رجع وقال : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا أتيج لحم وجدام  
وحمير ويمنع عن البيت ابن عبد المطلب ؟ هلكت قريش ورب البيت ، إن  
القوم أتوا معتمرين !! فلما سمعت قريش منه ذلك قالوا له . اجلس إنما أنت  
اعرابي لا علم لك بالملكيد ، ثم ارسلوا عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل  
الطائف فتوجه إلى رسول الله وقال : يا محمد قد جمعت أوباش الناس ثم جئت  
إلى اهلك وعشيرتك لتفضها بهم ! إنها قريش قد خرجت تعاهد الله ألا تدخلها  
عليهم عنوة أبدا . وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك ، فنال منه أبو  
بكر وقال : نحن نكشف عنه ؟ ويحك ! وكان عروة يتكلم وهو يمس لحية  
رسول الله فكان المغيرة بن شعبه يقرع يده إذا أراد ذلك ، ثم رجع عروة  
وقد رأى ما يصنع بالرسول أصحابه لا يتوضأ وضوءاً الا كادوا يقتلون عليه  
يتمسحون به وإذا تكلموا خفضوا اصواتهم عنده ولا يحدون النظر إليه ، فقال:  
والله يا معشر قريش جئت كسرى في ملكه وقبصر في عظمته فما رأيت ملكاً  
في قومه مثل محمد في أصحابه . ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبدا  
فانظروا رأيكم فانه عرض عليكم رشداً فاقبلوا ما عرض عليكم فاني لكم  
ناصح ، مع اني خائف الا تنصروا عليه . فقالت قريش : لا تتكلم بهذا  
ولكن زدده عامنا ويرجع الى قابل . ثم ان الرسول اختار عثمان بن عفان  
رسولاً من عنده الى قريش حتى يعلمهم مقصده فتوجه وتوجه معه عشرة  
استأذنوا الرسول في زيارة اقاربهم . وامر عليه السلام عثمان ان يأتي المستضعفين  
من المؤمنين بمكة فيبشرهم بقرب الفتح وأن الله مظهر دينة ، فدخل عثمان مكة في  
جوار أبان بن سعيد الأموي فبلغ ما حمل فقالوا : ان محمداً لا يدخلها علينا عنوة أبدا . ثم  
طلبوا منه ان يطوف بالبيت ، فقال : لا أطوف ورسول الله ممنوع . ثم انهم حبسوه فشاع عند  
المسلمين ان عثمان قتل فقال عليه السلام حينما سمع ذلك : لا تبرح حتى نناجزهم الحرب .



## بيعة (١) الرضوان

ودعا الناس للبيعة على القتال فبايعوه تحت شجرة هناك (٢) ( سميت بعد  
بشجرة الرضوان ) على الموت فشاع أمر هذه البيعة في قريش فداخلهم منها  
رعب عظيم وكانوا قد ارسلوا خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص ليطوفوا  
بعسكر المسلمين عليهم يصيدون منهم غرة فأسرهم حارس الجيش محمد بن مسلمة  
وهرب رئيسهم . ولما علمت بذلك قريش جاء جمع منهم وابتدأوا يناوشون  
المسلمين حتى اسر منهم اثنا عشر رجلا ، وقتل من المسلمين واحد .

## صلح الحريبية

وعند ذلك خافت قريش وارسلت سهيل بن عمرو للمكاملة في الصلح  
فاما جاء قال : يا محمد ان الذي حصل ليس من رأي عقلائنا بل شيء قام به  
السفهاء منا فابعث الينا بن اسرت ، فقال حتى ترسلوا من عندكم ؛ وعندئذ  
ارسلوا عثمان العشرة الذين معه . ثم عرض سهيل الشروط التي تريدها قريش  
وهي (١) وضع الحرب بين المسلمين وقريش اربع سنوات (٢) من جاء المسلمين  
من قريش يردونه ، ومن جاء قريشا من المسلمين لا يلزمون بردة (٣) ان  
يرجع النبي من غير غمرة هذا العام ثم يأتي العام المقبل فيدخلها بأصحابه بعد ان  
تخرج منها قريش فيقيم بها ثلاثة ايام ليس مع اصحابه من السلاح الا السيف

(١) ذكر ابن هشام : ان اول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم : بيعة الرضوان ابو  
سنان الاسدي . (٢-٣٥٥ السيرة)

(٢) امر عمر بقطعها زمن خلافته لما رأى تبرك الناس بها ، فليتأمل .

في (١) القراب والقوس (٤) من اراد ان يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه ، ومن اراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه . فقبل عليه السلام كل هذه الشروط . اما المسلمون فداخلهم منها امر عظيم وقالوا : سبحان الله ! كيف نرد اليهم من جاءنا مسلماً ولا يردون من جاءهم مرتداً ؟ فقال عليه السلام انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا اما الامر الثالث وهو صد المسلمين عن الطواف بالبيت فكان اشد تأثيراً في قلوبهم لان الرسول اخبرهم انه رأى في منامه انهم دخلوا البيت آمنين ، وقد سأل عمر ابا بكر في ذلك فقال رضي الله عنه وهل ذكر انه في هذا العام ؟ ثم كتبت شروط الصلح بين الطرفين وكان الكاتب علي بن ابي طالب فأمله عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل : اكتب باسمك اللهم فأمره الرسول بذلك ، ثم قال هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل : لو نعلم انك رسول الله ما خالفناك اكتب محمد بن عبدالله فأمر عليه السلام علياً بمحو ذلك وكتابة محمد بن عبد الله فامتنع فمحاها النبي بيده وكتبت نسختان : نسخة لقريش ونسخة للمسلمين وبعد كتابة الشروط جاءهم ابو جندل بن سهيل يحجل في قيوده وكان من المسلمين المنوعين من الهجرة فهرب للمسلمين هذه المرة ليحموه ، فقال عليه السلام : اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولئن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا . انا قد عقدنا بين القوم صلحا واعطيناهم واعطونا على ذلك عهداً فلا نغدر بهم . هذا ، وقد دخلت قبيلة خزاعة في عهد رسول الله ودخل بنو بكر في عهد قريش .

ولما انتهى الأمر امر عليه السلام اصحابه ان يخلقوا رؤوسهم

(١) قال في النهاية القراب شبه الجراب يطرح فيه الراكب سيفه بغمده وسوطه وقد يطرح فيه زاده من تمر وغيره اه التعليق على صحيح مسلم واحاديث الصلح رويت في صحيح مسلم بتوسعة ١٧٤-٥

وينحروا الهدى ليتحللوا من عمرتهم فاحتمل المسلمون من ذلك همماً عظيماً حتى  
انهم لم يبادروا بالامتثال فدخل عليه السلام على ام المؤمنين أم سلمة وقال لها :  
هالك المسلمون أمرتهم فلم يمتثلوا فقالت يا رسول الله اعذرهم فقد حملت نفسك  
امراً عظيماً في الصلح ، ورجع المسلمون من غير فتح فهم لذلك مكروبون ،  
ولكن اخرج يا رسول الله وابدأهم بما تريد فاذا رأوك فعلت اتبعوك فتقدم  
عليه السلام الى هدي فنجره ودعا بالهلاق (١) فحلق رأسه ، فلما رأوه  
المسلمون توثبوا على الهدى فنجروه وحلقوا . ثم رجع المسلمون الى المدينة وقد  
أمن كل فريق الآخر . ولما قرء قرارهم جاءتهم مهاجرة أم كلثوم بنت عقبة بن  
أبي معيط اخت عثمان لأمه فطلبها المشركون فقالت يا رسول الله إني امرأة وإن  
رجعت اليهم فتنوني في ديني فأنزل الله في سورة الممتحنة ﴿ يا أيها الذين  
آمَنوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۗ فَإِنْ  
عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفْرَانِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا  
هُنَّ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا  
آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تَمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ  
وَلَيْسَ أَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ فكانت  
المرأة المهاجرة تستحلف أنها ما خرجت رغبة بأرض عن أرض ولا من بغض  
زوج ولا لالتباس دنيا ولا لرجل من المسلمين وما خرجت إلا حباً لله ولرسوله ،  
ومتى حلفت لا ترد بل يعطى لزوجها المشرك ما انفقه عليها ويجوز للمسلم  
تزوجها . وفي الآية تحريم إمساك الزوجة الكافرة بل ترد الى اهلها بعد أن  
يعطوا ما أنفقوا عليها . وقد تمكن أبو بصير ، عتبة بن أسيد الثقفي رضي الله  
عنه ، من الفرار الى رسول الله فأرسلت قريش في أثره رجلين يطلبان تسليمه  
فأمره عليه السلام بالرجوع معها فقال : يا رسول الله أتردني الى الكفار يفتنونني

(١) من هنا يفهم المسلم قبل ان يأمر غيره بوضع ما فعله ان يقوم بتطبيقه فيرى أثر عمله .

في ديني بعد ان خلصني الله منهم ؟ فقال : إن الله جاعل لك ولاخوانك فرجاً ، فلم يجد بداً من اتباعه فرجع مع صاحبيه . ولما قارب ذا الحليفة عدا على احدها فقتله وهرب منه الآخر فرجع الى المدينة وقال : يا رسول الله وقت ذمتك أما انا فنجوت . فقال له اذهب حيث شئت ولا تقم بالمدينة فذهب الى محل بطريق الشام تمر به تجارة قريش فأقام به واجتمع معه جمع ممن كانوا مسلمين بمكة ونجوا ، وسار اليه ابو جندل بن سهيل واجتمع اليه جمع من الأعراب وقطعوا الطريق على تجارة قريش حتى قطعوا عنهم الأمداد فأرسل رجال قريش لرسول الله يستغيثون به في إبطال هذا الشرط ويعطونه الحق في إمساك من جاءه مسلماً فقبل منهم ذلك وأزاح الله عن المسلمين هذه الغمة التي لم يتمكنوا من تحملها في الحديبية حيناً أمرهم عليه السلام برد أبي جندل ، وعلموا ان رأي رسول الله أفضل واحسن من رأيهم حيث كان فيه أمن تسبب عنه اختلاط الكفار بالمسلمين فخالطت بشاشة الاسلام قلوبهم حتى قال ابو بكر رضي الله عنه : ما كان فتح في الاسلام أعظم من فتح الحديبية ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه ، والعباد يعجلون والله لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الامور ما أراد . وفي رجوعه عليه السلام من الحديبية نزلت عليه سورة الفتح وقال سبحانه وتعالى في أولها ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ وفي تسمية هذه الغزوة بالفتح المبين تصديق لما قدمنا لك عن الصديق .

### مطابقة الملوك

بعد رجوع المسلمين من الحديبية في اواخر سنة ست وأمن الطريق من قريش كاتب عليه السلام ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام . واتخذ اذ ذلك خاتماً من فضة يختم به خطاباته وكان نقشه ( محمد رسول الله ) فوجه دحية

الكلبي بكتاب الى قيصر ملك الروم ، وأمره أن يدفعه الى عظيم بصري  
ليوصله الى الملك .

### كتاب قيصر

وكان الكتاب ( بسم الله الرحمن الرحيم ) من محمد بن عبد الله (١) الى  
هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام  
أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فانما عليك إثم الأريسيين (٢)  
( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا  
اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ  
فَأَنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ) .

### حديث أبي سفيان

ولما وصل هذا الكتاب قيصر قال انظروا لنا من قومه أحداً نسأله عنه ،  
وكان أبو سفيان بن حرب بالشام مع رجال من قریش في تجارة فجاءت رسل قيصر لأبي  
سفيان ودعوه لمقابلة الملك فأجاب ولما قدموا عليه في القدس قال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسباً  
بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان : أنا لأنه لم يكن في  
الركب من بني عبد مناف غيره ، فقال قيصر أدن مني ثم أمر بأصحابه فجعلوا  
ظهره ، ثم قال لترجمانه : قل لأصحابه إنما قدمت هذا أمامكم لأسأله عن

(١) رواه البخاري ومسلم زاد المعاد ( ٦٠-٣ ) والحديث هذا بعضه انظر بتامه صحيح مسلم  
عن ابن عباس ٥ - ١٦٤

(٢) الفلاحين . [قال ابن حجر هو جمع اريسي وهو منسوب الى اريس وقد إنتقل همزته ياء والاريس  
وقد تقلب همزته ياء والاريس الاكار أي الفلاح وفي رواية ابن اسحاق عن الزهري فان  
عميك اثم الاكارين اه مختصراً . صحيح مسلم (التعليق) ٥ - ١٦٥ .]

هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي وقد جعلتم خلفه كيلا تخرجوا من رد كذبه  
 عليه اذا كذب ، ثم سأله كيف نسب هذا الرجل فيكم ؟ قال هو فينا ذو  
 نسب قال هل تكلم بهذا القول أحد منكم قبله ؟ قال لا . قال هل كنتم  
 تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال لا ، قال فهل كان من آباءه من ملك ؟ قال لا ،  
 قال فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ قال بل ضعفاؤهم ، قال فهل يزيدون أم ينقصون ؟  
 قال بل يزيدون ، قال هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه ؟ قال لا ، قال هل يغدر إذا عاهد ؟  
 قال لا ونحن الآن منه في ذمة (١) لا ندري ما هو فاعل فيها ، قال فهل  
 قاتلتموه ؟ قال نعم . قال فكيف حربكم وحربه ؟ قال الحرب بيننا وبينه  
 سجال مرة لنا ومرة علينا ، قال فبم يأمركم ؟ قال : يقول اعبدوا الله وحده  
 ولا تشركوا به شيئاً وينهي عما كان يعبد آباؤنا ويأمر بالصلاة والصدق  
 والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الامانة . فقال الملك : إني سألتك عن نسبه  
 فرعمت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك  
 هل قال أحد منكم هذا القول قبله فرعمت أن لا ، فلو كان أحد قال هذا  
 القول قبله لقلت رجل يأتهم بقول قيل قبله ، وسألتك هل كنتم تهمونه بالكذب  
 قبل أن يقول ما قال فرعمت أن لا ، فقلت ما كان ليدر الكذب على الناس  
 ويكذب على الله ، وسألتك هل كان من آباءه من ملك فقلت لا ، فلو كان  
 من آباءه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك أشرف الناس يتبعونه  
 أم ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل ، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون  
 فقلت بل يزيدون . وكذلك الايمان حتى يتم ، وسألتك هل يرتد أحد منهم  
 سخطة لدينه فقلت لا وكذلك الايمان حين تحالط بشاشته القلوب ، وسألتك  
 هل قاتلتموه فقلت نعم وإن الحرب بينكم وبينه سجال وكذلك الرسل تبسلي  
 ثم تكون لهم العاقبة ، وسألتك بماذا يأمر فرعمت أنه يأمر بالصلاة والصدق  
 والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الامانة ، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا ،  
 وكذلك الرسل لا تغدر ، فعلمت أنه نبي وقد علمت أنه مبعوث ولم أظن

(١) رواية مسلم : مدة

أنه فيكم ، وإن كان ما كتبتني به حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين ولو أعلم  
أنني أخلص إليه لتكلفت ذلك قال أبو سفيان فعلت أصوات الذين عنده وكثر  
لغظهم فلا أدري ما قالوا وأمر بنا فأخرجنا فلما خرج أبو سفيان مع أصحابه  
قال : لقد بلغ أمر ابن أبي كبشة أن يخافه ملك بني الأصغر ولما سار  
قيصر إلى حمص أذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم أمر بابوابها فأغلقت ثم قال:  
يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟  
فحاصوا حيصة حمر الوحوش إلى الأبواب فوجدوها مغلقة ، فلما رأى قيصر  
نفرتهم قال : ردوهم عليّ فقال لهم إني قلت مقاتلي أختبر بها شدتكم على دينكم  
فسكتوا له ورضوا عنه ، فغلبه حب ملكه على الإسلام فذهب باثمه وإثم رعيته  
كما قال عليه الصلاة والسلام ، ولكنه ردّ دحية رداً جميلاً .

### كتاب أمير بصرى

وأرسل عليه السلام الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى أمير بصرى  
فلما بلغ مؤتة ، وهي قرية من عمل البلقاء بالشام : تعرض له شر حبييل بن  
عمرو الغساني فقال له أين زريد؟ قال الشام ، قال لعلك من رسل محمد؟ قال:  
نعم ، فأمر به فضربت عنقه . ولم يقتل لرسول الله عليه الصلاة والسلام رسول  
غيره وقد وجد لذلك وجداً شديداً .

### كتاب الحارث بن أبي شمر

ووجه عليه السلام شجاع بن وهب إلى أمير دمشق من قبل هرقل  
الحارث بن أبي شمر وكان يقيم بغوطتها وفيه ( بسم الله الرحمن الرحيم : ) من محمد  
رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله

وصدق . وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبق ملكك . فلما  
قرأ الكتاب رمى به ، وقال من ينزع ملكي مني ! واستعد ليرسل جيشاً  
لحرب المسلمين وقال لشجاع أخبر صاحبك بما ترى . ثم أرسل الى قيصر  
يستأذنه في ذلك وصادف أن كان عنده دحية فكتب قيصر إليه يشنيه عن هذا  
العزم ويأمره أن يهيه بابل ما يلزم لزيارته فانه بعد أن قهر الفرس نذر  
زيارتها . فلما رأى الحرث كتاب قيصر صرف شجاع بن وهب بالحسنى ووصله  
بنفقة وكسوة .

### كتاب المقوقس

ووجه عليه السلام حاطب بن أبي بلتعة بكتاب الى المقوقس أمير مصر من  
جهة قيصر ، وكان فيه ( بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى  
المقوقس عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فاني أدعوك  
بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فانما عليك إثم  
القبط ، ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة الخ الآية ) فأوصله له حاطب باسكندرية  
فلما قرأه قال : ما منعه إن كان نبياً أن يدعو على من خالفه وأخرجه من  
بلده ؟ فقال حاطب أأنت تشهد أن عيسى ابن مريم رسول الله فما له حيث  
أخذ قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتى رفعه  
الله اليه ؟ قال أحسنت : أنت حكيم جاء من عند حكيم . ثم قال إني قد  
نظرت في أمر هذا النبي فوجدت أنه لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن  
مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ، ووجدت  
معه آلة النبوة : إخراج الغائب المستور ، والاخبار بالنجوى ، وسأنظر . ثم  
كتب ردّ الجواب يقول فيه ( بسم الله الرحمن الرحيم ) لمحمد بن عبد الله من  
المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك . أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما



ذُكرت فيه وما تُدعو إليه وقد علمت أن نبيا قد بقي وكنت أظنه يخرج  
بالشام ، وقد أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط  
وبشباب ، وأهديت اليك بغلة تركبها . والسلام ) وإحدى الجاريتين مارية التي  
تسرّى بها عليه الصلاة والسلام وجاء منها بولده إبراهيم والأخرى أعطاهما لحسان  
بن ثابت . ولم يسلم المقوقس

### كتاب النجاشي

ووجه عليه السلام عمرو بن أمية الضمري بكتاب الى النجاشي ملك  
الحبشة وفيه ( بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي عظيم  
الحبشة . سلام ، أما بعد فاني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو الملك  
القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكتبه  
القاهها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فملت بعيسى من روحه ونفخه كما  
خلق آدم بيده . وإني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاته على طاعته  
وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فاني رسول الله وإني أدعوك وجنودك الى الله  
عز وجل . وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع  
الهدى ) .

ولما وصله الكتاب احترمه غاية الاحترام وقال لعمرو إني أعلم والله أن  
عيسى بشر به ولكن أعواني بالحبشة قليل فأنظرني حتى أكثر الأعوان والين  
القلوب . وقد عرض عمرو على من بقي من مهاجري الحبشة الرجوع الى رسول  
الله بالمدينة وكان من المهاجرين أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج عبد الله بن  
جحش الذي كان أسلم وهاجر بها ولكن قد غلبت عليه الشقاوة فتصرقت عليه  
السلام أم حبيبة وهي بالحبشة ، والذي زوجها له النجاشي بتوكيل منه عليه السلام .

## كتاب كسرى

ووجه عليه السلام عبدالله بن حذافة السهمي بكتاب الى كسرى ملك  
الفرس وفيه ( بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله كسرى عظيم فارس .  
سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله ، ادعوك بدعاية الله فاني أنا رسول الله  
الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان  
أبيت فانما عليك إثم المجوس ) فلما وصله الكتاب مزقه استكباراً ، ولما بلغه  
عليه السلام ذلك قال ( مزق الله ملكه كل ممزق ) . وقد فعل ، فكانت مملكته  
اقرب المهالك سقوطاً وقد بدأ هذا الشقي بالعدوان فأرسل لعامله باليمن أن  
يوجه الى الرسول من يأتي به اليه فعاجله الله بقيام ابنه شيروبه عليه وقتله له  
ثم أرسل لعامله باليمن ينهاه عما أمره به أبوه .

## كتاب المنذر بن ساوى

ووجه عليه السلام العلاء بن الحضرمي بكتاب الى المنذر بن ساوى ملك  
البحرين يدعوه فيه الى الاسلام وفيه ( بسم الله الرحمن الرحيم أسلم أنت فاني  
أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فانّ من (١) صلى صلاتنا  
واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول من  
احب ذلك من المجوس فانه آمن ومن أبي فانّ عليه الجزية فأسلم وكتب في  
ردّ الجواب ( أما بعد يا رسول الله فاني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم

(١) رواه البخاري عن أنس هداية الباري ٢-٢٢١

من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرضى مجوس ويهود فأحدث إليّ في ذلك أمرٌ ، فكتب اليه عليه السلام ( بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى . سلام عليك فاني أحمد الله اليك الذي لا إله إلا هو واشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، أما بعد فاني أذكرك الله عزّ وجلّ فانه من ينصح لنفسه وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد اطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي ، وانّ رسلي قد أثنوا عليك خيرا وإني شفعتك في قومك فترك للمسلمين ما أسلموا عليه . وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نغيرك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية ) .

### كتاب ملكي عمان

ووجه عليه السلام عمرو بن العاص بكتاب الى جيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى جيفر وعبد ابني الجلندي . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فاني ادعوكا بدعاية الاسلام . أسألكم تسليما ، فاني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما وان ايتما فان ملككما زائل وخيل تحمل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما )

فلما دخل بناديها عمرو سأله عبد ابن الجلندي عما يأمر به الرسول وينهى ، فقال : يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب ، فقال ما احسن هذا الذي يدعوا اليه ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخى (١) اضن بملكه من ان

(١) ضن بالشيء يضمن اي يخل فهو ضنين به . المختار من صحاح اللغة ص ٣٠٤

يدعه ويصير تابعا . قال عمرو إن اسلم اخوك ملكه رسول الله على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم ؛ فقال عبد ان هذا خللق حسن . وما الصدقة ؟ فأخبره بما فرض الله من الصدقات في الأموال ، ولما ذكر المواشي قال يا عمرو يؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى في الشجر وترد المياه ؟ قال نعم ، فقال عبد : والله ما أرى قومي على بعد دارهم وكثرة عددهم يرضون بهذا . ثم إن عبدا أوصل عمرا لأخيه جيفر فتكلم معه عمرو بما الان قلبه حتى اسلم هو وأخوه ومكناه من الصدقات .

### كتاب هوزة بن علي

ووجه عليه السلام سليط بن عمرو العامري بكتاب الى هوزة بن علي ملك اليمامة وفيه : ( بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الى هوزة بن علي : سلام على من اتبع الهدى . واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخلف والحافر فأسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك ) فلما جاء الكتاب كتب في رده ( ما احسن ما تدعو اليه واجمله وانا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر اتبعك ) . ولما بلغ ذلك رسول الله قال . لو سألتني قطعة من الارض ما فعلت . بَادَ وَبَادَ (١) ما في يديه : فلم يلبث أن مات منصرف الرسول صلى الله عليه وسلم من فتح مكة . وكان عليه السلام يولي على كل قوم قبلوا الاسلام كبيرهم .

---

(١) بده : فرقه والتبديد التفريق ومنه : شمل مبدد وتبدد الشيء : تفرق اه مختار من صحاح

## الستة<sup>(١)</sup> السابعة

### غزوة خيبر

وفي محرم السنة السابعة أمر عليه السلام بالتجهيز لغزو يهود خيبر الذين كانوا اعظم مبيح للأحزاب ضد رسول الله في غزوة الخندق والذين لا يزالون مجتهدين في مخالفة الأعراب ضد رسول الله ، كما قدمنا ذلك في قصة كعب بن الأشرف ، وقد استنفر رسول الله لذلك من حوله من الاعراب الذين كانوا معه بالحديبية ، وجاء الخلفون عنها ليؤذن لهم ، فقال عليه السلام لا تخرجوا معي إلا رغبة في الجهاد ، أما الغنيمة فلا أعطيكم منها شيئاً . وأمر مناديا ينادي بذلك . ثم خرج عليه السلام بعد أن ولى على المدينة ساع بن عرفطة الغفاري ، وكان معه من أزواجه أم سلمة ولما وصل جيش المسلمين الى خيبر التي تبعد عن المدينة نحو مائة ميل من الشمال الغربي رفعوا أصواتهم بالتكبير والدعاء فقال عليه السلام : (٢) ( ارفقوا بأنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غالباً إنكم تدعون سميماً قريباً وهو معكم ) . وكانت حصون خيبر ثلاثة منفصلاً بعضها عن بعض ، وهي حصون (٣) النظاة ، وحصون الكثبية ، وحصون الشق (٤) والأولى ثلاثة : حصن ناعم ، وحصن الصعب . وحصن قلة ، والثانية حصنان : حصن أبي ؛ وحصن البريء . والثالثة ثلاثة حصون حصن

(١) وقال مالك : كان في فتح خيبر في السنة السادسة والجمهور على انها في السابعة والخلاف مبني

على أول التاريخ . زاد المعاد ٢-١٣٣

(٢) عن ابي موسى الاشعري رواه احمد في مسنده ٤-٤٠٢

(٣) حصن بخيبر (٤) حصن بخيبر

القموص ، وحصن الوطيح ، وحصن السلام ، فبدأ عليه السلام بحصون النطااة وعسكر المسلمون شرقها بعيدا عن مدى النبل ، وأمر عليه السلام ان يقطع نخلمهم ليرهبهم حتى يسلموا فقطع المسلمون نحو اربعمائة نخلة . ولما رأى عليه السلام تصميم اليهود على الحرب نهى عن القطع ثم ابتداء القتال مع حصن ناعم بالمرامة ، وكان لواء المسلمين بيد أحد المهاجرين فلم يصنع في ذلك اليوم شيئا ، وفيه مات محمود بن مسامة اخو محمد بن مسامة وصار عليه السلام يفتدو كل يوم مع بعض الجيش للمناوشة ويخلف على العسكر أحد المسلمين حتى اذا كانوا في الليلة السابعة ظفر حارس الجيش وهو عمر بن الخطاب ، يهودي خارج في جوف الليل فأتى به رسول الله عليه السلام ، ولما أدرك الرجل الرعب قال إن أمتموني أدلكم على أمر فيه نجاحكم . فقالوا دلنا فقد أمنك فقال إن أهل هذا الحصن أدركهم اللال والتعب وقد تركتهم يبعثون بأولادهم إلى حصن الشق وسيخرجون لقتالكم غدا ، فاذا فتح عليكم هذا الحصن غدا فاني أدلكم على بيت فيه منجنيق ودبابات (١) ودروع وسيوف يسهل عليكم بها فتح بقية الحصون ، فانكم تنصبون المنجنيق ويدخل الرجال تحت الدبابات فينقبون الحصن فتفتحه من يومك ، فقال عليه السلام لمحمد بن مسامة : سأعطي الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبانه ، فبات المهاجرون والأنصار كلهم يتمنونها ، حتى قال عمر بن الخطاب : ما تميت الامارة إلا ليلتئذ ، فلما كان الغد سأل عليه السلام عن علي بن أبي طالب فقيل له انه أرمد فأرسل من يأتيه به ولما جاء تفل في عينيه فشفاهما الله كأن لم يكن بهما شيء ، ثم أعطاه الراية فتوجه مع المسلمين للقتال . وهناك وجدوا اليهود متجهزين ، فخرج يهودي يطلب البراز فقتله علي ، ثم خرج مرحب وهو أشجع القوم فألحقه برفيقه فخرج أخوه ياسر فقتله الزبير بن العوام ، ثم حمل المسلمون على اليهود

(١) الدبابة آلة تتخذ للحروب أفتدفع في اصل الحصن فينقبونها وهم في جوفها

حتى كشفوهم عن مواقعهم وتبعوهم حتى دخلوا الحصن بالقوة وانهمز الأعداء إلى الحصن الذي يليه ؛ وهو حصن الصعب ، وغنم المسلمون من حصن ناعم كثيراً من الخبز والتمر ثم تتبعوا اليهود إلى حصن الصعب فقاتل عنه اليهود قتالاً شديداً حتى رد عنه المسلمون ولكن ثبت الحباب بن المنذر ومن معه وقاتلوا قتالاً شديداً حتى هزموا اليهود فتبعوهم حتى افتتحوا عليهم الحصن فوجدوا فيه غنائم كثيرة من الطعام فأمر عليه السلام منادياً يقول : كلوا واعلفوا دوابكم ولا تأخذوا شيئاً ، ثم إن الذين انهزموا من هذا الحصن ساروا إلى حصن قلة فتبعهم المسلمون وحاصروهم ثلاثة أيام حتى استصعب عليهم فتحه ، وفي اليوم الرابع دلهم يهودي على جداول الماء التي يستقي منها اليهود فمنعوها عنهم فخرجوا وقاتلوا قتالاً شديداً انتهى بهزيمتهم إلى حصون الشق ، فتبعهم المسلمون وبدأوا بحصن أبي فخرج أهله وقاتلوا قتالاً شديداً أبلى فيه أبو دجانة الأنصاري بلاء حسناً حتى تمكن من دخول الحصن عنوة ووجد المسلمون فيه اثناً كثيراً ومتاعاً وغنماً وطعاماً ، وهرب المهزومون منه إلى حصن البريء فتمنعوا به أشد التمتع وكان أهله أشد اليهود رمياً بالنبل والحجارة حتى أصاب رسول الله بعض منه فنصب المسلمون عليه المنجنيق فوقع في قلب أهله الرعب وهربوا منه من غير عناء شديد فوجد فيه المسلمون إواني لليهود من نحاس وخار فقال عليه السلام اغسلوها واطبخوها فيها ثم تتبع المسلمون بقايا العدو إلى حصون الكئيبة وبدأوا بحصن القموص فحاصروه عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد علي بن أبي طائب ومنه سببت صفية بنت حي بن اخطب . ثم سار المسلمون لحصار حصني الوطيح والسلام فلم يقاوم أهلها بل سلموا طالبين حقن دمائهم وإن يخرجوا من أرض خيبر بذرائعهم لا يصطحب الواحد منهم إلا ثوباً واحداً على ظهره فاجلبهم رسول الله إلى ذلك ، وغنم المسلمون من هذين الحصنين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية ووجدوا صحفاً من التوراة فسلموها لطلاليتها . وقد أمر عليه السلام بقتل

كنانة بن أبي الحقيق لأنه انكر حليّ بن أبي اخطب وقد عثر عليها  
المسلمون فوجدوا فيها اساور ود مالج وخلاخيل وقرطة وخواتيم الذهب وعقود  
الجواهر والزمرد وغير ذلك .

هذا ، والذين استشهدوا من المسلمين بخير خمسة عشر رجلا ، وقتل من  
اليهود ثلاثة وتسعون رجلا ، وفي هذه الغزوة أهدت إحدى (١) نساء اليهود  
كراع شاة مسمومة لرسول الله فأخذ منها مضغة ثم لفظها حيث أعلم انها  
مسمومة وأكل منها بشر بن البراء فمات لوقته . واحتجم رسول الله ﷺ ،  
وجيء له بالمرأة التي فعلت هذه الفعلة فسألها عن سبب ذلك فأجابت : قلت  
إن كان نبياً لن يضره وان كان كاذباً أراحنا الله منه ، فعفا (٢)  
عنها عليه السلام .

### زواج صفية

وبعد تمام الظفر والنصر تزوج عليه السلام صفية بنت حسيّ سيد  
بني النضير وأصدقها عتقها ، وقد أسلمت رضي الله عنها فشرفت بأمومة  
المؤمنين .

---

(١) زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم

(٢) عن ام سامة . قالت يا رسول الله لا يزال يصيبك في كل عام وجع من الشاة المسمومة التي  
اكلت ، قال ما اصابني شيء منها الا وهو مكتوب على وآدم في طينته .

رواه ابن ماجة زجاجة المصاييح . ٣٥-١



## النهي عن (١) نطع المتعة

ونهى عليه السلام وهو بخير عن نكاح المتعة ، وهي النكاح لأجل .  
وقد كان حلاً في الجاهلية واستعمل في بدء الاسلام حتى حرّمه الشرع في هذه  
السنة . ونهى كذلك عن أكل لحوم الجمر (٢) الأهلية فأكفأ المسلمون  
قدورها بعد أن نضجت ولم يطعموها .

(١) لم يحرم المتعة يوم خيبر وإنما كان تحريمها عام الفتح هذا هو الصواب وقد ظن  
طائفة من أهل العلم انه حرّمها يوم خيبر واحتجوا بما في الصحيحين : من حديث  
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ : نهى عن متعة النساء يوم  
خيبر وعن اكل لحوم الجمر الأنسية وفي الصحيحين ايضاً ان علياً رضي الله عنه  
سمع ابن عباس : يلبس في متعة النساء قال مهلاً يا ابن عباس فان رسول الله ﷺ  
نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن لحوم الجمر الأنسية وفي لفظ البخاري : عنه  
ان رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الجمر الأنسية . ولما  
رأى هؤلاء ان رسول الله ﷺ اباحها عام الفتح ثم حرّمها قالوا حرمت ثم  
ايحت قال الشافعي : ولا يرى شيئاً حرم ثم ابيح ثم حرم الا المتعة قالوا نسخت مرتين ،  
وخالفهم في ذلك آخرون وقالوا لم تحرم الا عام الفتح وقيل ذلك كانت مباحه  
وقال الامام احمد في مسنده : ( باسناد صحيح ) : ان رسول الله ﷺ : حرم  
لحوم الجمر الأهلية يوم خيبر وحرم متعة النساء .

وقصه خيبر ؛ لم يكن فيها الصحابة يتمتعون ولا استأذنوا ذلك رسول الله  
ﷺ ومن اراد التوسعه في الموضوع فليراجع زاد المساد ٢-١٤٣ باختصار

(٢) تعليل التحريم انها رجس . وهذا مقدم على قول من قال من الصحابة لأن  
لفظ الرسول مقدم بقوله انها رجس راجع زاد المساد ٢-١٤٢

## رجوع مهاجري (١) الحبشة

وحين رجوع المسلمين من خير قدم من الحبشة جعفر بن أبي طالب وبعده الأشعريون : أبو موسى وقومه ، بعد أن أقاموا فيها نحواً من عشر سنين آمنين مطمئنين ، وفرح عليه السلام بمقدمهم فرحاً عظيماً وأعطى للأشعريين من غنائم الحصون المفتوحة صلحاً . وكان مع جعفر أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين ، وقدم في هذا الوقت على النبي عليه السلام الدوسيون إخوان أبي هريرة رضي الله عنه وهو معهم فأعطاهم أيضاً رسول الله ﷺ .

## فتح فدك

وبعد تمام الفتح أرسل عليه السلام من يطالب من يهود فدك . (٢) الاتقياد والطاعة ، فصالحوا رسول على أن يحقن دماءهم ويتركوا الأموال وكانت أرض فدك هذه لرسول الله خاصة ينفق منها على نفسه ويعول منها صغير بني هاشم ويزوج منها أيمهم

## صلح تبوء

ولما بلغ يهود تبوء (٣) ما فعله المسلمون بيهود خيبر صالحوا على دفع الجزية ومكثوا في بلادهم آمنين مطمئنين

- 
- (١) فجميع من قدم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ستة عشر رجلاً راجع تهذيب السيرة ٢-٣٥٣  
(٢) حصن قريب من خير على ست ليال من المدينة .  
(٣) قرية على ثمان مراحل من المدينة .

## فتح وادي القرى

ثم دعا عليه السلام يهود وادي القرى الى الاستسلام فأبوا وقاتلوا فقاتلهم المسلمون وأصابوا منهم أحد عشر رجلاً وغنموا منهم مغانم كثيرة خمسها عليه السلام وترك الأرض في أيدي أهلها يزرعونها بشرط ما يخرجون منها . وكذلك صنع بأرض خيبر وكان يرسل اليهم عبدالله بن رواحه لتقدير الثمر وكان تقديره شديداً عليهم فأرادوا أن يرشوه فقال لهم : يا اعداء الله تعطوني السحت (١) ! والله لقد جئتكم من عند أحب الناس اليّ ولأتم أبغض إليّ من القردة والخنزير ولا يحملني بغضى إياكم وحي اياه على ألا أعدل . هذا ، وباتقياد جميع اليهود المجاورين للمدينة ارتاح المسلمون من شرّ عدو كان يترصب بهم الدوائر مها كان بين الفريقين من العهود والمواثيق ورجع المسلمون مؤيدين ظافرين .

## اسلام خالد ورفيقه

وأعقب هذه الغزوة وهذا الفتح المبين إسلام ثلاثة طالما كانت لهم اليد الطولى في قيادة الجيوش لحرب المسلمين : وهم خالد بن الوليد المخزومي ، وعمرو ابن العاص السهمي ، وعثمان بن أبي طلحة العبدي ، فسر بهم عليه السلام سروراً عظيماً وقال لخالد : الحمد لله الذي هدانا لهذا ، قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا الى خير ، فقال يا رسول الله ادع الله لي أن يفرّ تلك المواطن التي كنت أشهداها عليك ، فقال عليه السلام : الاسلام يقطع ما قبله .

---

(١) السحت . الحرام واسحت في تجارته إذا اكتسب السحت مختار من صحاح اللغة ص ٢٢٩

### سرية

وفي شعبان بلغه عليه السلام أن جمعاً من هوازن بتربة (١) يظهرون  
العداوة للمسلمين ، فأرسل لهم عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلاً فسار اليهم . ولما بلغهم  
الخبر تفرقوا فلم يجد بها عمراً أحداً فرجع .

### سرية

ثم أرسل بشير بن سعد الأنصاري لقتال بني مرة بناحية فدك فلما ورد  
بلادهم لم يرَ منهم أحداً فأخذ نعيمهم ، أما القوم فكانوا في الوادي فجاءهم  
الصريخ فأدركوا بشيراً ليلاً وهو راجع فتراموا بالنبل ولما أصبح الصبح  
اقتتل الفريقان قتلاً شديداً حتى قتل غالب المسلمين وجرح بشير جرحاً شديداً  
حتى ظن أنه مات ولما انصرف عنه العدو تحامل حتى جاء الى رسول الله  
وأخبره الخبر . وفي رمضان أرسل عليه السلام غالب بن عبيدالله الليثي الى اهل  
الميفعة (٢) في مائة وثلاثين رجلاً فساروا حتى هجموا على القوم فقتلوا بعضاً  
وأسروا آخرين وفي اثناء الحرب طارد أسامة بن زيد رجلاً من المشركين ،  
ولما رأى المشرك الموت في يد أسامة تشهد فظن أسامة أن عدوه إنما قال  
ذلك تخلصاً فقتله . ولما رجع المسلمون الى المدينة وأخبر رسول الله بفعلة  
أسامة قال : أقتلته بعد ان قال لا إله إلا الله فكيف تصنع بلا إله إلا الله ؟!  
قال : يا رسول الله إنما قالها متعوذاً من القتل قال عليه السلام : فهلا شققت  
عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب ؟! فقال يا رسول الله : استغفر لي . قال

(١) واد بالقرب من مكة على مسافة تدمين منها .

(٢) على ثمانية برد من المدينة بناحية نجد .

عليه السلام فكيف بلا إله إلا الله ؟ ! فما زال يكررها حتى تمنى أسامة أنه لم  
يسلم قبل ذلك اليوم وانزل الله في ذلك في سورة النساء ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آمَنَ  
إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتُمْ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغْنَمٌ  
كَثِيرَةٌ ﴾ ثم أمر عليه السلام أسامة ان يعتق رقبة كفارة لأنه قتل خطأ

### سيرة

وفي شوال بلغه عليه السلام أن عيينة بن حصن واعد جماعة من غطفان  
كانوا مقيمين قريباً من خير بأرض اسمها يمن وجبار للاغارة على المدينة ،  
فأرسل لهم بشير بن سعد في ثلثمائة رجل فساروا اليهم يكمنون النهار ويسرون  
الليل حتى أتوا محلهم فأصابوا نعماً كثيرة وتفرق الرعاء فأخبروا قومهم ففزعوا  
ولحقوا بعليا بلادهم ولم يظفر المسلمون الا برجلين اسلما ثم رجعوا بالغنائم  
الى المدينة .

### عمرة (١) القضاة

لما حال الحول ، على عمرة الحديبية ، خرج عليه السلام بمن صدق معه  
فيها ليقتضي عمرته ، واستخلف على المدينة أبا ذر الغفاري . وساق معه الهدى  
ستين بدنة وأخرج معه السلاح حذراً من غدر قريش وكان معه مائة فرس  
عليها بشير بن سعد . واحرم عليه السلام من باب المسجد المدني ولما انتهى الى  
ذي الحليفة قدم الخيل امامه فقيل يا رسول الله : حملت السلاح وقد شرطوا  
ألا تحمله ؟ فقال عليه السلام : لا تدخل الحرم به ولكن يكون قريباً

(١) كانت في سنة سبع من شهر ذي القعدة . تهذيب السيرة ٢-٣٦٤

منا فان هاجنا هائج فزعنا له . فلما كان بمر الظهران قابله نفر من قريش ففزعوا من هذه العدة وأسرعوا الى قومهم فأخبروهم فجاءه فتيان منهم وقالوا : والله يا محمد ما عرفت بالغدر صغيرا ولا كبيرا وإنما لم نحدث حدثا !! فقال : إنا لا ندخل الحرم بالسلاح . ولما حان وقت دخوله مكة خرج أهلوها كارهين رؤية المسلمين يطوفون بالبيت ، فدخل عليه السلام وأصحابه متوشحين سيوفهم من ثنية كداء وامامه عبد الله بن رواحة يقول : لا إله إلا الله وحده صدق وعدة ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده . وطاف عليه السلام بالبيت وهو على راحلته واستلم الحجر بحججه وأمر أصحابه أن يسرعوا ثلاثة أشواط إظهاراً للقوة لأن المشركين قالوا : سيطوف اليوم بالكعبة قوم نهكهم حمى يثرب ، فقال عليه السلام : رحم الله أمراً أراهم من نفسه قوة واضطبع (١) عليه السلام بردائه وكشف عضده اليمنى شأن الفتوة وفعل مثله المسلمون . وقد أتم المسلمون طوافهم بالبيت آمنين مخلقين رؤوسهم ومقصرين وكما رأى عليه السلام في منامه .

### زواج ميمونة

وتزوج صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج عمه حمزة بن عبد المطلب شهيداً أحد وخالة عبدالله بن العباس وهي آخر نساءه زواجا ولم يدخل بها إلا بعد الخروج من مكة حيث كان بسرف (٢) ولما خرج عليه السلام أمر الذين كان تركهم لحراسة الخيل بالذهاب ليطوفوا ففعلوا ، ثم رجع عليه السلام الى المدينة فرحاً مسروراً بما حباه الله من تصديق رؤياه .

(١) ادخل بعضه تحت غضوه اليمنى وجعل طرفه على منكبه الأيسر تهذيب السيره ٢-٣٦٤

(٢) موضع قرب التنعيم .

## السنّة الثامنة

### سرية

وفي صفر أرسل عليه السلام غالب بن عبدالله الليثي الى بني الملوح وهم قوم من العرب يسكنون بالكديد (١) فسار القوم حتى اذا كانوا بقديد التقوا بالحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء ، وكان خصماً لدوداً فأسروه ، فقال لهم : ما جئت إلا للاسلام . فقالوا له ان تكن مسلماً لن يضرك رباط ليلة والا استوثقنا منك . ثم ساروا حتى وصلوا محلة بني الملوح فاستاقوا النعم والشاء وخرج الصريخ الى القوم فجاءهم ما لا قبل لهم به ولكن من الله على المسلمين فأرسل سيلاً شديداً حال بينهم وبين عدوهم حتى صار المشركون يرون نعمهم تساق وهم لا يقدرّون على ردها .

### سرية

ولما رجع غالب الى المدينة ظافراً أرسله عليه السلام في مائتي رجل ليقبض من بني مرّة بفدك ، وهم الذين اصابوا سرية بشير بن سعد ، فساروا حتى اذا كانوا قريباً من القوم خطب غالب فيمن معه فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه : ( اما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وان تطيعوني ولا تخالفوا لي أمراً فانه لا رأى لمن لا يطاع ، ثم آخى بين الجند فقال : يا فلان أنت وفلان ، ويا فلان أنت وفلان : لا يفارق أحد منكم

---

(١) موضع بين عسفان وقديد قرب التميم

زميله . واياكم أن يرجع الرجل منكم فاقول له : أين صاحبك ؟ فيقول : لا أدري ، فإذا كبرت فكبروا فلما أحاطوا بالعدو وكبر كبروا وجرّدوا السيوف فلم يفلت من عدوهم أحد واستاقوا نعمهم فكان لكل واحد من الغزاة عشرة أبعرة .

### سرية

وفي ربيع الأول أرسل عليه السلام كعب بن عمير الغفاري الى ذات أطلاح من أرض الشام في خمسة عشر رجلاً فوجدوا جمعاً كثيراً فدعواهم الى الاسلام فلم يحيبوا وقتلوا وكانوا أكثر عدداً فاستشهد المسلمون عن آخرهم الا رئيسهم كعب بن عمير فانه نجا وأتى بالخبر الى رسول الله فشق عليه وأراد ان يبعث إليهم من يقتص منهم فبلغه أنهم تحولوا من منزلهم فعدل عن ذلك .

### غزوة مؤتة

جهز عليه السلام في جمادي (١) الأولى جيشاً للقصاص ممن قتلوا الحارث ابن عمير الأزدي رسوله إلى أمير بصرى وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال لهم : إن أصيب فالأمير جعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب فعبداً بن رواحة . وكانت عدة الجيش ثلاثة آلاف فساروا وشيعهم عليه السلام وكان فيهم وصاهم به : اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام ، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا

---

(١) وذلك كانت في السنة الثامنة .



ولا بصيراً فانيا ولا تقطعوا شجراً ولا يهدموا بناء . ولم يزالوا سائرين حتى  
 وصلوا مؤتة (١) مقتل الحارث بن عمير ، وهناك وجدوا الروم قد جمعوا  
 لهم جمعا عظيما منهم ومن العرب المتصره فتفاوض رجال الجيش فيما يفعلونه :  
 ايرسلون لرسول الله يطلبون منه مدداً أم يقدمون على الحرب ؟ فقال عبد الله  
 ابن رواحة يا قوم والله ان الذي تـكـرهون هو ما خرجتم له — خرجتم  
 تطلبون الشهادة ونحن ما نقاتل بقوة ولا بكثرة ، ما نقاتل إلا بهذا الدين  
 الذي أكرمنا الله به فانما هي إحدى الحسينين إما الظهور واما الشهادة ، فقال  
 الناس صدق والله ابن رواحة ، ومضوا للقتال فلقوا هذه الجموع المتكاثرة  
 فقاتل زيد بن حارثة رضي الله عنه حتى استشهد ، فاخذ الراية جعفر بن أبي  
 طالب وهو يقول :

يا حَبِذا الجَنَّةُ واقترابها طيبةٌ وبارداً شرابها  
 والروم روم قد دنا عذابها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها  
 على إذ لاقيتها ضرابها

ولم يزل يقاتل حتى استشهد رضي الله عنه ، فاخذ الراية عبد الله بن  
 رواحة فتقدم ثم تردد بعض التردد فقال يخاطب نفسه :

أقسمتُ يا نفسُ لتنزليَّ طائفةً أو لا تكرهني  
 ان أجلب الناسُ وشدوا الرنة (٢)  
 قد طالما كنتِ مطمئنة هل أنتِ الا نطفة في شنته (٣)

(١) قرية قريبة من الكرك وهي مشارف الشام

(٢) صوت فيه ترجيع شبه بالبكاء التهذيب ٢-٣٦٩

(٣) السقاء البالي ٢-٣٦٩

ثم اقتحم بفرسه الممعة ولم يزل يقاتل رضي الله عنه حتى استشهد فهم  
بعض المسلمين بالرجوع الى الورا فقال لهم عقبة بن عامر يا قوم : يقتل الانسان  
مقبلا خير من أن يقتل مدبراً فترجعوا واتفقوا على تأمير الشهم الباسل خالد بن  
الوليد وبهيمته ومهارته الحربية حمى هذا الجيش من الضياع ، إذ ما تفعل ثلاثة  
آلاف بمائة وخمسين ألفاً ، فانه لما أخذ الراية قاتل يومه قتالا شديداً ، وفي  
غده خالف ترتيب العسكر فجعل الساقة مقدمة والمقدمة ساقة والميمنة ميسرة  
والميسرة ، فظن الروم أن المدد جاء للمسلمين فرعبوا . ثم أخذ خالد الجيش وصار  
يرجع الى الورا حتى انحاز الى موتة ثم مكث يناوش الاعداء سبعة أيام ثم  
تجازز الفريقان لأن الكفار ظنوا أن الامداد تتوالى للمسلمين وخافوا أن يجروهم  
الى وسط الصحارى حيث لا يمكنهم التخلص ، وبذلك انقطع القتال . وقد (١)  
نعى النبي ﷺ زيدا وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم  
فقال : أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن  
رواحه فأصيب ، وكانت عينا رسول الله تذر فان ، ثم قال : حتى أخذ الراية  
سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم . وجاءه رجل وقال يا رسول الله إن  
نساء جعفر يبكين ، فأمره أن ينههن فذهب الرجل ثم أتى ، فقال : قد  
نهيتهن فلم يطعن ؟ فأمره فذهب ثانياً ، ثم جاء فقال : والله لقد غلبتنا ، فقال  
عليه السلام : احث في أفواههن التراب . ولما أقبل الجيش الى المدينة قابلهم  
المسلمون يقولون لهم يا فرار ، فقال عليه السلام بل هم الكرار ! ظن المقيمون  
بالمدينة أن انحياز خالد بالجيش هزيمة ، ولكن رسول الله ﷺ أراهم أن ذلك  
من مكاييد الحرب وأثنى على خالد في مهارته .

(١) الحديث عن انس أخرجه البخاري والنسائي وآخر الحديث : وان عيني رسول الله صلى الله عليه  
وسلم لتذر فان ثم اخذها سيف من سيوف الله خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح الله تعالى  
له . تيسير الوصول ٣ - ٢٠١ .

## سريه

وفي جمادي الآخرة بلغه عليه السلام أن جمعاً من قضاة يتجمعون في ديارهم وراء وادي القرى ليغيروا على المدينة فأرسل لهم عمرو بن العاص في ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين ، ثم أمده بأبي عبيده ابن الجراح في مائتين من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر ، فلاحقوا عمراً قبل أن يصل إلى القوم . وقد أراد رجال من الجيش أيقاد نار فمنعهم عمرو ، فأنكر عليه عمر بن الخطاب فقال أبو بكر : إنما بعثه رسول الله علينا رئيساً لمعرفة بالحرب أكثر منا فلا تعصه ، فامتثل . ولما حلوا بساحة القوم حملوا عليهم فلم يكن أكثر من ساعه حتى تفرق الأعداء منهزمين فجمعوا غنائمهم وأرادوا اتباع أثرهم فمنعهم قائدهم ، ثم رجعوا إلى المدينة ظافرين ، وبينما هم في الطريق أدركت عمرو بن العاص جنابة في ليلة باردة فلما أصبح قال : إن أنا اغتسلت هلكت والله يقول ( وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ) ثم تيمم وصلى ، ثم أمر بالسير حتى إذا وصلوا المدينة قام رسول الله عليه السلام يسأل عن أبناء سفرهم كما هي عادته فأخبروه بما تقوموه من عمرو بن العاص من نهيهم عن إيقاد النار ونهيهم عن اتباع العدو وصلاته جنبا ، فسأله عليه السلام عن ذلك فقال : منعهم من إيقاد النار لئلا يرى العدو قلتهم فيطمع فيهم ، ونهيهم عن اتباع العدو لئلا يكون له كمين ، وصلت جنبا لأن الله يقول : ( وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ) وإن أنا اغتسلت هلكت فتبسم عليه السلام واثى على عمرو خيراً .

## سريه

وفي رجب أرسل عليه السلام أبا عبيدة عامر بن الجراح في ثلاثمائة فارس لغزو قبيلة جبهينة التي تسكن ساحل البحر ، وزود عليه السلام هذا

الجيش جراباً من التمر . فساروا حتى اذا وصلوا الساحل أقاموا فيه ثلثين نصف شهر ينتظرون العدو وقد فنى زادهم حتى أكلوا الخبط وهو ورق السمير يبلونه بالماء ويأكلونه الى ان تقرحت أشداقهم . وكان في القوم الكريم ان الكريم قيس بن عبادة فنحر لهم ثلاث جزر في كل يوم جزور . وفي اليوم الرابع أراد أن ينحر فنهاء رئيسه أبو عبيدة لأن قيساً كان أخذ تلك الجزر بدين على أبيه ، فخاف أبو عبيدة ألا يفي له أبوه بما استدان . فقال قيس : أتري سعدا يقضي ديون الناس ويطعم في المجاعة ولا يقضي ديناً استدنته لقوم مجاهدين في سبيل الله؟! ولما يؤسوا من لقاء عدوهم رجعوا الى المدينة فقال قيس بن سعد لأبيه: كنت في الجيش فجاعوا؟ قال : انحر ، قال : نحر . قال : ثم جاعوا؟ قال : انحر ، قال نحر . قال : ثم جاعوا ؟ قال : انحر ، قال نحر . قال : ثم جاعوا ؟ قال : انحر ، قال نحر . قال نحر . قال : ثم جاعوا ؟ قال : انحر ، قال نحر ، قال نحر .

### غزوة الفتح الأعظم (١)

إذا أراد الله أمراً هياً أسبابه وأزال موانعه ، فقد كان عليه السلام يعلم أنه لا تذلل العرب حتى تذلل قريش ولا تنقاد البلاد حتى تنقاد مكة فكان يتشوق لفتحها ولكن كان يمنع من ذلك العهد التي أعطها قريشاً في الحديبية وهو سيد من وفي . ولكن إذا أراد الله أمراً هياً أسبابه فقد علمت أن قبيلة خزاعة دخلت في عهد رسول الله وقبيلة بكر دخلت في عهد قريش وكان بين خزاعة وبكر دماء في الجاهلية كمن نارها بظهور الاسلام ، فلما حصلت الهدنة وقف رجل من بكر يتغنى بهجاء رسول الله ﷺ على مسمع من رجل خزاعي فقام هذا وضربه فحرك ذلك كامن الاحقاد وتذكر بنو بكر ثارهم فشدوا العزيمة لحرب خصومهم واستعانوا بأوليائهم من قريش فأعانوهم سراً بالعدة والرجال ، ثم توجهوا الى خزاعة وهم آمنون فقتلوا منهم ما يربو على

(١) كان فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان تهذيب السيرة ٢ - ٣٧٤ .

العشرين ، ولما رأى ذلك حلفاء السيد الأمين أرسلوا منهم وفداً برياسة عمرو بن سالم الخزاعي ليخبر رسول الله بما فعل بهم بنو بكر وقريش فلما حلوا بين يديه وأخبروه الخبر قال : والله لأمنعنكم مما أمنع نفسي منه . أما قريش فانهم لما رأوا أن ما عملوه نقض للعهود التي أخذت عليهم ندموا على ما فعلوا وأرادوا مداواة هذا الجرح فأرسلوا قائدهم أبا سفيان بن حرب الى المدينة ليشدّ العقد ويزيد في المدّة : فراكب راحلته وهو يظن أنه لم يسبقه أحد حتى إذا جاء بالمدينة نزل على أم المؤمنين أم حبيبة بنته وقد أراد أن يجلس على فراش رسول الله فطوته عنه فقال : يا بنية أرغبت به عني أم رغبت بي عنه ؟ فقالت : ما كان لك أن تجلس على فراش رسول الله وأنت مشرك نجس فقال لقد أصابك بعدي شر . ثم خرج من عندها وأتى النبي في المسجد وعرض عليه ما جاء له ، فقال عليه السلام : هل كان من حدث ؟ قال لا ، فقال عليه السلام فنحن على مدتنا وصلحنا ولم يزد عن ذلك . فقام أبو سفيان ومشى الى أكابر المهاجرين من قريش عليهم يساعده على مقصده فلم يجد منهم معيناً وكلهم قالوا : جوارنا في جوار رسول الله ، فرجع الى قومه ولم يصنع شيئاً فاتهموه أنه خانهم واتبع الاسلام فتنسك عند الأوثان لينفي عن نفسه هذه التهمة ؛ أما رسول الله ﷺ فتجهز للسفر وامر أصحابه بذلك وأخبر الصديق بالوجهة فقال له يا رسول الله أوليس بينك وبين قريش عهد ؟ قال نعم ولكن غدروا ونقضوا ، ثم استنفر عليه السلام الاعراب الذين حول المدينة وقال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة فقدم جمع من قبائل أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة ، وطوى عليه السلام الاخبار عن الجيش كيلا يشيع الأمر فتعلم قريش فنتسعد للحرب والرسول عليه السلام لا يريد ان تقيم حرباً بمكة ؛ بل يريد انقياد أهلها مع عدم المساس بجرمتها . فدعا مولاه جل ذكره وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبعثها في بلادها ، فقام حاطب بن أبي

بلتعة (١) أحد الذين شهدوا بدرًا وكتب كتاباً لقريش يخبرهم ببعض أمر رسول الله  
 ﷺ وأرسله مع جارية لتوصله الى قريش على جمل فاعلم الله رسوله ذلك  
 فأرسل في أثرها عليا والزبير والمقداد وقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ  
 فان بها ظعينة معها كتاباً فخذوه منها . فانطلقوا حتى أتوا الروضة فوجدوا بها  
 المرأة فقالوا لها : أخرجي الكتاب ، قالت ما معي كتاب ! قالوا : لتخرجن  
 الكتاب أو لتلقين الثياب ! فأخرجته من عقاصها فتوا به رسول الله فقال عليه  
 السلام : يا حاطب ما هذا ؟ قال يا رسول الله لا تعجل عليّ إني كنت حليفاً  
 لقريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون  
 أهلهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يدا  
 يحمون بها قرابتي ولم افعله ارتداداً عن ديني ولا رضاء بالكفر بعد الاسلام  
 فقال عليه السلام أما انه قد صدقكم ؛ فقال عمر . دعني يا رسول الله  
 أضرب عنق هذا المنافق : فقال : إنه قد شهد بدرًا وما يدريك لعلى الله  
 اطلع على من شهد بدرًا فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم ، وفي ذلك  
 أنزل الله في سورة الممتحنة ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوئى وعدوكم  
 أولياء تلقون اليهم بالموودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون  
 الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي  
 وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالموودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن  
 يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل ﴾ \* ثم سار عليه السلام بهذا الجيش  
 العظيم في منتصف رمضان بعد أن ولى على المدينة ابن أم مكتوم ، وكانت  
 عدة الجيش عشرة آلاف مجاهد ، ولما وصل الأبواء لقيه اثنان كانا من اشد

(١) انظر القصة بطولها في تفسير النسفي ص ٢٤٥ جزء ٤ وانظر تهذيب السيرة ٢ - ٣٨٢ وكديد  
 بين عسفان وامج .

أعدائه وهما ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب شقيق عبيدة بن الحارث شهيد بدر وصهره عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة شقيق زوجته أم سلمة وكانا يريدان الاسلام فقبلهما عليه السلام وفرح بهما شديد الفرح وقال : ﴿ لا تريبَ عليكم اليومَ يغفرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ \* . ولما وصل عليه السلام الكديد رأى أن الصوم شق على المسلمين فأمرهم بالفطر وأفطر هو ايضاً ، وقد قابل عليه السلام في الطريق عمه العباس بن عبد المطلب مهاجراً بأهله وعياله فأمره أن يعود معه الى مكة ويرسل عياله الى المدينة . ولما وصل عليه السلام مرَّ الظهران أمر بايقاد عشرة آلاف نار وكانت قريش قد بلغهم أن محمداً زاحف بجيش عظيم لا ندري وجهته فارسلوا أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله . فاقبلوا يسرون حتى أتوا مر الظهران فاذا هم بنيران كأنها نيران عرفة . فقال أبو سفيان ما هذه لكانها نيران عرفة فقال بديل بن ورقاء : نيران بني عمرو ، فقال أبو سفيان : عمرو أقل من ذلك ، فرآهم ناس من حرس رسول الله فأدركوهم فأخذوهم فاتوا بهم رسول الله فاسلم أبو سفيان ، فلما سار قال للعباس : أحبس أبا سفيان عند حطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان وهو يسأل عنها ويقول مالي ولها ، حتى إذا مرت به قبيلة الأنصار وحامل رايتها سعد بن عبادة فقال سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة ؛ فقال أبو سفيان ، يا عباس حبذا يوم الدمار ، ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيها رسول الله واصحابه وحامل الراية الزبير بن العوام فأخبر أبو سفيان رسول الله بمقالة سعد ، فقال عليه السلام : كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسي فيه الكعبة . ثم أمر عليه السلام ان يتركز رايته بالحجون (١) وأمر

(١) جبل بمحلة مكة

خالد بن الوليد ان يدخل من اسفل مكة من كدى (١) ودخل هو من اعلاها  
 من كداء ونادى مناديه : من دخل داره واغلق بابه فهو آمن ، ومن  
 دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار (٢) أبي سفيان فهو آمن وهذه  
 أعظم منة له . واستثنى من ذلك جماعة عظمت ذنوبهم وأذوا الاسلام وأهله  
 عظيم الاذى فاهدر دمهم وان تعلقوا بأستار الكعبة . منهم عبد الله بن سعد  
 ابن أبي سرح الذي اسلم . وكتب لرسول الله الوحي ثم ارتد وافترى الكذب  
 على الأمين المأمون فكان يقول : ان محمداً كان يأمرني أن اكتب عليم حكيم  
 فأكتب غفور رحيم ، فيقول كل جيد ! ومنهم عكرمة بن أبي جهل وصفوان  
 ابن أمية وهبار بن الأسود والحارث بن هشام وزهير بن أبي امية وكعب بن  
 زهير ووحشى قاتل حمزة وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان وقليل غيرهم ،  
 ونهى عن قتل واحد سوى هؤلاء إلا من قاتل ، فاما جيش خالد بن الوليد  
 فقابلته الذعر من قريش يريدون صده فقاتلهم وقتل منهم اربعة وعشرين ، وقتل  
 من جيشه اثنان ودخلها عنزة من هذه الجهة ، واما جيش رسول الله ﷺ فلم  
 يصادف مانعاً وهو عليه السلام راكب راحلته منحني على الرحل تواضعاً لله  
 وشكراً له على هذه النعمة حتى تكاد جبهته تمس الرحل ، وأسامة بن زيد  
 رديفه . وكان ذلك صباح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان ، حتى وصل  
 الى الحجون موضع رايته وقد نصبت له هناك قبة فيها ام سلمة وميمونة فاستراح  
 قليلاً ، ثم سار وبجانبه أبو بكر يحادثه وهو يقرأ الفتح حتى بلغ البيت  
 وطاف سبماً على راحلته واستلم الحجر بحججه وكان حول الكعبة إذ ذلك  
 ثلاثمائة وستون صنماً فجعل عليه السلام يطعنهم بعود في يده ويقول (٣) : جاء  
 الحق وزهق الباطل ، وما يبدىء الباطل وما يعيد . ثم أمر بالآلهة فأخرجت

(١) كدى كقوى جبل مسفلة مكة على طريق اليمين وكداء كسحاب جل بأعلى مكة .

(٢) انظر الحديدية بطوله في صحيح مسلم

(٣) صحيح مسلم ١١٣-٥ باب ازالة الاصنام



من البيت وفيها صورة إسماعيل وإبراهيم في أيديهما الأزلام فقال عليه السلام قاتلهم الله لقد علموا ما استقسموا (١) بها قط !! وهذا أول يوم طهرت فيه الكعبة من هذه العبوات الباطلة ، وبطهارة الكعبة المقدسة عند جميع العرب باديها وحاضرها من هذه الأدناس سقطت عبادة الأوثان من جميع بلاد العرب الا قليلا ويوشك أن نذكر للقارىء اختفاء آثارها ومحو عبادتها بالكلية .

### النفوس المقفرة

ثم ان النبي ﷺ دخل الكعبة وكبر في نواحيها ، ثم خرج الى مقام ابراهيم وصلى فيه ، ثم شرب من زمزم وجلس في المسجد والناس حوله والعيون شاخصة اليه ينتظرون ما هو فاعل بمشركي قريش الذين آذوه وأخرجوه من بلاده وقتلوه ، ولكن هنا تظهر مكارم الأخلاق التي يلزم أن يتعلم منها المسلم أن يكون رضاء وغضبه لله لا لهوى النفس فقال عليه السلام : يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال عليه السلام : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، ويرحمهم الله الامام البوصيري حيث قال .

(١) قال ابن هشام : وحدثني بعض اهل العلم : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم فرأى ابراهيم عليه السلام مصوراً في يده الأزلام يستقسم بها فقال قاتلهم الله جعلوا مشيخنا يستقسم بالأزلام : وهي السهام التي كانوا يستقسمون بها يتشؤونها في امورهم .

ما شأن ابراهيم والازلام قال تعالي : ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ٣-٣٩٦ تهذيب السيرة

وإذا كان القطع والوصل لله  
وسواء عليه فيما أتاه من سره الملام والاطراء  
ولز أن انتقامه لهوى النفس لدامت قطعة وجفاء  
قام لله في الأمور فأرضى الله منه تباين ووفاء  
فعله كله جميل وهل ينضح إلا بما حواه الإناء

ثم خطب عليه السلام خطبة أبان فيها كثيراً من الأحكام الإسلامية  
منها ألا يقتل مسلم بكافر ، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ، ولا تنكح  
المرأة على عمها أو خالتها ، والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر ولا تسافر  
المرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم ، ولا صلاة بعد الصبح والعصر ،  
ولا يصام يوم الاضحى ويوم الفطر . ثم قال : يا معشر قريش إن الله قد اذهب  
عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ؛ والناس من آدم وآدم من تراب . ثم  
تلا هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ  
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ  
خَبِيرٌ ﴾ ثم شرع الناس يبايعون رسول الله ﷺ على الإسلام ، ومن  
أسلم في هذا اليوم معاوية بن أبي سفيان وأبو قحافة والد الصديق ، وقد فرح  
الرسول كثيراً بإسلامه وجاء رجل يرتعد خوفا فقال له عليه السلام : ( هوّن  
عليك فاني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل  
القديد ) .

أما الذين أهدر رسول الله دمهم فقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت فمنهم  
من حقت عليه كلمة العذاب فقتل ، ومنهم من أدركته عناية الله فأسلم ، فعبد الله  
ابن سعد بن أبي سرح لجأ إلى أخيه من الرضاع عثمان بن عفان وطلب منه أن يستأمن  
له رسول الله ، فغيبه عثمان حتى هدا الناس ثم أتى به النبي وقال : يا رسول

الله قد أمنته فبايعه فأعرض عنه عليه السلام مرارا ثم بايعه ، فلما خرج عثمان  
وعبدالله قال عليه السلام أعرضت عنه ليقوم اليه احدكم فيضرب عنقه فقالوا :  
هلا اثرت الينا ؟ فقال : لا ينبغي لني ان تكون له خائنة الاعين . واما  
عكرمة بن ابي جهل فهرب فخرجت وراءه زوجته و بنت عمه أم حكيم بنت  
الحارث بن هشام وكانت قد اسلمت قبل الفتح وقد اخذت له أمانا من رسول  
الله فلاحقته وقد اراد ان يركب البحر فقالت : جئتك من عند ابر الناس  
وخيرهم لا تهلك نفسك وإني قد استأمنتك لك فرجع . ولما رآه عليه السلام  
وثب قائما فرحا به وقال مرحبا بمن جاءنا مهاجرا مسلما . ثم اسلم رضي الله  
عنه وطلب من رسول الله ان يستغفر له كل عداوة عاداه اياه فاستغفر له ،  
وكان رضي الله عنه بعد ذلك من خيرة المسلمين واغيرهم على الاسلام . واما  
هبار بن الاسود فهرب واختم حتى إذا كان رسول الله بالجمرة (١) جاءه  
مسلما وقال : يا رسول الله هربت منك واردت اللحاق بالاعاجم ثم ذكرت  
عائدتك وصلبتك وصفحك عمن جهل عليك ، وكنا يا رسول الله اهل شرك  
فهدانا الله بك واتقذنا من الهلكة فاصفح الصفح الجميل ، فقال عليه السلام :  
قد عفوت عنك . واما الحارث بن هشام وزهير بن ابي أمية الخزومي فأجارتها  
أم هانئ بنت أبي طالب فأجاز عليه السلام جوارها ، ولما قابل رسول الله  
الحارث بن هشام مسلما قال الحمد لله الذي هدانا لهذا ما كنا مثلك يجهل الاسلام  
وقد كان بعد ذلك من فضلاء الصحابة . وأما صفوان بن أمية فاختم وأراد أن  
يذهب ويلقي نفسه في البحر ، فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحي وقال : يا  
نبي الله إن صفوان سيد قومه وقد هرب ليقذف نفسه في البحر فأمنه فانك  
قد أمنت الاحمر والاسود ، فقال عليه السلام : أدرك ابن عمك فهو آمن .  
فقال : اعطني علامة فأعطاه عمامة فأخذ عمير حتى اذ لقي صفوان قال له فداك

(١) موضع بين مكة والطائف وبعضهم يضبطه بسكون العين وفتح الراء مخففة .

ن رأيتي وامي جئتك من عند افضل الناس وأبره الناس وأحلم الناس وخير الناس ،  
 : واهلوية ابنت عمك وعزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك ، قال صفوان :  
 له لاني أخافه على نفسي ، قال هو أحلم من ذلك واكرم ، وأراه العمامة علامة  
 الامان فرجع الى رسول الله وقال له : إن هذا يزعم أنك امتي ، قال :  
 صادق قال : امهني بالخيار شهرين ، قال أربعة اشهر ، ثم أسلم رضي الله عنه  
 وحسن إسلامه . واما هند بنت عتبة فاخفت ثم أسلمت وجاءت الى رسول  
 الله فرحب بها وقالت له والله يا رسول الله ما كان على ظهر الارض أهل خباء  
 أحب اليّ أن يزوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم أهل خباء أحب الي ان  
 يعزوا من أهل خبائك .

دها معفتسك

لهاع . هكك

ههلبج (١) هه

### وفود كعب بن زهير

تـ واما كعب بن زهير فلما ضاقت به الارض ولم يجد له مجيرا جاء المدينة  
 فبشله ان قدمها رسول الله من مكة فأسلم وانشد قصيدته التي  
 يقولها فيها :

وقال كل صديق كنت آمله \* لا أهينك اني عنك مشغول  
 فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم \* فكل ما قدر الرحمن مفعول  
 نأكل ابن أنتي وان طالت سلامته \* يوما على آلة حدياء محمول  
 لي : والله انبت ان رسول الله أوعدني \* والعفو عند رسول الله مأمول  
 ثلثة ههلا ههك الذي أعطاك نافلة ال \* قرآن فيها مواعيط وتفضيل  
 . زهه آهه وقال فيها مادحا :

هاله ما راة

ان الرسول لسيف يستضاء به \* مهند من سيوف الله مسلول  
 ولما قال هذا البيت خلع عليه الرسول برده . واما وحشي قاتل حمزة

فكذلك أسلم وحسن إسلامه وقبله عليه الصلاة والسلام . وقد جاءه ابنا أبي  
لهب عتبة ومعتب فأسلما وفرح بهما عليه السلام.

وكان من الذين اختفوا مسيلاً بن عمرو ، فاستأمن له ابنه عبدالله فأمنه  
عليه السلام وقال : إن سيلاً له عقل وشرف ، وما مثل مسيل <sup>مسيلاً</sup> <sup>مسيلاً</sup> <sup>مسيلاً</sup>  
الاسلام ، فلما بلغت هذه المقالة سيلاً قال : كان والله برّاً صغيراً <sup>مسيلاً</sup> <sup>مسيلاً</sup> <sup>مسيلاً</sup>  
كبيراً . ثم أسلم بعد ذلك .

### بيعة (١) النساء

هذا ، ولما تمت بيعة الرجال بايعه النساء وكن يبايعن على ألا يشركن  
بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان <sup>لغيره</sup> <sup>لغيره</sup> <sup>لغيره</sup>  
بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصين الرسول في معروف ؛ ثم أمر عليه السلام  
بلا لا بأن يؤذن على ظهر الكعبة ، وهذا بدء ظهور الاسلام على ظهر البيت  
الكريم فلا عجب أن اتخذ المسلمون هذا اليوم عيداً يحمدون فيه الله حق  
حمده على هذه النعمة الكبرى والنصر العظيم.

وأقام عليه السلام بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوماً يقصر فيها الصلاة <sup>فيها</sup> <sup>فيها</sup> <sup>فيها</sup>  
وولى عليها عتاب بن أسيد . وجعل رزقه كل يوم درهما . فكان عتاب <sup>مسيلاً</sup> <sup>مسيلاً</sup> <sup>مسيلاً</sup>  
الله عنه بقوله : لا أشبع الله بطنا جاع على درهم كل يوم .

عاب (١)

عاب

(١) راجع أيام العرب في الجاهلية والاسلام ٢ - ١٠٣

قال : ولا تعصيني في معروف قالت ما أجلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك (٦)

في معروف فقال رسول الله : بايعهن واستغفر لهن فبايعهن عمر . قال (٦)

### هدم العزى (١)

وفي الخامس من مقامه عليه السلام بمكة أرسل خالد بن الوليد في ثلاثين فارساً لهدم هيكل العزى وهي أكبر صنم لقريش وكان هيكلها بطن نخلة فتوجه إليها خالد وهدمها.

### هدم سواع (٢)

وأرسل عليه السلام عمرو بن العاص لهدم سواع وهو أعظم صنم لمذيل ، وهيكله على ثلاثة أميال من مكة فذهب إليه وهدمه .

### هدم مناة (٣)

وبعث سعد بن زيد الأشهلي في عشرين فارساً لهدم مناة وهي صنم لكاب وخزاعة وهيكلها بالشلل وهو جبل على ساحل البحر يهبط منها إلى قديد فتوجهوا إليها وهدموها .

---

(١) ضم العين وفتح الزاي قال اليعقوبي اشتقوها من اسم الله العزيز وقال الضحاك وهو صنم وضعه سعد بن ظالم المواهب ٢-٣٤٨

(٢) بضم السين وفتح الواو في شهر رمضان سنة ٨ المواهب ٢-٣٤٩

(٣) قال تعالى : افريتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى سورة النجم آية ٢٠

## (١) غزوة حنين

بهذا الفتح العظيم وسقوط دولة الأوثان دانت للإسلام جموع العرب ودخلوا فيه أفواجا ، أما قبيلتا هوازن وثقيف فأدركتها حمية الجاهلية واجتمع الأشراف منها للشورى وقالوا : قد فرغ محمد من قتال قومه ولا ناهية له عنا فلنغزوه قبل أن يغزونا فاجمعوا أمرهم على ذلك وولوا رياستهم مالك بن عوف النضري فاجتمع له من القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر الذين كانت رسول الله مستر ضعافهم وكان في القوم دريد بن الصمة المشهور بأصالة الرأي وشدّة البأس في الحرب ، ولتقدم سنه لم يكن له في هذه الحرب إلا الرأي. ثم إن مالك بن عوف أمر الناس أن يأخذوا معهم نساءهم وذرايرهم وأموالهم فلما علم بذلك دريد سأل مالكا عن السبب فقال : سقت مع الناس أموالهم وذرايرهم ونساءهم لأجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنه ، فقال دريد : وهل يردّ المنهزم شيء ؛ إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك ، فلم يقبل مالك مشورته وجعل النساء صفوفا وراء المقاتلة ووراءهم الإبل تم البقر ثم الغنم كيلا يفر أحد من المقاتلين . أما رسول الله ﷺ فإنه لما بلغه أن هوازن وثقيف يستعدون لحربه أجمع رأيه على المسير اليهم وخرج معه اثنا عشر ألف غاز منهم

(١) كانت في سنة ثمان بعد الفتح سيرة ٢-٤٠٢

قال ابن هشام : وانزل الله عز وجل في يوم حنين : لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ اعجبناكم كثيرتمكم الى قوله تعالى : وذلك جزاء الكافرين .  
تهذيب السيرة : ٢-٤١٥

الفأق من أهل مكة والباقون هم الذين أتوا معه من المدينة ، وخرج أهل مكة  
 ركباناً ومشاة حتى النساء يمشين من غير ضعف يرجون الغنائم ، وخرج في  
 الجيش ثمانون من المشركين ، منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو ولما  
 قرب الجيش من معسكر العدو صف عليه السلام الغزاة وعقد الألوية ، فأعطى  
 لواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب ، ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ، ولواء  
 الأوس لاسيد بن حضير ، وكذلك أعطى ألوية لقبائل العرب الأخرى . ثم  
 ركب عليه السلام بغلته ولبس درعين والبيضة والمغفر . هذا ، وقد أعجب  
 المسلمون بكثرتهم فلم تغن عنهم شيئاً فان مقدمة المسلمين توجهت جهة العدو  
 فخرج لهم كمين كان مستتراً في شعاب الوادي ومضايقه وقابلهم بنبل كأنه الجراد المنتشر  
 فلووا أعنة خيلهم متقهقرين ، ولما وصلوا إلى من قبلهم تبعوهم في الهزيمة لما لحقهم  
 من الدهشة . أما رسول الله ﷺ فثبت على بغلته في ميدان القتال وثبت  
 معه قليل من المهاجرين والانصار منهم ابو بكر وعمر وعلي والعباس وابنه الفضل ،  
 وأبو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعة بن الحارث ، ومعتب بن أبي لهب . وكان  
 عليه السلام ينادي : إلي أيها الناس ولا يلوى عليه أحد وضاعت بالمنزومين  
 الأرض بما رحبت . أما رجال مكة الذين هم حديثو عهد بالاسلام والذين لم  
 ينزعوا عنهم ربة الشرك فمنهم من فرح ومنهم من ساءه هذا الادبار . فقال  
 أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وقال أخ لصفوان بن  
 أمية : الآن بطل السحر ، فقال له صفوان وهو على شركه : اسكت فض الله  
 فاك ، والله لان يرثي رجل من قريش خير من أن يرثي رجل من هوازن .  
 ومر عليه رجل من قريش وهو يقول : أبشر بهزيمة محمد واصحابه ، فوالله لا  
 يجبرونها أبداً ، فغضب صفوان وقال : ويلك أتبشرني بظهور الاعراب ؟ وقال  
 عكرمة بن أبي جهل لذلك الرجل : كونهم لا يجبرونها أبداً ليس بيدك ، الامر بيد  
 الله ليس الى محمد منه شيء إن أديل عليه اليوم فان العاقبة له غداً . فقال سهيل  
 ابن عمرو والله إن عهدك بخلافه لحديث ، فقال له : يا أبا يزيد إنا كنا على غير



شيء وعقولنا ذاهبة نعبد حجراً لا يضر ولا ينفع . وبلغت هزيمة بعض الفارين مكة ، كل هذا ورسول الله واقف مكانه يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب (١)

ثم قال للعباس وكان جهوري الصوت : نادِ بالأنصار يا عباس فنادى يا معشر الأنصار يا أصحاب بيعة الرضوان فأسمع من في الوادي وصار الأنصار يقولون : لبيك لبيك ، ويريد كل واحد منهم أن يلوي عنان بعيره فيمنعه من ذلك كثرة الأعراب المنهزمين ، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه وينزل عن بعيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى اجتمع حول رسول الله جمع عظيم منهم وأنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم يروها فكروا المسلمون على عدوهم يداً واحدة فانتكت قتل المشركين وتفرقوا في كل وجه لا يلوون على شيء من الأموال والنساء والذراري وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، فأخذوا النساء والذراري وأسروا كثيراً من المحاربين ، وهرب من هرب . وجرح في هذا اليوم خالد بن الوليد جراحات بالغة ، وأسلم ناس كثيرون من مشركي مكة لما رأوه من عناية الله بالمسلمين .

هذا ، والذي حصل في هذه الغزوة درس مهم من دروس الحرب فإن هذا الجيش دخله أخلاط كثيرون من مشركي وأعراب وحدثني عهد بالاسلام ، وهؤلاء سيان عندهم نصر الاسلام وخذلانه ، ولذلك بادروا لأول صدمة الى الهزيمة وكادت تتم الكلمة على المسلمين لولا فضل الله ، فلا ينبغي أن يكون في

(١) انظر الحديث بطوله رواه الشيخان والترمذي تيسير الوصول ٣ - ٢٠٩ وصحيح

مسلم ٥ - ١٦٦ . وراجع المواهب اللدنية شرح الزرقاني عند قوله : انا النبي لا كذب .

والاقوال بأنه شعر او رجز والخلاف في ذلك طويل . ٣ - ٢٠ .

اما لفظ : حنين بالتصغير كما ذكر المول في التنزيل ٣ - ٥ المواهب .

الجيش إلا من يقاتل خالصاً مخلصاً من قلبه ليكون مدافعاً حقاً عن دينه ،  
فلا تميل نفسه الى الفرار خشية ما أعده الله للفرارين من ألم العقاب .

ثم أمر عليه السلام بجمع السبي والغنائم ، وكانت نحو أربعة وعشرين  
ألف بعير وأكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة فجمع  
ذلك كله بالجرانة . أما المشركون فتفرقوا ثلاث فرق : فرقة لحقت بالطائف  
وفرقة لحقت بنخلة ، وفرقة عسكرت بأوطاس (١) .

### سيرته

فأرسل عليه السلام لهذه الفرقة أبا عامر الأشعري في جماعة منهم أبو  
موسى الأشعري ، فسار اليهم وبددّهم وظفر بما بقي من الغنائم ؛ وقد استشهد  
أبو عامر في هذه الغزوة وخلف على الغزوة ابن أخيه أبا موسى فرجع ظافراً  
منصوراً .

### غزوة الطائف (٢)

وسار عليه السلام بمن معه الى الطائف ليجهز على بقية حياة ثقيف ومن  
تجمع معهم من هوازن ؛ وجعل على مقدمته خالد بن الوليد . ومرّ عليه السلام  
بحصن لعوف بن مالك النضري فأمر بهدمه . ومرّ بيستان لرجل من ثقيف قد

---

(١) واد بديار هوازن .

(٢) وكانت تلك الغزوة في سنة ثمان . تهذيب السيرة ٢ - ٤١٦ وصحيح مسلم ٥ - ١٦٩ .  
والطائف ، بلد كبير على ثلاث مراحل او اثنين من مكة من جهة الشرق . المواهب ٣ - ٢٨

تمنّع فيه فأرسل إليه أن اخرجَ وإلا حرقنا عليك بستانك ؛ فامتنع الرجل  
فأمر عليه السلام بحرقه . ولما وصل المسلمون الى الطائف وجدوا الأعداء قد  
تحصنوا به وأدخلوا معهم قوت سنتهم فمسكر المسلمون قرب الحصن فرماهم  
المشركون بالنبل رمية شديداً حتى أصيب منهم كثيرون بجراحات منهم عبدالله بن  
أبي بكر وقد طاوله جرحه حتى أماته في خلافة أبيه ؛ ومنهم أبو سفيان بن  
حرب فقمت عينه . وقد مات بالجراحات اثنا عشر رجلاً من المسلمين ولما رأى  
رسول الله أن العدو متمكن من رميمهم ارتفع الى محل مسجد الطائف الآن  
وضرب لأم سلمة وزينب قبتين هناك واستمرّ الحصار ثمانية عشر يوماً كان فيها  
ينادي خالد بن الوليد بالبراز فلم يجبه أحد ، وناداه عبد ياليل عظيم ثقيف لا  
ينزل اليك منا أحد ولكن تقيم في حصننا فإنّ فيه من الطعام ما يكفيننا سنين  
فان أقت حتى يفنى هذا الطعام خرجنا اليك بأسيافنا جميعاً حتى نموت عن  
آخرنا ، فأمر عليه السلام بأن ينصب عليهم المنجنيق فنصب ودخل جمع من  
الاصحاب تحت دبابتين (١) لينقبوا الحصن ؛ فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد  
سحاة بالنار حتى أرجعهم . فأمر عليه السلام أن تقطع أعنابهم ونخيلهم فقطع  
المسلمون فيها قطعاً ذريعاً ، فناداه أهل الحصن إن دعها لله وللرحم فقال :  
أدعها لله وللرحم : ثم أمر من ينادي بأن كل من ترك الحصن ونزل فهو آمن  
فخرج اليه بضعة عشر رجلاً . ولما رأى عليه السلام أن تمنّع ثقيف شديد  
وأنّ الفتح لم يؤذن فيه استشار نوفل بن معاوية الديلي في الذهاب او المقام ،  
فقال : يا رسول الله ثعلب في حجر إن أقت أخذته وإن تركته لم يضرّك ،  
فأمر عليه السلام بالرحيل وطلب منه بعض الصحابة أن يدعو على ثقيف فقال :  
اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم مسلمين .

(١) الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبون وهم في جوفها .

## تقسيم السبي

ثم رجع عليه السلام الى الجعرانة حيث ترك السبي فأحصاه وخمسه وأعطى منه شيئاً كثيراً لأناس ضعف إسلامهم يتألفهم بذلك ، وأعطى أناساً لم يسلموا ليجب اليهم الاسلام ، ومن الأولين أبو سفيان أعطاه اربعين أوقية من الذهب ومائة من الابل ، وكذلك ابناه معاوية ويزيد فقاك له : بأبي أنت وأمي : لأنت كريم في السلم والحرب . ومنهم حكيم بن حزام أعطاه كأبي سفيان فاستزاده فأعطاه ثم استزاده فأعطاه مثلها ، وقال : يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك فيه ومن أخذه بأشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى . فأخذ حكيم المائة الأولى وترك ما عداها . ثم قال والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ، فكان الخلفاء بعد رسول الله يعرضون عليه العطاء الذي يستحقه من بيت المال فلا يأخذه . وأعطى عليه السلام عيينة بن حصن مائة من الابل ، وكذلك الأقرع بن حابس والعباس بن مرداس . وأعطى صفوان بن أمية شعباً مملوءاً نعماً وشاء كان رآه يرمقه فقال له : هل يعجبك هذا ؟ فقال نعم ، قال هو لك . فقال صفوان : ما طابت بمنزل هذا نفس أحد ؛ وكان سبب إسلامه . وكان عليه السلام يقصد من هذه العطايا تأليف القلوب وجمعها على الدين القويم . وهذا ضرب من ضروب السياسة الدينية حتى جعل الصدقات قسم للمؤلفة قلوبهم . وقد عاد ذلك بفائدة عظيمة فان كثيرين ممن أعطوا في هذا اليوم ولم يكونوا أشربوا في قلوبهم حب الاسلام صاروا بعد من أجلاء المسلمين وأعظمهم نعماً كصفوان بن أمية ومعاوية بن أبي سفيان والحارث بن هشام وغيرهم . ثم أمر عليه السلام زيد بن ثابت فأحصى ما بقي من الغنائم وقسمه على الغزاة بعد ان اجتمع اليه الأعراب وصاروا يقولون له :

اقسم علينا حتى الجأوه الى شجرة فتعلق رداؤه ، فقال : ردّوا رداي أيتها  
الناس ، فوالله إن كان لي شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما ألقيتموني  
بخيلا ولا جبانا ولا كدودا . ثم قام الى بعيره واخذ ويرة من سنامه وقال :  
ايها الناس والله ما لي من غنيمتكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس . (١) والخمس  
مردود عليكم ، فأدّوا الخياط والخيط فان الغلول (٢) يكون على اهله عاراً  
وشناراً ونارا يوم القيامة . فصار كل من اخذ شيئاً من الغنائم خلسة يرده ولو  
كان زهيداً . ثم شرع يقسم فأصاب الرجل اربعة من الابل واربعون شاة  
والفارس ثلاثة امثال ذلك ، فقال رجل من المنافقين : هذه قسمة ما أريد  
بها وجه الله فغضب عليه السلام حتى احمر وجهه وقال : ويحك من يعدل إذا  
لم أعدل؟! فلم يؤده غضبه ان ينتقم لنفسه حاشاه عليه السلام من ذلك بل لم  
زد على أن نصح حذر وقال له عمر وخالد بن الوليد : دعنا يا رسول الله  
نضرب عنقه ، فقال لا لعله ان يكون يصلي فقال ، خالد : وكم من مصل  
يقول بلسانه ما ليس في قلبه ! فقال صلى الله عليه وسلم : إني لم أومر أن اتقب عن قلوب  
الناس ولا اشق عن بطونهم . ولما اعطى رسول الله ما أعطى من تلك  
العطايا لقريش وقبائل العرب وترك الانصار غضب بعضهم حتى قالوا : إن هذا  
لهو العجب يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تفطر من دمائهم!! فبلغه ذلك  
فأمر بجمعهم وليس معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قال : يا معشر الانصار ما مقالة  
بلغتني عنكم؟ (٣) ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي : وعالة (٤) فأغناكم الله

(١) روى احمد وابن ماجه والحاكم بسند صحيح عن عبادة وابن اسحاق عن ابن عمر

المواهب الدينية ٣-٣٥

(٢) الاختلاس من الغنيمة

(٣) وفي حديث عن انس رواه الشيخان المواهب الدينية ٣-٣٩

(٤) جمع عائل وهو الفقير

بي ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم بي ؟ إنَّ قريشاً حديثو عهد بكفر ومصيبة؟  
 وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم ، أغضبتهم يا معشر الانصار في أنفسكم لشيء قليل من  
 الدنيا ألفت به قوما ليسلموا ، ووكلتكم الى اسلامكم الثابت الذي لا يزلزل ؟  
 ألا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول  
 الله الى رحلكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأاً من الانصار  
 ولو سلك الناس شعبا وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم  
 الانصار وأبناء الانصار . فبكى القوم حتى اخضلت لحامهم وقالوا : رضينا برسول  
 الله قسما حظاً ، ثم انصرف عليه السلام وتفرقوا

### وفود هوازن

وبعد بضع عشرة ليلة جاءه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن يرأسهم زهير بن سرد  
 وقالوا : يا رسول الله ان فيمن أصبتم الامهات والعمات والخالات وهن  
 مخازي الاقوام ونزغب الى الله واليك يا رسول الله . وقال زهير . ان في  
 الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، ثم قال آياتنا  
 يستعطفه بها :

امنن علينا رسول الله في كرم ★ فانك المرء نرجوه وننتظر  
 امنن على نسوة قد كنت ترضعها ★ اذ فوك مملوءة من مخصها الدرر  
 انا لنشكرُ للنعماء ان كفرت ★ وعندنا بعد هذا اليوم مدخر  
 انا نؤمل عفواً منك نلبسه ★ هدى البرية أن تعفو وتتصر  
 فألبس العفو من قد كنت ترضعه ★ من أمهاتك ، ان العفو مشتهرُ

(١) فقال ﷺ : ان أحب الحديث إليّ أصدقه ، فأختاروا إحدى الطائفتين إما السي وإما المال . وقد كنت انتظركم حتى ظننت أنكم لا تقدمون فقالوا : ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً اردد علينا نساءنا وابناءنا فهو أحب إلينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير ، فقال ﷺ : أما مالي ولبي عبدالمطلب فهو لكم ، فاذا أنا صليت الظهر فقوموا وقولوا : نحن نستشفع برسول الله الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله بعد أن تظهروا اسلامكم وتقولوا نحن اخوانكم في الدين . ففعلوا . فقال ﷺ لاصحابه : ( أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاءوا تائبين وإني قد رأيت أن أرد عليهم سببهم ، فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه اياه من اول ما يفىء الله علينا فليفعل ، فقال المهاجرون والانصار : ما كان لنا فهو لرسول الله وامتنع من ذلك جماعة من الاعراب كالاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس فأخذه الرسول منهم قرضاً وأمر ﷺ بأن تجبس عائلة مالك بن عوف النضري رئيس تلك الحرب بمكة عند عمته أم عبدالله ابن أمية . فقال له الوفد : أولئك سادتنا ، فقال ﷺ : انما أريد بهم الخير . ثم سأل عن مالك فقالوا هرب مع ثقيف فقال أخبروه انه ان جاءني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل ، فلما بلغ ذلك مالكا نزل من الحصن خفية حتى أتى رسول الله بالجعرانة فأسلم وأحرز ماله ، واستعمله عليه السلام على من اسلم من هوازن . (٢)

(١) رواه البخارى وغيره من طريق الزهري عن عروة المواهب اللدنية ٤-٣

(٢) رواه الامام احمد في مسنده عن عروة بن الزبير ٤-٣٢٦

## عمرة الجمرات (١)

ثم ان الرسول ﷺ اعتمر فأحرم من الجمرات ودخل مكة بليد فطاف واستلم الحجر ثم رجع من ليلته ، وكانت اقامته بالجمرات ثلاث عشرة ليلة . ثم أمر عليه السلام بالرحيل فشار الجيش آمناً مطمئناً حتى دخل المدينة ثلاث بقين من ذي القعدة

وغزوة حنين هي التي فرق الله بها جموع الشرك وأدال دولته وأفقد سراته أهله فان هوازن لم تترك وراءها رجلاً تمكنه الحرب الا ساقته ولم تترك لها بغيراً ولا شاة الا جاءت به معها فأراد الله اعزاز الاسلام بخذلان أعدائه واخذ اموالهم فانكسرت حدة المشركين ولم يبق فيهم من يمانع او يدافع ولذلك يمكننا ان نقول ان انكسار هوازن كان خاتمة لحروب العرب ، فلم يبق فيهم الا فئات قليلة يسوقهم الطيش الى شهر السلاح ، ثم لا يلبثون ان يغمدوا السيوف حينما تظهر لهم قوة الحق الساطعة

## سيرة

ولما رجع عليه السلام الى المدينة ارسل قيس بن سعد في اربعمائة ليدعو صداء ( قبيلة تسكن اليمن ) الى الاسلام فجاء الى رسول الله رجل منهم فقال: يا رسول الله اني جئتك وافداً عن ورائي فاردد الجيش وانالك بقومي فأمر عليه السلام برد الجيش

(١) وذلك كانت في سنة ثمان ٢-٣١٤ تهذيب السيرة



## (١) وفود صداء

وخرج الرجل الى قومه فقدم بخمسة عشر رجلاً منهم فنزلوا ضيوفاً على سعد بن عباد ، ثم بايعوا رسول الله على الاسلام وقالوا نحن لك على من وراءنا من قومنا . ولما رجعوا فشا فيهم الاسلام وقدم على رسول الله منهم مائة في حجة الوداع .

## سريته

ثم أرسل عليه السلام بشر بن سفيان العدوي الى بني كعب من خزاعة لأخذ صدقات أموالهم فمنعهم بنو تميم المجاورون لهم من أداء ما فرض عليهم ، فلما علم بذلك رسول الله أرسل اليهم عينة بن حصن في خمسين فارساً من الأعراب فجاءهم وحاربهم واخذ منهم احد عشر رجلاً وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبياً وتوجه بالكل الى المدينة فأمر عليه السلام يجعلهم في دار رملة بنت الحارث .

## وفود تميم

جاء في أثرهم وفد تميم وفيه عطار بن حاجب ، والزبيرقان بن بدر ، وعمرو ابن الاهتم جلسوا ينتظرون الرسول فلما ابطأ عليهم نادوا من وراء الحجرات

---

(١) صداء بضم الصاد والذال وهو حي من اليمن ، قاله البخاري والصدائي نسبة الى صحابي شهد فتح مصر المواهب اللدنية ٤-٦٠

بصوت جاف : يا محمد اخرج الينا نفاخرك قال مدحنا زين وإن ذمناشين ،  
 فخرج اليهم عليه السلام وقد تأذى من صياحهم وفيهم نزل في اوائل سورة  
 الحجرات ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ،  
 وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .  
 وكان الوقت وقت الظهر فأذن بلال ودخل النبي للصلاة فتعلقوا به يقولون  
 نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال لهم عليه  
 السلام : لا بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ) ثم صلى الظهر واجتمع حوله  
 رجال الوف يتفاخرون بمجدهم ومجد آبائهم . وقد مدح عمرو بن الأهتم  
 الزبيرقان بن بدر فقال انه لمطاع في ابديته سيد في عشيرته ، فقال الزبيرقان :  
 حسدني يا رسول الله لشرفي وقد علم أفضل مما قال . فقال عمرو : إنه لزمان  
 المروءة ضيق العطن لئيم الخال فرئى الغضب في وجه رسول الله لاختلاف  
 قولي عمرو فقال : يا رسول الله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الثانية .  
 رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أسوأ ما علمت . فقال عليه  
 السلام ( ان من البيان لسحرا ) . ثم أسلم القوم فرد النبي عليه السلام  
 عليهم أسرهم وأحسن جائرتهم ، واقاموا مدة يتعلمون فيها القرآن ويتفقهون في  
 الدين .

### سرية

ثم بعث عليه السلام الوليد بن عقبة بن أبي معيط لأخذ صدقات بني  
 المصطلق ، فلما علموا بقدمه خرج منهم عشرون رجلا متقلدين سلاحهم احتفالا  
 بقدمه ومعهم إبل الصدقة ، فلما نظرهم ظنهم يريدون حربه لما كان بينه وبينهم

من العداوة في الجاهلية ، فرجع مسرعاً إلى المدينة وأخبر الرسول أن القوم ارتدوا ومنعوا الزكاة فأرسل لهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر ، فسار اليهم في عسكره خفية حتى اذا كان يناديهم سمع مؤذنين يؤذن بالصبح ، فأتاهم خالد فلم يرَ منهم إلا طاعة ، فرجع وأخبر الرسول فأرسل عليه السلام لهم غير الوليد لأخذ الصدقات وفي الوليد نزل في اوائل الحجرات ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾

### سرية

ثم بلغ رسول الله أن جمعاً من الحبشة رأه أهل جدة في مراكبهم يريدون الاغارة عليها فأرسل لهم علقمة بن مجزر في ثلاثمائة ، فذهب حتى وصل جدة ونزل في المراكب ليديركهم ، وكان الأحباش متحصنين في جزيرة هناك ، فلما رأوا المسلمين يريدونهم هربوا ولم يلق المسلمون كيداً فرجع علقمة بمن معه . ولما كان بالطريق أذن لسرعان القوم أن يتعجلوا وأمر عليهم عبد الله بن حذافة السهمي ، وكان فيه دعاة فأوقد لهم في الطريق ناراً وقال لهم . أستم مأمورين بطاعي ؟ قالوا : نعم قال : عزمت عليكم الا ماتوا ثبتم في هذه النار ؛ فقال بعضهم : ما اسلنا الا فراراً من النار !! وهم بذلك بعضهم فمنعهم عبد الله . وقال : كنت مازحاً ! فلما ذكروا ذلك لرسول الله قال (١) : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

(١) الحديث يطوله عن علي بن أبي طالب أخرجه الخمسة الا الترمذي . تيسير الوصول ٣-٢١١

## السته التامعة

### سرية

في ربيع الاول أرسل عليه السلام علي بن أبي طالب في خمسين فارساً  
لهدم الفلس ( صنم لطيء ) فسار اليه وهدمه وأحرقه . ولما حارب عباده  
هزمهم واستاق نعمهم وشاءهم وسبيهم وكان فيه سفانة بنت حاتم طيء .  
ولما رجع علي إلى المدينة طلبت سفانة من رسول الله ان يمن عليها فأجابها  
لأنه كان من سنته أن يكرم الكرام فدعت له ، وكان من دعائها :  
شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر . وأصاب الله  
بمعروفك مواضعه ، ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعممة كريم إلا  
وجعلك سبباً لردها عليه ، وكانت هذه المعاملة من رسول الله سبباً في اسلام  
أخيها عدي بن حاتم الطائي الذي كان فرّ الى الشام عندما رأى الرايات  
الاسلامية قاصدة بلاده ، وكان من حديث مجيئه أن أخته توجهت اليه بالشام  
وأخبرته بما عوملت به من الكرم فقال لها : ما ترين في أمر هذا الرجل ؟  
فقلت : أرى ان تلحق به سريعاً فان يكن نبياً فللسابق اليه فضل ، وأن  
يكن ملكاً فانت أنت . قال : والله هذا هو الرأي .

### وفود عدي بن حاتم

نخرج حتى جاء المدينة ولقي رسول الله فقال عليه السلام : من الرجل  
قال عدي بن حاتم ، فأخذه إلى بيته وبينما هما يمسيان اذ لقيت رسول الله امرأة

عجوز فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها ، فقال عدي والله ما هو بملك . ثم مضى رسول الله حتى اذا دخل بيته تناول وسادة من جلد محشوة ليفاً فقدمها الى عدي وقال اجلس على هذه ، فقال بل انت تجلس عليها ، فامتنع عليه السلام وأعطاهما له وجلس هو على الارض . ثم قال يا عدي : أسلم تسلم ، قالها ثلاثا ، فقال عدي على إني على دين — وكان نصرانياً — فقال له عليه السلام : انا أعلم بدينك منك ، فقال عدي : أنت اعلم بديني مني ؟ قال نعم . ثم عدد له اشياء كان يفعلها اتباعا لقواعد العرب وليست من دين المسيح في شيء كأخذه المربع وهو ربع الغنائم . ثم قال يا عدي : إنما يمنعك من الدخول في الدين ما ترى ، تقول إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قدرة لهم وقد رمتهم العرب مع حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه . ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم : أتعرف الحيرة ؟ قال لم أرها وقد سمعت بها ، قال : فوالله ليتمن هذا الأمر حتى تخرج المرأة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد ، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان في غيرهم ، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم . فأسلم عدي رضي الله عنه وعاش حتى رأى كل ذلك .

### (١) غزوة تبوك

بلغ رسول الله ﷺ أن الروم جمعت الجوع تريد غزوه في بلاده ، وكان ذلك في زمن عسرة الناس وجذب البلاد وشدة الحر حين طابت الثمار والناس

(١) ولقد كانت تلك الغزوة في رجب سنة تسع تهذيب السيرة ٢-٤١٤

يحيون المقام في ثمارهم وظلالهم ، فأمر عليه السلام بالتجهز وكان قلما يخرج في غزوة إلا ورسي بغيرها ليعمى الاخبار على العدو إلا في هذه الغزوة فإنه أخبر بعد الشقة ولشدة العدو ليأخذ الناس عدتهم لذلك ، وبعث الى مكة وقبائل الأعراب يستنفرهم لذلك وحثّ الموسرين على تجهيز المعسرين فأنفق عثمان بن عفان عشرة آلاف دينار وأعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرساً ، فقال صلى الله عليه وسلم : اللهم أرض عن عثمان فاني راض عنه . وجاد أبو بكر بكل ماله وهو اربعة آلاف درهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : هل أبقيت لأهلك شيئاً ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله ، وجاد عمر بن الخطاب بنصف ماله ، وجاد عبدالرحمن بن عوف بمائة أوقية ، وجاد العباس وطلحة بمال كثير . وتصدق عاصم بن عدي بسبعين وسقاً من تمر ، وأرسلت النساء بكل ما يقدرن عليه من حلين وجاءه صلى الله عليه وسلم سبعة أنفس من فقراء الصحابة يطلبون اليه أن يحملهم . فقال : لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون . فجهز عثمان ثلاثة منهم ، وجهد العباس اثنين ، وجهد يمين بن عمرو اثنين . ولما اجتمع الرجال خرج بهم رسول الله وهم ثلاثون ألفاً وولى على المدينة محمد بن مسleme وعلى أهله علي بن أبي طالب وتخلف كثير من المنافقين يرأسهم عبدالله بن أبي وقيل : يغزو محمد بن الأصفر مع جهد الحمال والحر والبلد البعيد !! أحسب محمد أن قتال بني الأصفر معه اللعب ؟ والله لكأني أنظر الى أصحابه مقرنين في الجبال . واجتمع جماعة منهم وقالوا في حق رسول الله وأصحابه ما يريدون من الارجاف فبلغه ذلك فأرسل اليهم عمار بن ياسر يسألهم عما قالوا فقالوا إنما كنا نخوض ونلعب . وجاء اليه جماعة ، منهم الجد ابن قيس ، يعتذرون عن الخروج فقالوا يا رسول الله أئذن لنا ولا تفتنا لأننا لا نأمن من نساء بني الأصفر ، وجاء اليه المعتذرون من الأعراب - وهم

أصحاب الأعدار من ضعف أو قلة - ليؤذن لهم فأذن لهم . وكذلك استأذن كثير من المنافقين فأذن لهم ، وقد عتب الله عليه في ذلك الاذن بقوله في سورة براءة : ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ ثم قال في حقهم : ﴿ إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ﴾ ثم كذبهم الله في عذرهم فقال : ﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كرهه الله انبيعاتهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعد ﴾ ثم لكيلا يأسى المسلمون على قعود المنافقين عنهم قال جل ذكره : ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يغونكم الفتنه وفيكم سمعون لهم والله عليم بالظالمين ﴾ . وتخلف جماعة من المسلمين لا يهتمون في إسلامهم منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وأبو خيثمة . ولما خلف صلى الله عليه وسلم علياً قال المنافقون : قد استثقله فتركه ؛ فأمرع الى رسول الله وشكا له ما سمع ، فقال صلى الله عليه وسلم : ( أما ترى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ ) . ثم سار صلى الله عليه وسلم بالجيش وأعطى لواءه الاعظم أبا بكر الصديق ، وفي إعطاء اللواء لأبي بكر آخر غزوة للرسول وتخليف علي على أهل البيت حكمة لطيفة يفهمها القارئ . وفرق عليه السلام الرايات فأعطى الزبير راية المهاجرين ، وأسيّد بن حضير راية الأوس ، والجباب راية المنذر راية الخزرج . ولما مرّ الجيش بالحجر وهي ديار ثمود قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ( لا تدخلوا ديار الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ) ليشعر قلوبهم رهبة الله وكان مستعملاً على حرس الجيش عباد بن بشر ، وكان أبو بكر يصلي بالجيش ولما وصلوا الى تبوك ، وكانت أرضاً لا عمارة فيها ، قال الرسول لمعاذ بن جبل يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هنا مليء بساتين ، وقد كان .

ولما استراح الجيش لحقه أبو خيثمه وكان من خبر مجيئه أن دخل على أهله في يوم حر فوجد امرأتين له في عريشتين لهما في بستان قد رشت كل منها عريشتها وبردت فيها ماء وهيأت طعاماً وكان يوماً شديداً الحر ، فلما نظر ذلك قال : يكون رسول الله في الحر وأبو خيثمة في ظل بارد وماء مهياً وامرأة حسناء ! ما هذا بالنصف . ثم قال : والله لا أدخل عريشة واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ، فهياً لي زاداً . ففعلنا . ثم ركب بعيره وأخذ سيفه ورمحه وخرج يريد رسول الله فصادفه حين نزل بتبوك .

### وفود صاحب أيلة

هذا ، ولم ير صلى الله عليه وسلم بتبوك جيشاً كما كان قد سمع فأقام هناك أياماً جاء في أثناءها يوحنا صاحب أيلة وصحبته أهل جرباء (١) وأهل أذرح (٢) وأهل ميناء ، فصالح يوحنا رسول الله على إعطاء الجزية ولم يسلم . وكتب له الرسول كتاباً هذا صورته :

### كتاب صاحب أيلة

بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا وأهل أيلة : سفنهم وسياراتهم (٣) في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم

(١) قرية في جنوب الشام .

(٢) المدينة تلقاء السراة .

(٣) القافلة والقوم يسرون .



حدثاً فإنه لا يجوز ماله دون نفسه وإنه لطيبة لمن أخذه من الناس وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر .

### كتاب أهل أذرح وجرباء

وكتب لأهل أذرح وجرباء كتاباً صورته ( بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرح وجرباء إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة . والله كفيل بالنصح والاحسان للمسلمين ) وصالح أهل ميناء على ربع ثارها . ثم إن الرسول استشار أصحابه في مجاوزة تبوك الى ما هو أبعد منها من ديار الشام فقال له عمر : إن كنت أمرت بالسير فسر . فقال عليه السلام : لو كنت أمرت بالسير لم أستشر ، فقال : يا رسول الله إن لاروم جموعاً كثيرة وليس بالشام أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا في هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله أمراً ، فتبع عليه السلام مشورته وأمر بالقول فرجع الجيش الى المدينة .

### مسجد الضرار

ولما كان على مقربة منها بلغه خبر مسجد الضرار وهو مسجد أسسه جماعة من المنافقين معارضة لمسجد قباء ليفرقوا جماعة المسلمين وجاء جماعة منهم الى الرسول طالبين منه أن يصلي لهم فيه ، فسألهم عن سبب بنائه فحلفوا بالله إن أردنا إلا الحننى والله يشهد إنهم لكاذبون . فأمر عليه السلام جماعة من أصحابه لينطلقوا اليه ويهدموه ففعلوا ، هذا ولما استقر عليه السلام بالمدينة

جاءه جماعات من الذين تخلفوا يعتذرون كذبا فقبل منهم عليه السلام علانيتهم  
ووكل ضمائرهم الى الله واستغفر لهم .

### حديث الثلاثة الذين خلفوا

وجاءه كعب بن مالك الخزرجي ، ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية  
الأوسيان مقرين بذنوبهم . فلما دخل عليه كعب تبسم تبسم الغضب وقال :  
ما خلفك ؟ فقال : يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت  
أن سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أوتيت جدلا واكبي والله لقد علمت لئن  
حدثتك اليوم حديث كذب رضي به عني ليوشكن الله أن يسخط عليّ فيه ،  
ولئن حدثتك حديث صدق تغضب عليّ فيه ؛ إني لأرجو فيه عفو الله ، والله  
ما كان لي من عذر ، فقال عليه السلام : أما هذا فقد صدق فقم حتى  
يقضي الله فيك . وقال صاحبا مثل قوله فقال لهما عليه السلام كما قال لكعب  
ونهى المسلمين عن كلامهم فاجتنبهم الناس وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم . واستأذنت  
زوج هلال بن أمية في خدمة زوجها لأنه شيخ ضائع ليس له خادم فأذن  
لها ، ولم يزالوا كذلك حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم  
أنفُسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم فأرسل لهم عليه  
السلام من يشرهم بهذه النعمة الكبرى فتلقاهم الناس أفواجا أفواجا يهنئونهم  
بتوبة الله . فلما دخل كعب المسجد تلقاه رسول الله مسرورا فقال أبشر يا  
كعب بخير يوم يمرّ عليك منذ ولدتك أمك ؛ فقال : من عندك يا رسول  
الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله . فقال كعب : يا رسول الله  
إنّ توبتي أن أنخلع من مالي صدقة لله ورسوله ؛ فقال عليه السلام : أمسك

عليك بعض مالك فهو خير لك . ثم قرأ عليه السلام الآيات التي فيها ثوبته هو  
وصاحبه في سورة براءة ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ  
الْأَرْضُ مِمَّا رُحِبَتْ وَضَاقتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ  
تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

### (١) وفود ثقيف

وعقب مقدمه عليه السلام من تبوك وفد عليه وفد ثقيف ، وكان من  
خبرهم أنه لما انصرف رسول الله من محاصرتهم تبع اثره عروة بن مسعود  
الثقفي حتى أدركه قبل أن يصل المدينة فأسلم وسأله أن يرجع الى قومه  
ويدعوهم الى الاسلام فقال له إنهم قاتلوك فقال يا رسول الله أنا أحب اليهم من  
أبكارهم فخرج الى قومه يرجو منهم طاعته لمرتبته فيهم لأنه كان فيهم محبباً  
مطاعاً ، فلما جاء الطائف واظهر لهم ما جاء به رموه بالنبل فقتلوه وبعد شهر  
من مقتله ائتمروا فيما بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب  
فأجمعوا أمرهم على أن يرسلوا لرسول الله رجلاً منهم يكلمه وطلبوا من عبد  
يايل بن عمرو أن يكون ذلك الرجل فأبى وقال : لست فاعلاً حتى ترسلوا  
معي رجلاً فبعثوا معه خمسة من أشرفهم فخرجوا متوجهين الى المدينة : ولما  
قابلوا رسول الله ضرب لهم قبة في ناحية المسجد ليستمعوا القرآن ويروا  
الناس إذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله كل يوم ويخلفون في رحلهم  
أصغرهم سنا عثمان بن أبي العاص فكان اذا رجعوا ذهب للنبي واستقرأه القرآن

(١) كان في شهر رمضان سنة تسع تهذيب السيرة

وإذا رآه نائماً استقرأ أبا بكر حتى حفظ شيئاً كثيراً من القرآن وهو يكم  
ذلك عن أصحابه ثم أسلم القوم وطلبوا أن يعين لهم من يؤمهم فأمر عليهم  
عثمان بن أبي العاص لما رآه من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن  
وتعلم الدين . (١)

### كتاب اهل الطائف

ثم كتب كتاباً من جملته : ( بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي  
رسول الله الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد شجره ومن  
وجد يفعل شيئاً من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه ) ثم سألوا رسول الله أن  
يؤجل هدم صنمهم شهراً حتى يدخل الاسلام في قلوب القوم ولا يرتاع السفهاء  
من النساء من هدمه فرضي بذلك عليه السلام ولما خرجوا من عنده قال لهم  
رئيسهم : أنا أعلمكم بثقيف . اكنتموا عنهم اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال  
وأخبروهم أن محمداً طلب أموراً عظيمة أئبناها عليه ، سألتنا أن نهدم الطاغية  
وأن نترك الزنا وشرب الخمر والربا ، فلما حلوا بلادهم : جاءتهم ثقيف فقال  
الوفد : جئنا رجلاً فظاً غليظاً قد ظهر بالسيف ودان الناس له فعرض علينا  
أموراً شديدة ، وذكروا ما تقدم فقالوا والله لا نطيعه أبداً فقالوا لهم  
أصلحوا سلاحكم ورموا حصونكم واستعدوا للقتال فأجابوا واستمروا من ذلك  
يومين أو ثلاثة ، ثم ألقى الله الرعب في قلوبهم فقالوا : والله ما لنا بحربه  
من طاقة ارجعوا اليه وأعطوه ما سأل ، فقال الوفد : قد قاضيناه وأسلمنا ،  
فقالوا لم كنتم علينا ذلك ؟ قالوا حتى تذهب عنكم نخوة الشيطان فأسلموا

(١) انظر المواهب اللدنية ٤-٦

## هدم اللات

ولما بلغ رسول الله اسلام ثقيف أرسل أبا سفيان والمغيرة بن  
شعبة الثقفي لهدم اللات صنم ثقيف بالطائف فتوجهوا وهدموه حتى سوّوه  
بالأرض .

## صحج أبي بكر

وفي أخريات ذي القعدة أرسل عليه السلام أبا بكر ليحج بالناس فخرج  
ثلاثمائة رجل من المدينة ومعه الهدى عشرون بدنة أهداهما رسول الله ،  
وساق أبو بكر خمس بدنات . ولما سافر نزل على رسول الله أوائل سورة  
براءة فأرسل بها علياً ليلبغها الناس في يوم الحج الأكبر وقال : لا يبلغ  
عني إلا رجل مني ، فلاحق أبا بكر في الطريق فقال الصديق هل استعملك  
رسول الله على الحج ؟ قال لا ولكن بعثني اقرأ أو اتلو براءة على الناس . فلما  
اجتمعوا بمكة يوم النحر قرأ عليهم عليّ ثلاث عشرة آية من أول سورة براءة  
تتضمن نيل العهود لجميع المشركين الذين لم يوفوا عهودهم وامهالهم أربعة أشهر  
يسبحون فيها في الأرض كيف شاءوا وإتمام عهد المشركين الذين لم يظاهروا  
على المسلمين ولم يغدروا بهم إلى مدتهم . ثم نادى : لا يحج بعد العام مشرك  
ولا يطوف بالبيت عريان ، وكان عليّ يصلي في هذا السفر وراء أبي بكر  
رضي الله عنهما .

## وفاة ابن ابي

وفي ذي القعدة مات عبدالله بن ابي وقد صلى عليه رسول الله صلاة لم تطل مثلها وشيع جنازته حتى وقف على قبره ، وانما فعل ذلك تطبيياً لقلب ولده عبدالله بن عبدالله وتأليفاً لقلوب الخزرج لمكانة عبدالله بن ابي فيهم ، وقد نزع ربة النفاق كثير من المنافقين بعد هذا اليوم لما رأوه من اعمال السيد الكريم ﷺ . وقد نهى الله رسوله بعد ذلك عن الصلاة على المنافقين فقال جل شأنه في سورة براءة ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ ابْدَأَ وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾

## وفاة أم كلثوم

وفي هذه السنة توفيت ام كلثوم بنت رسول الله وزوج عثمان رضي الله عنهما .

## الستة العاشرة

### سرية

في ربيع الآخر أرسل عليه السلام خالد بن الوليد في جمع لبني عبس المدان بنجران من ارض اليمن وأمره أن يدعوهم الى الاسلام ثلاث مرات، فإن ابوا قاتلهم . فلما قدم اليهم بعث الركببان في كل وجه يدعون الى الاسلام ويقولون : أسلموا تسلموا ، فأسلموا ودخلوا في دين الله أفواجا ، فأقام خالد

بينهم يعلمهم الاسلام والقرآن وكتب الى رسول الله بذلك ، فأرسل اليه ان يقدم  
بوفدهم ففعل . وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم : بم كنتم تغلبون من قاتلكم  
في الجاهلية ؟ قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبدا احداً بظلم ، قال  
صدقتم . وامر عليهم زيد بن حصين .

### سرية

وفي رمضان ارسل عليه السلام علياً في جمع الى بني مذحج ( قبيلة  
يمانية ) وعممه بيده وقال : سر حتى تنزل بساحتهم فادعهم الى قول : لا اله  
الا الله ، فان قالوا نعم فمرهم بالصلاة ولا تبغ منهم غير ذلك ولأن يهدي الله  
بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس . ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك  
فلما انتهى اليهم لقي جموعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل  
فصف على اصحابه وامرهم بالقتال فقاتلوا حتى هزموا عدوهم فكف عن  
طلبهم قليلاً ثم لحقهم ودعاهم الى الاسلام فأجابوا وبايعه رؤسائهم وقالوا : نحن  
على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا نخذ منها حق الله ، ففعل . ثم رجع  
الى رسول الله فوافاه بمكة في حجة الوداع .

### بعث العمال الى اليمن

ثم بعث عليه السلام الى اليمن عمالا من قبله فبعث معاذ بن جبل على  
الكورة العليا من جهة عدن (١) وبعث ابا موسى الأشعري على الكورة السفلى

(١) جبل بمعلاة مكة .

ووصاها صلى الله عليه وسلم بقوله (١) : ( يَسْرًا وَلَا تُعْسرَا وَبَشْرًا وَلَا تُتَفَرَّا ) وقال  
 لمعاذ : ( إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن  
 لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله فإن أطاعوا لك بذلك فإخبرهم أن  
 الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن أطاعوا  
 لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين  
 الله حجاب ) . وقد مكث معاذ باليمن حتى توفي رسول الله ، أما أبو موسى  
 فقدم على الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع .

## صحة الوداع (٢)

وفي السنة العاشرة حج صلى الله عليه وسلم بالناس حجة ودَّع فيها المسلمين ولم يحج  
 غيرها ، وخرج لها يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة وولى على المدينة أبا  
 دجانة الأنصاري ، وكان مع الرسول جمع عظيم يبلغ تسعين ألفا ، وأحرم  
 للحج حيث انبعثت به راحلته ثم لبى فقال : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك  
 لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . ولم يزل صلى الله عليه وسلم سائرا حتى  
 دخل مكة ضحى من الثنية العليا وهي ثنية كداء . ولما رأى البيت قال :  
 اللهم زده تشريفاً وتعظيماً ومهابة وبراً ، ثم طاف بالبيت سبعاً واستسلم الحجر  
 الأسود وصلى ركعتين عند مقام إبراهيم ثم شرب من ماء زمزم ، ثم سعى  
 بين الصفا والمروة سبعاً راكباً على راحلته . وكان إذا صعد الصفا يقول : لا

(١) أخرجه الحنابلة الترمذي عن أبي موسى الأشعري تبسير الوصول ٣-٢١١

(٢) قال الحافظ: يجوز الفتح والكسر للحاء، ولولا ذلك بالفتح والكسر المواهب اللدنية ٣-١٠٤



إله إلا الله ، الله أكبر ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده  
وهزم الأحزاب وحده ، وفي الثامن من ذي الحجة توجه الى منى فبات  
بها .

### خطبة الوداع

وفي التاسع منه توجه الى عرفة وهناك خطب خطبته الشريفة التي بين  
فيها الدين كله أمره وفرعه ، وهالك نصها : الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره  
ونتوب اليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا  
مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك  
له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحسبكم على  
طاعته وأستفتح بالذي هو خير . أما بعد أيها الناس اسمعوا مني آيين لكم فاني  
لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقعي هذا ، أيها الناس ان  
دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا  
في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد . فمن كانت  
عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمته عليها . ان ربا الجاهلية موضوع وان أول  
رباً أبدأ به ربا عمي العباس بن عبدالمطلب وان دماء الجاهلية موضوعة وأول دم  
أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث ، وأن مآثر الجاهلية موضوعة غير  
السدانة والسقاية والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير .  
فمن زاد فهو من أهل الجاهلية . أيها الناس ان الشيطان قد يئس ان يعبد في  
أرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس ان النسيء (١) زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله ؛ وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاث متواليات وواحد فرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . أيها الناس : ان لنساءكم عليكم حقاً ولكن عليهن " حق ألا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحداً تکرهونه بيوتكم الا باذنكم ولا يأتين بفاحشة . فان فعلن فان الله أذن لكم أن تعضلوهن" (٢) وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن" ضرباً غير مبرح ، فان انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن" وكسوتهن" بالمعروف ؛ وانما النساء عندكم عوان ولا يملكن لأنفسهن شيئاً أخذتموهن" بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن" خيراً ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . أيها الناس انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرئء مال أخيه الا عن طيب نفس منه ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ، فلا ترجعن" بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فاني قد تركت فيكم ما ان اخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . أيها الناس ان ربكم واحد وان" أباكم واحد كلكم لآدم من

(١) كانت العرب تحرم أربعة اشهر : ثلاثة متواليات . وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وشهر رجب ، وكانوا ربما استطالوا هذه الاشهر المتوالية لحاجتهم الى الحرب والقتال فأجلوا المحرم وحرموا صفراً من العام المقبل ، فهذا هو الذي عابه القران عليهم لاتباعهم الهوي في عقيدتهم .

(٢) العضل : هو الحبس والتضييق .

تراب ، أكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى .  
 الا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب . أيها الناس ان  
 الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا تجوز لوارث وصية ولا تجوز  
 وصية في أكثر من الثلث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر . من ادعى الى  
 غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل  
 منه صرف ولا عدل . والسلام عليكم ورحمة الله ) . ( ١ ) وفي هذا اليوم  
 امتن الله على المؤمنين بقوله في سورة المائدة ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم  
 وآنمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾ فلا غرابة ان اتخذه  
 المسلمون عيداً ويوما سعيدا يظهر فيه شكر الله على هذه النعمة الكبرى ،  
 ثم انه عليه السلام ادنى مناسك الحج من رمي الجمار والنحر والحلق والطواف  
 وبعد ان اقام بمكة عشرة ايام قفل الى المدينة ، ولما رآها كبر ثلاثا وقال :  
 لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير  
 آئبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ونصر عبده  
 وهزم الأحزاب وحده .

## الوفود

في هذه السنة والتي قبلها كان وفود العرب الى رسول الله ليبايعوه على  
 الاسلام وكانوا يقدمون افواجا ، ولما في اخبار هذه الوفود من التعاليم الحميدة  
 التي يحتاج ذو الأدب ان يعرفها رايانا ان نذكر لك منها ما يزيدك يقيناً وينير  
 بصيرتك فنقول :

( ١ ) راجع الحديث بطوله اتحاف الانام بخطب سيد الانام ص ٦٦

## (١) وفود نجران

ومن الوفود وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكباً دخلوا المسجد وعليهم ثياب الحيرة واردية الحرير مختمين بالذهب ومعهم بسط فيها تماثيل ومسوح جاءوا بها هدية للنبي ﷺ فلم يقبل البسط وقبل (٢) المسوح . ولما جاء وقت صلاتهم صلوا في المسجد مستقبليين بيت المقدس ولما أتموا صلاتهم دعاهم عليه السلام للإسلام فأبوا وقالوا كنا مسلمين قبلكم ، فقال : عليه السلام يمنعكم من الاسلام ثلاث : عبادتكم الصليب ، وأكلكم لحم الخنزير ، وزعمكم أن لله ولداً ، قالوا : فمن مثل عيسى من غير أب ؟ فأنزل الله في ذلك في سورة آل عمران ﴿ إِن مَثَلِ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ وليظهر الله لهم أنهم في شك من أمرهم أنزل ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ فدعاهم ﷺ لذلك فامتنعوا ورضوا باعطاء الجزية وهي ألف حلة في صفر وألف حلة في رجب مع كل حلة أوقية من ذهب ، ثم قالوا أرسل معنا أمينا فأرسل لهم أبا عبيدة عامر بن الجراح وكان لذلك يسمى أمين هذه الأمة :

(١) نجران بفتح النون وسكون الجيم وهي بلد كبير على سبع مراحل من مكة الى جهة اليمن ففي رواية البيهقي الملح أنه كتب اليهم يدعوهم الى الاسلام فان أبيت فالجزية فان ابيت فقد اذنتكم بحرب . المواهب اللدنية ٤-٤٣

(٢) المسح : بوزن الملح : البلاس والجمع امساح ومسوح وهو ثوب من الشعر غليظ . ١٥ مختار الصحاح ص ٦٢٤

## (١) وفود ضمام بن ثعلبة

ومن الوفود ضمام بن ثعلبة ، بينا رسول الله بين اصحابه متكئا جاء رجل من أهل البادية ثائر الرأس يسمع دوى صوته ولا يفقه ما يقول فأناخ جملة في المسجد ثم قال : ايكم ابن عبدالمطلب ؟ فدلوه عليه فدنا وقال : اني سائلك فمشدد عليك المسألة فلا تجد (٢) على في نفسك . فقال سل ما بدالك فقال انشدك بالله : الله ارسلك الى الناس كلهم ، فقال نعم ، فقال انشدك بالله : الله امرك ان نصلي خمس صلوات في اليوم والليلة ؟ قال اللهم نعم ، فقال انشدك بالله . الله امرك ان من اموال اغنيائنا فترده على فقرائنا ؟ قال اللهم نعم . قال انشدك بالله : الله امرك ان نصوم هذا الشهر من اثني عشر شهراً ؟ قال اللهم نعم ، قال انشدك بالله : الله امرك ان نخرج هذا البيت من استطاع اليه سبيلا قال : اللهم نعم ، قال فاني قد آمنت وصدقت وانا ضمام بن ثعلبة (٣) ولما ولى قال عليه السلام : فقه الرجل . ثم ذهب صمام الى قومه ودعاهم الى الاسلام وترك عبادة الأوثان فأسلموا كلهم .

## وفود عبد القيس

ومن الوفود عبد القيس ، وكان من حبرهم ان الرسول كان جالسا بين

(١) كسر الضاد وفتح الميم روى مسلم : قصة عقب حديث طلحة ولكن روى البخاري : من حديث انس بن مالك ٤٤-٤

(٢) أي لا تغضب . بكسر الجيم والجزم على النهي من الموجودة المواهب اللدنية ٤-٦

(٣) وزاد مسلم : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا اتقص فقال النبي صلى الله عليه وسلم لئن صدق ليدخلن الجنة راجع المواهب اللدنية ٤-٧

أصحابه يوماً فقال لهم : سيطلع (١) عليكم من هنا ركب هم خير أهل  
المشرق لم يكرهوا على الإسلام قد انضوا الركائب وأفنوا الزاد ، اللهم (٢) اغفر  
لعبد القيس . فلما أتوا ورأوا النبي ﷺ رموا بأنفسهم عن الركائب بياب  
المسجد وتبادروا الى رسول الله يسامون عليه وكان فيهم عبد الله بن عوف  
الأشج وكان اصغرهم سناً فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع المتاع  
وأخرج ثوبين أبيضين فلبسها ثم جاء يمشي هونا حتى سلم على رسول الله وكان  
رجلا دميما ففطن لنظر الرسول الى دمامته ، فقال يا رسول الله : انه لا يستقي  
في مسوك جلود الرجال وانما الرجل بإصغريه قلبه ولسانه ، فقال ﷺ (٣) :  
إن فيك خصلتين يجبهما الله ورسوله : الحلم والأناة . وقد قال ﷺ لهذا الوفد :  
مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامي ، فقالوا . يا رسول الله إنا نأتيك من  
شقة بعيدة (٤) وانه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل  
اليك الا في شهر حرام فمرنا بأمر فصل ، فقال : أمركم بالايمان بالله .  
أتدرون ما الايمان بالله ؟ شهادة ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله واقام  
الصلاة وابتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس وانهاكم عن  
الدباء (٥) والحتتم (٦) والنقير (٧) والمزفت (٨) والمراد بذلك ما يبيذ في هذه  
الأواني فقال الأشج : يا رسول الله ان ارضنا ثقيلة وخمسة وانا لم نشرب  
هذه الاشربة عظمت بطوننا فرخص لنا في مثل هذه وانشار الى يده ، فأوماً

(١) واخرج البيهقي وابو يعلى والطبراني بستد جيد عن مزينة المواهب ٤-٦

(٢) وهي قبيلة كبيرة يستكون البحرين من أطراف العراق المواهب اللدنية ٤-١٣

(٣) رواه مسلم من حديث ابي سعيد المواهب اللدنية ٤-١٦

(٤) لان ديارهم كانت بساحل الخليج الفارسي وهي ديار ربيعة وبينهم وبين الحجاز ارض نجد

(٥) الفرع اليابس (٦) هو جرار مدهونة بدهان اخضر

(٧) هو أصل النخلة ينقر (٨) ما طلى بالزفت .

عليه السلام بكفيه وقال يا أشـج : ان رخصت لك في مثل هذه شربته في مثل هذه — وفرج بين يديه وبسطها — حتى اذا مثل احدكم من شرابه قام الى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف . وانما خص عليه السلام ونهيمهم بما ذكر لكثرة الاشربة بينهم .

### وفود بني حنيفة (١)

ومن الوفود بنو حنيفة وكان معهم مسيامة الكذاب وكان مسيامة يقول : ان جعل لي الامر من بعده اتبعته ، فأقبل عليه السلام ومعه قيس بن شماس وفي يد رسول الله قطعة من جريد حتى وقف على مسيامة في اصحابه فقال : ان سألتني هذه القطعة ما اعطيتكها واني لاراك الذي منه رأيت (٢) . وكان عليه السلام رأى في منامه ان في يده سوارين من ذهب فأهمه شأنهما فأوحى اليه ان انفخهما فنفخهما فطارا فأولهما <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> كذايين يخرجان من بعده ، (٣) فكان مسيامة احدهما والثاني الاسود العنسي صاحب صنعاء . وقد اسلم بنو حنيفة .

(١) قبيلة كبيرة ينزلون اليمامة بين مكة واليمن وكان عددهم سبعة عشر

انواهب ٤ - ١٩

(٢) عن ابي سعيد الخدري تهذيب السيرة ٢-٥٠٧

(٣) عن ابي هريرة لفظ البخاري : في المغازي ليس فيه هذه الجملة

المواهب اللدنية ٤ - ٢٣

## (١) وفود طيء

ومن الوفود وفد طيء وفيهم زيد الخيل رئيسهم وقد قال صلى الله عليه وسلم وسماه في حقه : ما ذكر لي رجل من العرب الا رأيتَه دون ما قيل فيه الا زيد الخيل ، وسماه صلى الله عليه وسلم زيد الخير .

## (٢) وفود كندة

ومنهم وفد كندة وفيهم الأشعث بن قيس وكان وجيهاً مطاعاً في قومه ولما دخلوا على رسول الله خبأوا له شيئاً وقالوا اخبرنا عما خبأناه لك فقال سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والتكهن في النار . ثم قال : ان الله بعثني بالحق وانزل عليّ كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا أسمعنا منه فتلا عليه السلام ﴿ والصافات صفاً فالزاجرات زجراً قالتاليات ذكراً ان الهيم لو احدث رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق ﴾ ثم سكت وسكن ودموعه تجري على لحية فقالوا :

(١) قال ابن عبد البر: وقيل مات في اخر خلافة عمر وذكره الدارقطني والطبراني في

الصحابة واعتمده في الاصابة المواهب اللدنية ٤-٢٦

(٢) كندة بكسرة الكاف وسكون النون وهي قبيلة من اليمن ينسبون الى

كندة . المواهب ٤-٢٧



أنا نراك تبكي ؟ أفمن مخافة من أرسلك تبكي ؟ قال ان خشيتي منه ابكتني ،  
بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ، ثم تلا  
﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجدك به علينا وكيلاً  
الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيراً ﴾ ثم قال لهم عليه  
السلام : ألم تسلموا ؟ قالوا بلى ، قال : ما بال هذا الحرير في اعناقكم  
فعند ذلك شقوه والقوه .

### (١) وفود ازدشنة

ومنهم وفد ازدشنة ورئيسهم (٢) سرد بن عبدالله الازدي فأسلموا  
وامره عليهم وامره ان يجاهد بمن اسلم من كان يليه من اهل الشرك .

### وفود رسول ملوك حمير

ومنهم وفد رسول ملوك حمير وهم : الحارث بن عبد كلال ،  
والنعمان ومعاقر ، وهمدان . وكانوا قد اسلموا وارسلوا رسولهم بذلك فكتب  
اليهم النبي ﷺ :

(١) بفتح الالف وسكون الزاي . المواهب اللدنية ٤-٧٣

(٢) سرد بضم الصاد وفتح الراء . المواهب ٤-٣٢

## كتاب ملوك حمير

( بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن عبد كلال  
والى النعمان قيل ذي رعين ومعاقر وهمدان . أما بعد فاني أحمد الله اليكم  
الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد فانه قد وقع بنا رسولكم مقلنا من أرض الروم  
فلقيناه بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم  
المشركين وأن الله قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم  
الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسبهم النبي وصفيه وما كتب  
على المؤمنين من الصدقة . أما بعد فان محمداً النبي أرسل الى زرعة بن ذي يزن  
إذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيراً معاذ بن جبل وعبدالله بن زيد ومالك بن  
عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرة وأصحابهم وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة  
والجزية من مخالفيكم وأبلغوها رسلي ، وإن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلن إلا  
راضياً . أما بعد فان محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم  
إن مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك قد أسلمت من أول حمير وقتلت  
من المشركين فأبشر بخير وأمرك بحمير خيراً ؛ ولا تخونوا ولا تخاذلوا فان  
رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته  
إنما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وإن مالكا قد بلغ  
الخبر وحفظ الغيب ، وأمركم به خيراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

### وفود همدان (١)

ومنها وفود همدان وفيهم مالك بن غط ، وكان شاعراً مجيداً فلقوا

(١) بفتح الهاء وإسكان الميم ، شعب عظيم من قحطان . المواهب ٤-٣٤

رسول الله مرجعه من تبوك عليهم مقطعات من الخبرات اليمينية والعمائم العدينة،  
وقد أنشد (١) مالك لرسول الله ﷺ :

حلفت برب الراقصات إلى منى      صوادر بالركبان من هضب قردد  
بأن رسول الله فينا مصدق      رسول أتى من عند ذي العرش مهتد  
فما حملت من ناقة فوق رحلها      أشد على أعدائه من محمد

وقد أمره ﷺ على من أسلم من قومه ، وقد قال الرسول في حق  
همدان : نعم الحي همدان ما أسرعها إلى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم  
أبدال وفيهم أوتاد .

### وفود تميم (٢)

ومنها وفد تميم - قبيلة من كندة - وفد على رسول الله ثلاثة عشر رجلاً  
منهم ، ومعهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر بهم عليه السلام  
وأكرم مثواهم ، وقالوا : يا رسول الله إنا سقنا إليك حق الله في أموالنا ،  
فقال عليه السلام : ( ردوها فاقسموها على فقرائكم ) فقالوا : يا رسول الله  
ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا ، قال أبو بكر : يا رسول الله ما  
قدم علينا وفد من العرب مثل هذا . فقال عليه السلام : إن الهدى بيد الله  
فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان . وجعلوا يسألونه عن القرآن فآزاد

(١) وهذه أبيات حسان كما ذكر في المواهب وأما مالك بن النبط يرتجز بين يديه صلى الله عليه وسلم  
إليك جاوزن سواد الريف . المواهب ٤-٣٥

(٢) تميم : ضم أوله ، وفتحها وهي بطن من كندة وعاليه المحدثون والادباء . المواهب ٤-٥٠

رغبة فيهم ، ثم أرادوا الرجوع الى أهلهم فقيل لهم : ما يجعلكم ؟  
 قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله ولقائنا وإياه وما ردّ علينا  
 ثم جاءوا الى رسول الله فودّعوه فأجازهم بأفضل ما كان يميز به الوفود . ثم  
 قال لهم : هل بقي منكم أحد ؟ قالوا غلام خلفناه في رحالنا وهو أحدثنا  
 سنّاً ، قال : فأرسلوه الينا فأرسلوه فأقبل الغلام وقال : يا رسول الله أنا من  
 الرهط الذين آتوك آنفاً فقضيت حاجتهم فاقض حاجتي . قال وما حاجتك ؟  
 قال : تسأل الله أن يغفر لي ويرحمي ويجعل غنائي في قلبي (١) . فقال عليه  
 السلام : اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه ، ثم أمر له بمثل ما أمر  
 به لرجل من أصحابه .

### وفود ثعلبة

ومنها وفد ثعلبة وفد على رسول الله أربعة منهم مقرّين بالاسلام فسلموا  
 عليه وقالوا : يا رسول الله إنا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرّون  
 بالاسلام وقد قيل لنا إنك تقول : لا إسلام لمن لا هجرة له فقال عليه  
 السلام ( حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم ) ، ثم قال لهم كيف بلادكم ؟  
 فقالوا مخصبون ، فقال : الحمد لله . ثم أقاموا في ضيافته أياماً ، وحين إرادتهم  
 الانصراف أجاز كل واحد منهم بخمس أواق من فضة .

### وفود بني سعد بن هذيم (٢)

ومنها وفد بني سعد بن هذيم من قضاة ، قال النعمان منهم : قدمت على

(١) رواه الديلمي وغيره المواهب ٤-٥ .

(٢) بضم الهاء وفتح الذال من قضاة شعب من معد وقيل من اليمن .

رسول الله وافداً في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله البلاد وأزاح العرب ،  
والناس صنفان : اما داخل في الاسلام راغب فيه واما خائف السيف ، فنزلنا  
ناحية من المدينة ، ثم خرجنا نؤم (١) المسجد حتى انتهينا الى بابه فوجدنا  
رسول الله يصلي على جنازة في المسجد فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع الناس  
في صلاتهم وقلنا حتى يصلي رسول الله ونبايعه ، ثم انصرف رسول الله فنظر  
الينا فدعا بنا فقال : ممن أنتم ؟ فقلنا من بني سعد بن هذيم فقال : أمسلمون  
أنتم ؟ قلنا نعم ، فقال : هلا صليتم على أخيكم ؟ قلنا يا رسول الله ظننا أن  
ذلك لا يجوز حتى نبايعك فقال عليه السلام أينما أسلمتم فأنتم مسلمون ، قال :  
فأسلمنا وباعنا رسول الله بأيدينا ، ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها  
أصغرنا فبعث عليه السلام في طلبنا ؛ فأتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه صلى الله عليه وسلم  
على الاسلام فقلنا يا رسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال سيد القوم خادمهم  
بارك الله عليه . قال النعمان : فكان خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له .  
ثم أجازهم وانصرفوا .

### وفود بني فزارة

ومنها وفد بني فزارة ، وفد على رسول الله جماعة منهم مقرين بالاسلام  
وهم (٢) مُسْتَنْتُونَ فسألهم عليه السلام عن بلادهم ، فقال رجل منهم يا رسول  
الله أمنت بلادنا وهلكت مواشينا وأجذب جنابنا وجاعت عيالنا فادع لنا ربك  
يعفنا واشفع لنا الى ربك وليشفع لنا ربك اليك . فقال عليه السلام : سبحان

(١) تقصد

(٢) فزارة : فتح الفاء والزاي قبيلة من قيس عيلان . ومستنون : مجدبون بضم الميم وسكون السين  
أسنت : أجدبت المواهب ٤-٥٢

الله ، ويلك هذا ! أنا أشفع الى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العلي العظيم وسع كرسیه السموات والارض فهي تنط (١) من عظمته وجلاله كما ينط الرجل الحديث ، أي من ثقل الحمل ثم صعد عليه السلام المنبر ودعا الله عز وجل حتى أغاث بلاد هذا الوفد بالمطر الغزير والرحمة التامة (٢) .

### وفد بني أسد

ومنها وفد بني أسد وفيهم ضرار بن الأزور وطليحة بن عبد الله الذي ادعى النبوة بعد ذلك فأسلموا وقالوا يا رسول الله أتيناك ندرع الليل البهيم في سنة شهباء ولم تبعث الينا فأنزل الله في ذلك ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣) . وسألوا رسول الله ﷺ عما كانوا يفعلون في الجاهلية من العيافة (٤) والكهانة (٥) وضرب الحصباء فنهاهم عن ذلك كله ، ثم سألوه عن ضرب الرمل فقال علمه نبي فمن صادف مثل علمه فذاك وإلا فلا ، ثم أقاموا أياماً يتعلمون الفرائض ، وبعد ذلك ودعوا وانصرفوا بعد أن أجزوا (٦) .

(١) أي صوت

(٢) ومثله في الصحيحين من حديث انس المواهب ٤-٥٣

(٣) سورة الحجرات آية ١٧

(٤) هي زجر الطير والتخرف على الغيب . والعيافة بكسر العين

(٥) هي الاخبار عن الكائنات في المستقبل

(٦) بفتح المهمزة والسين علمه نبي : قال البرهان : هذا النبي لا أعرف اسمه والشامي في حفطي انه ادريس وفي مسلم : فمن وافق خطه فذاك ومعناه على الصحيح من وافق خطه فهو مباح له ولكن لا طريق لنا الى العلم اليقين . المواهب ٤-٥٥

## وفود بني عذرة (١)

ومنها وفد بني عذرة ، ووفد بني بليي ، ووفد بني مرة ، ووفد  
خولان وهي قبائل باليمن وقد أمرهم عليه السلام بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة  
وحسن الجوار لمن جاؤوا ، وألا يظلموا أحداً فان الظلم ظلمات يوم القيامة .

## وفود بني محارب (٢)

ومنها وفد بني محارب وكانوا من الذين ردوا الرد القبيح حينما كان رسول  
الله بعكاز يدعو القبائل الى الله . فما أعظم منة الله الذي أتى بهؤلاء ، وكانوا  
ألد الأعداء ، مسلمين منقادين .

## وفود غسان (٣)

ومنها وفد غسان ، ووفد بني عبس ، ووفد النخع . وكان عليه السلام  
يقابل هذه الوفود بما جبله الله عليه من البشاشة وكرم الاخلاق ويحيزهم بما  
يرضهم ويعلمهم الايمان والشرائع ليعلموا من وراءهم وكانت هذه الوفود أعظم  
وصلة لآظهار الدين بين الأعراب في البوادي .

---

(١) ضم العين وسكون الزاي وفتح الراء وفدوا في سفر سنة (٩) وكان عدد (١٢) وبلي فتح الياء  
وكسر اللام وشد الياء المواهب ٤-٦٥

(٢) يضم الميم وكسر الراء ابن سعد بن قيس عيلان عام حجة الوداع سنة (١٦) المواهب ٤-٥٩

(٣) بفتح الغين وشد السين اسم ماء نزل عليه قوم من الازد برمضان سنة (١٠) وكانوا ثلاثة نفر .  
المواهب ٤-٦١

## وفاة ابراهيم بن النبي عليه السلام

وفي هذه السنة توفي ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

### الستة الحادية عشر

سيرة

لأربع بقين من صفر جهز عليه السلام جيشاً برياسة أسامة بن زيد إلى ابني (١) حيث قتل زيد بن حارثة والد أسامة وقال له ( سر إلى موضع قتل اميك فأرطهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش فأغر صباحاً على أهل ابني وحرقت عليهم وأسرع السير لتسيق الاخبار ، فان اظفرك الله فأقل اللبث فيهم وخذ الأدلاء وقدم العيون والطلائع معك ) . وكان مع أسامة في هذا الجيش كبار المهاجرين والأنصار منهم ابو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد . ثم عقد عليه السلام لأسامة اللواء وقال له : اغز باسم الله في سبيل الله وقاتل من كفر بالله . وقد انتقد جماعة على تأمير أسامة وهو شاب لم يتجاوز السابعة عشر من عمره على جيش فيه كبار المهاجرين فأبلغ الرسول في هذه المقالة فغضب غضباً شديداً وخرج فقال : أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ، ولئن طعنتم في تأمير أسامة فقد طعنتم في تأميري إياه من قبله ؟ وإيم الله إنه كان خليقاً بالامارة وإن ابنه من بعده خليق بها ، وإنه كان لمن أحب الناس إلي وإنهما لظنة لكل خير فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم .

---

(١) محل قريب من مؤتة .



ولم يتم لهذا الجيش الخروج في عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم لأن المرض بدأه فاختره الله للرفيق الأعلى وسيرى القارىء إن شاء الله خروج هذا الجيش متمماً في كتابنا تمام الوفاء بسيرة الخلفاء .

## مرض الرسول صلى الله عليه وسلم

لما تم عليه الصلاة والسلام ما كلف به وأدى ما أؤتمن عليه وهدى الله به أمته اختاره الله للرفيق الأعلى فجلس على المنبر مرة وكان فيما قال ( إنَّ عبداً خيره الله بين أن يؤتیه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختر ما عنده فبكي أبو بكر وقال : يا رسول الله فدينك بأبائنا وأمهاتنا ، فقال عليه السلام : ( إنَّ أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الاسلام . لا يبق في المسجد خوخة إلاَّ سددت إلاَّ خوخة أبي بكر ) . وقد بدأه عليه السلام مرضه في أواخر صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة في بيت ميمونة واستمر مريضاً ثلاثة عشر يوماً كان في خلالها ينتقل الى بيوت أزواجه ولما اشتد عليه المرض استأذن منهن أن يمرض في بيت عائشة الصديقية فأذن له . ولما دخل بيتها واشتد عليه وجمعه قال : هريقوا عليَّ من سبع قرب لم تحلل أو كيتهاهني لعلي أعهد الى الناس . فأجلس في مخضب وصب عليه الماء حتى أشار بيده أن قد فعلن وكان هذا الماء لتخفيف حرارة الحمى التي كانت تصيب من يضع يده فوق ثوبه .

## صلاة أبي بكر بالناس

ولما تعذر عليه الخروج الى الصلاة قال (١) : مروا أبا بكر فليصل بالناس فرضيه عليه السلام خليفة له في حياته . ولما رأت الأنصار اشتداد وجع الرسول أطافوا بالمسجد فدخل العباس وأعلمه بمكانهم وإشفاقهم فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئاً على علي والفضل وتقدم العباس أمامهم والنبي معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس في أسفل مرقاة المنبر وثار الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ( يا أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم ؛ هل خلد نبي قبلي فيمن بعث الله فأخذ فيكم ؛ ألا إني لا حق بربي وأنكم لاحقون بي فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً وأوصي المهاجرين فيما بينهم ، فان الله تعالى يقول ﴿ وَالْعَصْرَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُورٌ ﴾ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات - وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ وان الأمور تجري باذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ، ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه ﴾ فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ وأوصيكم بالأنصار خيراً فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم ، ألم يشاطروكم في الثار ؟ ألم يوسعوا لكم في الديار ؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ؟ ألا فمن ولى أن يحكم بين رجلين فليقبل من أحسنهم وليتجاوز عن سيئهم الا ولا تستأثروا عليهم . ألا واني فرط لكم وأنتم لاحقون بي ، ألا فان موعدكم الحوض ، ألا فمن

(١) رواه البخاري .

أحب أن يردده عليّ غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغي . وبينما المسلمون في صلاة الفجر من يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول وأبو بكر يصلي بهم اذا برسول الله ﷺ قد كشف سجف حجرة عائشة فنظر اليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر رضي الله عنه على عقبه ليصل الصف وظنّ أن رسول الله يريد أن يخرج الى الصلاة ، وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله فأشار اليهم بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر .

### وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولم تأت ضحوة هذا اليوم حتى فارق رسول الله ﷺ دنياه ولحق بمولاه ، وكان ذلك في يوم الاثنين ١٣ ربيع أول سنة ١١ ( ٨ حزيران - يونيو سنة ٦٣٣ ) فيكون عمره عليه السلام ٦٣ سنة قمرية كاملة وثلاثة ايام واحدى وستين شمسية وأربعة وثمانين يوما ، وكان أبو بكر غائبا بالسنع وهو منازل بني الحارث بن الخزرج عند زوجه حبيبة بنت خازجة بن زيد فسلّ عمرُ سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله وقال انما أرسل اليه كما أرسل الى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة . والله اني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم فلما أقبل أبو بكر وأخبر الخبر دخل بيت عائشة وكشف عن وجه رسول الله فجثا يقبله ويبكي ويقول : توفي والذي نفسي بيده ، صلوات الله عليك يا رسول الله ما أطيبك حيا وميتا ! بأبي أنت وأمي ، لا يجمع الله عليك موتتين ثم خرج فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : وألا من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ) وتلا قوله تعالى ﴿ انك

ميت \* وأنهم ميتون \* وقوله \* وما محمد الا رسول قد خلت من قبله  
الرسل أفانن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه  
فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين \* قال عمر : فكأنني لم اتل  
هذه الآية قط . ثم مكث عليه الصلاة والسلام في بيته بقية يوم الاثنين وليلة  
الثلاثاء ويومه وليلة الاربعاء حتى انتهى المسلمون من اقامة خليفة عليهم فغسل  
ودفن ؛ وكان الذي يغسله علي بن ابي طالب ويساعده العباس وابناه الفضل  
وقثم واسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله وكفن في ثلاثة اثواب ليس  
فيها قميص ولا عمامة . ولما فرغوا من تجهيزه وضع على سريره في بيته ودخل  
الناس عليه ارسالا متتابعين يصلون عليه ولم يؤمهم احد ، ثم حفر له لحد في  
حجرة عائشة حيث توفي وانزله القبر علي والعباس وولداه الفضل وقثم ورش  
قبره بلال بالماء ورفع قبره عن الأرض قدر شبر .

توفي رسول الله ﷺ وترك للمسلمين ما ان اتبعوه لم يضرهم شيء .  
كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم  
حميد ، وترك اصحابه البررة الكرام يوضحون الدين ويتممون فتح البلاد  
ويظهرون في الدنيا شمس الدين الاسلامي القويم حتى يتم الله كلمته ويحقق  
وعده ، وقد فعل . فنسأل الله ان يقدرنا على اداء شكره على هذه المنة  
العظيمة والنعمة الكبرى .

### شمائد عليه السلام

منح الله سبحانه نبينا ﷺ من كمال الدنيا والآخرة ما لم يمنحه  
غيره ممن قبله او بعده . ولا بد ان تأتي لك في هذا الباب (١) ببئنة يسيرة

(١) جل ما ذكر في الشمائل والمعجزات مختصر من كتاب الشفاء للقاضي عياض رحمه الله ،

من محاسن صفاته واحسن آدابه لتكون لك انموذجا تسير عليه حتى تكون على قدم نبيك صلى الله عليه وسلم فتستحق الحمد في الدنيا والذخر في الأخرى . فاعلم ارشدني الله واياك وهدانا للصراف السوي ان خصال الجلال والكمال في البشر نوعان : ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة ، ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى . فأما الضروري فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته عليه السلام من كمال الخلقة وجمال الصورة وقوة العقل وصحة الفهم وفصاحة اللسان وقوة الحواس والأعضاء واعتدال الحركات وشرف النسب وعزة القوم وكرم الارض ، ويلحق به ما تدعو ضرورة الحياة اليه من الغذاء والنوم والملبس والمسكن والمال والجاه . اما المكتسبة الأخرى فمساير الاخلاق العلية والآداب من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع ، والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاملة واخواتها وهي التي يجمعها حسن الخلق فاذا نظرت رعاك الله الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته عليه السلام حائرا لجميعها محيطا بشتات محاسنها . فأما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون (١) ادعج (٢) انجل (٣) اشكل (٤) اهدب الاشفار (٥) ابلج (٦) ازج (٧) اقي (٨) افلج (٩) مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية

(١) نير اللون او حسنة (٢) شديد سواد الحدقة مع سعة فيها

(٣) واسع العين مع حسن (٤) في يياض عينيه حمرة

(٥) كثير شعر حروف الاجفان (٦) مضيء الوجه مشرقه

(٧) دقيق الحاجبين في طوله .

(٨) مرتفع قصبه الأنف مع احدياب يسير فيها (٩) مفرج بين الشنايا والرباعيات .

تملاً صدره ، سواء البطن عظيم الصدر عظيم المنكبين (١) ضخم العظام عبد (٢)  
 العضدين والذراعين والأسافل رحب الكفين والقدمين سائل الأطراف أنور  
 المتجرد ، دقيق المسربة (٣) ربيعة القد ، ليس بالطويل البائن (٤) ولا  
 القصير المتردد (٥) . ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب الى الطول إلا  
 طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر إذا افتراً ضاحكا افتراً عن مثل سنا البرق وعن مثل  
 حب الغمام ، وإذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه ، احسن الناس عنقاً  
 ليس بمطهم (٦) ولا مكثم (٧) متمسك البدن ضرب اللحم . قال البراء بن  
 عازب : ما رأيت من ذي لمة سوداء في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وقال أبو هريرة : ما رأيت شيئاً احسن من رسول الله كأن الشمس تجري  
 في وجهه وإذا ضحك يتلألأ في الجدر ، وفي حديث ابن أبي هالة : يتلألأ  
 وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر . وقال عليّ في آخر وصفه له (٨) : من رآه  
 بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه . يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله  
 صلى الله عليه وسلم .

أما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقدار وعورات  
 الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم أتمها  
 بنظافة الشرع . قال عليه السلام : بني الدين على النظافة ، وقال أنس : ما  
 شممت عنبراً قط ولا مسكا ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ، وعن  
 جابر أنه عليه السلام مسح خده قال فوجدت ليدته برداً وريحاً كأنما أخرجها

- 
- (١) المنكب مجمع رأس العضد والكتف (٢) ضخ (٣) المسربة شعر دقيق من الصدر الى البطن  
 (٤) مفرط الطول (٥) المتناهي في القصر (٦) المطهم البائن الكثير اللحم  
 (٧) المكثم صغير الدقن .  
 (٨) رواه الترمذي في الشمائل .

من جؤنة عطار . قال غيره : مسها بطيب أو لم يسها، يصافح المصافح فيظل يومه  
يجد ريحها يضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها .  
وروى البخاري في تاريخه الكبير عن جابر : لم يكن النبي ﷺ يمر في طريق  
فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه .

وأما وفور عقله ﷺ وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه  
واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم ،  
ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته للعامه مع عجيب  
شمائله وبديع سيره ، فضلا عما أفاد من العلم وقرره من الشرع دون تعلم  
سابق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب ، لم يمتز في رجحان عقله  
وثقوب فهمه لأول بديهه . وكان عليه السلام إذا قام في الصلاة يرى من خلفه  
كما يرى من أمامه وبذلك فسر قوله تعالى ﴿ وَتَقَلِّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾  
وقالت عائشة : كان عليه السلام يرى في الظلمة كما يرى في الضوء وكان يعد في  
الثريا أحد عشر نجما وجاءت الأخبار أنه صرع ركانة أشد أهل وقته ، وكان  
دعاه إلى الإسلام وقال أبو هريرة : ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله  
ﷺ في مشيه كأنما الأرض تطوي له ، إنا لنجهد أنفسنا . هو غير مكترث .  
وفي صفته عليه السلام ان ضحكه كان تبسما إذا التفت التفت معا وإذا مشي  
مشى تقلعا كأنما ينحط من صبب (١) . وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول  
فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع ،  
وبراعة منزع . وإيجاز مقطع ؛ وفصاحة لفظ ، وجزالة قول ، وصحة معان ،  
وقلة تكلف ، أوتى جوامع الكلم ، وخص ببدائع الحكم ، وعلم السنة العرب،  
فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، ويبايرها في منزع

(١) رواه الترمذي في الشمائل .

بلاغتها ، حتى كأن كثير من اصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه  
وتفسير قوله . من تأمل حديثه وسبره علم ذلك وتحققه ، وليس كلامه مع  
قريش ككلامه مع أقيال حضرموت وملوك اليمن وعطاء نجد بل يستعمل  
لكل قبيلة ما استحسنته من الألفاظ وما انتهجته من طرق البلاغة ليبين للناس  
ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعملون .

وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كله فقد ألف الناس فيها  
الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازي فصاحة وبلاغة  
كقوله : المسلمون تتكافأ دماؤهم ؛ ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .  
وقوله : الناس كأسنان المشط والمرء مع من أحب ، ولا خير في صحبة من  
لا يرى لك ما ترى له : والناس معادن ، وما هلك امرؤ عرف قدره ،  
والمستشار مؤتمن ، ورحم الله عبداً قال خيراً فغتم أو سكت فسلم . وقوله  
أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله اجره مرتين ، وإن أحببكم إليّ وأقربكم مني  
مجالس يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً الموطؤون أكتافاً الذين يألفون ويؤلفون .  
وقوله : لعله كان يتكلم بما لا يعنيه أو يبخل بما لا يعنيه ، وقوله : ذو  
الوجهين لا يكون وجهياً عند الله . ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال  
وإضاعة المال ومنع وهات وعقوق الأمهات وواد البنات . وقوله اتق الله حيثما  
كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن ، وخير الأمور  
أوسطها . وقوله : أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ،  
وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة ، وقوله في بعض دعائه : اللهم إني أسألك  
رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها شعبي وتصلح بها رغائبي وتركيها  
عملي وتلهمني بها رشدي وتردني بها ألفتي وتمصني بها من كل سوء ، اللهم إني  
أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء .  
الى غير ذلك مما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه



وأدعيته ومحاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز سبقاً لا يقدر قدره . وقد قال أصحابه : ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يعني وإنما نزل القرآن بلساني لسان عربي مبين ، وقال مرة أخرى : بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد . جمع بذلك قسوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشر .

وأما سروٓ نسبه وكرم بلده ومنشأه فما لا يحتاج الى إقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم ونخبة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده . وقد قدمنا لك في أوّل الكتاب ما فيه الكفاية في هذا المقام .

أمّا ما تدعو اليه ضرورة الحياة فمنه ما الفضل في قلته ، ومنه ما الفضل في كثرته ، ومنه ما تختلف الاحوال فيه . فالأول كالغذاء والنوم ولم نزل العرب والحكماء قديماً تتماح بقلتهما وتدم بكثرتهما ، لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص والشرة وغلبة الشهوة ، مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لأدواء الجسد وخسارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على الفناعة وملك النفس وقع الشهوة ، مسبب للصحة وشفاء الخاطر ووحدة الذهن كما أن النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة ، مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته . وكان عليه السلام قد أخذ من الأكل والنوم بالأقل وحض عليه . قال عليه السلام : \* ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ! حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلاث لطعامه وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه \* ولأن كثرة النوم

من كثرة الأكل والشرب . وقالت عائشة رضي الله عنها : لم يمتلىء جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً قط وإنه كان في أهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشبهه ، إن أطعموه أكل ، وما أطعموه قبل ، وما سقوه شرب وفي صحيح الحديث : ﴿ أما أنا فلا آكل متكئاً ﴾ والالتكأ هو التمكن للأكل والتقدم في الجلوس له كالتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته ، والجالس على هذه الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر منه والنبي عليه السلام إنما كان جلوسه للأكل جلوس المستوفز مقعياً ويقول : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد . وكذلك نومه كان قليلاً وممع ذلك فقد قال : إن عيني تنامان ولا ينام قلبي .

وأما ما الفضل في كثرته فكالجاه وهو محمود عند العقلاء عادة بقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام ﴿ وجيهاً في الدنيا والآخرة ﴾ . وكان النبي ﷺ قد رزق الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه في انفسهم خفية حتى اذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته كما ذكرنا ذلك مراراً . وقد كان يهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قبيلة انها لما رأته أرعدت من الفرق فقال : يا مسكينة عليك السكينة . وفي حديث أبي مسعود أن رجلاً قام بين يديه فأرعد فقال له عليه السلام : هون عليك فاني لست بملك .

وأما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة واناقة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم .

وأما ما تختلف فيه الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجته وتمكنه في اغراضه والافليس فضيلة في نفسه ، فمتى كان به هذه الصورة وصاحبه منفقاً له في مهماته ومهمات من قصده وأمله يصرفه في مواضعه مشتريا به العالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا : واذا صرفه في وجوه البر وأنفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الآخرة : كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم كان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل أوقعه في وهدة رذيلة البخل ومذمة النذالة . فالتمدح بالمال ليس لذاته بل للتوسل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته ، ونبينا ﷺ أوتى خزائن الأرض ومفاتيح البلاد ، وأحلت له الغنائم ، وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز واليمن ( جميع جزيرة العرب وماداني ذلك من الشام والعراق وجلب اليه كثير من أخماسها وجزيتها وصدقاتها وهداه جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأعنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ( ما يسرني أن لي أحداً ذهباً يبيت عندي منه دينار إلا ديناراً أرصده لديني ) وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذها نوم حتى قام فقسمها وقال الآن استرحت . ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر في نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجدته فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج الخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر . أنت ترى رسول الله ﷺ حاز فضيلة المال بالزهد فيه وانفاقه على مستحقه .

وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة . وهي  
 المسماة بحسن الخلق ، فجميعها قد كانت خلق نبينا ﷺ على الانتهاء في  
 كمالها والاعتدال في غايتها حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال : ﴿ وَأَنْكَرَ  
 لَعْلَى خُلِقَ عَظِيمٌ ﴾ قالت عائشة : كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط  
 بسخطه . وقال عليه السلام : بعثت لأتمم مسكارم الأخلاق ، وقال أنس :  
 كان عليه السلام أحسن الناس خلقا . وكانت له هذه الآداب الكريمة كما  
 كانت لآخوانه من الانبياء جيلة خلقوا عليها ثم يتمكن الأمر لهم وتترادف  
 نفحات الله عليهم وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويلبغوا  
 باصطفاء الله لهم النبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة ، دون نهاية ولا  
 ممارسة : وهذه الأخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكننا نذكر أصولها  
 ونشير الى جميعها وتحقيق وصفه عليه السلام بها إن شاء الله .

فأصل فروعها ، وعناصر ينابيعها ، ونقطة دارتها ، العقل الذي منه  
 ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقبو الرأي وجودة الفطنة والاصابة  
 وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة  
 والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل ، وقد بلغ عليه السلام منه ومن العلم  
 الغاية التي لم يبلغها بشر سواه يعلم ذلك من تتبع مجاري احواله واطراد سيره  
 وطالع جوامع كله وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في  
 التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب  
 الامثال وسياسات الأنام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة  
 الى فنون العلوم التي أتخذ أهلها كلامه فيها قدوة وإشارته حجة ، كالطب  
 والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك ، دون تعليم ولا مدارس ولا مطالعة  
 كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي أمي لا يعرف شيئا من ذلك ،



عليظ الحاشيه فجزبه أعرابيٌ بردائه جذبة شديدة حتى أثرت حاشية السبرد في صفحة عنقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك ، فسكت النبي ثم قال : المال مال الله وانا عبده ، ثم قال : ويقادمنك يا أعرابي ما فعلت بي ، قال لا ، قال : لم ؟ قال : لأنك لا تكافىء بالسيئة السيئة فضحك عليه السلام ثم أمر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر ومنها الشجاعة والنجدة : فكان عليه السلام منها بالمكان الذي قالت عائشة . ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى ، وما ضرب بيده شيئاً قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادماً ولا امرأة ؛ فصلى الله تعالى عليه واقر عينه باتباع المسلمين سنته .

واما الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان عليه السلام لا يوازي في هذه الاخلاق الكريمة ولا يباري . وصفه بهذا كل من عرفه ، قال جابر رضي الله عنه : ما سئل عليه السلام من شيء فقال لا . وقال ابن عباس : كان عليه السلام (١) أجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان ، وكان اذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة ، وقالت خديجة في صفة عليه السلام مخاطبة له (٢) : انك تحمل الكل وتكسب المعدوم . وحسبك شاهداً في هذا الباب ما فعله مع هوازن من رد السبي اليها وما فعله يوم تقسيم السبي من اعطاء المؤلفات قلوبهم عظيم الاعطية وقد استوفينا ذلك في موضعه . وحمل اليه عليه السلام تسعون الفاً فوضعها على حصير وأخذ يقسمها فما قام حتى فرغ منها . وجاءه رجل فسأله فقال : ما عندي شيء ولكن اتبع علي

(١) رواه البخاري

(٢) رواه البخاري عن عائشة في حديث بدء الوحي

فاذا جاءني شيء قضيناه فقال له عمر : ما كلفك الله ما لا تقدر عليه : فكره  
 ذلك عليه السلام فقال له رجل من الأنصار : يا رسول الله أنفق ولا تخف  
 من ذي العرش اقلالا . فتبسم عليه السلام وعرف البشر في وجهه وقال :  
 بهذا امرت والأخبار بجوده وكرمه عليه السلام كثيرة يكفي منها لتعليمك ما  
 ذكرناه لا يجهل ، وقد حضر المواقف الصعبة وفر السكاة والأبطال عنه غير  
 مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح ، وما من شجاع الا  
 احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه . وحسبك ما فعله في حنين وأحد  
 مما ذكرناه مستوفي . وقال ابن عمر : ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود  
 ولا ارضى من رسول الله ﷺ ، وقال علي : إنا كنا اذا اشتد بأس  
 واحمرت الحدق اتقيننا برسول الله فما يكون احد أقرب الى العدو منه ، ولقد  
 رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو  
 وكان من اشد الناس يومئذ بأساً . وقال أنس : كان عليه السلام اشجع الناس  
 واحسن الناس وأجود الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت  
 فتلقاهم عليه السلام راجعاً قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي  
 طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول . لن تراعوا .

واما الحياء والاعضاء فكان عليه السلام أشد الناس حياء وأكثرهم  
 عن العورات اغضاء ، قال أبو سعيد الخدري : كان عليه السلام أشد حياء  
 من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئاً عرفناه في وجهه ، وكان عليه  
 السلام لطيف البشرة رقيق الظاهر ، لا يشافه أحداً بما يكرهه حياء وكرم  
 نفس . قالت عائشة : كان عليه السلام اذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل  
 ما بال فلان يقول كذا وكذا ، بل يقول ما بال أقوام يصنعون او يقولون  
 كذا ، ينهى عنه ولا يسمى فاعله . وقالت رضى الله عنها : لم يكن عليه

السلام فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخباً بالأسواق ولا يجزي بالسيئة ولكن  
يعفو ويصفح .

وأما حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه مع اصناف الخلق فما انتشرت  
به الاخبار الصحيحة ، قال علي رضي الله عنه : كان عليه السلام أوسع  
الناس صدراً وأصدق الناس لهجة والينهم عريكة وأكرمهم عشرة ، وكان  
عليه السلام يؤافهم ولا ينفهم ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم ويحذر  
الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه ،  
ويتفقد أصحابه ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم  
عليه منه . من جلسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه .  
ومن سأله حاجة لم يرد إلا بها أو بيسور من القول ، قد وسع الناس بسطه  
وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء ، بهذا وصفه ابن ابي هالة ،  
وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب  
ولا فحاش ولا عياب ولا مداح ، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه . قال  
تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَوَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا  
مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ، وقال تعالى  
﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾  
وكان عليه السلام يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعاً ويكافئ  
عليها ، وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويلعب صبيانهم ويجلسهم في  
حجره ويجيب دعوة الحر ، والعبد ، والامة ، والمسكين ويعود المرضى في اقصى  
المدينة ، ويقبل عذر المعتذر . وقال أنس ما التقم أحد أذن النبي يحادثه  
فنحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحى رأسه ، وما أخذ أحد بيده  
فيرسل يده حتى يرسلها الآخر . وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه



بالمصافحة ، ولم ير قط ماداً رجليه بين اصحابه حتى يضيق بها على احد ،  
يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم  
عليه في الجلوس عليها إن ابي ويكنى اصحابه ويدعوهم بأحب اسمائهم تكريمة  
لهم ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجاوز فيقطعه بنهي أو قيام . وكان  
أكثر الناس تبساً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه اقرآن أو يعظ أو  
يخطب .

وأما الشفقة والرأفة والرحمة بجميع الخلق فقد وصفه الله بها في قوله  
( عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ) وقال  
( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ) . روى أن اعرابياً جاءه يطلب منه  
شيئاً فاعطاه ثم قال : أحسنت اليك قال الاعرابي : لا ولا أجملت فغضب  
المسلمون وقاموا اليه فأشار اليهم أن كفوا ، ثم قام ودخل منزله وارسل  
اليه وزاده شيئاً ثم قال : أحسنت اليك ؟ فقال : نعم فجزاك الله من اهل  
وعشيرة خيراً ، فقال عليه السلام إنك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي من  
ذلك شيء فان احببت فقتل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في  
صدرهم عليك . قال ، نعم فلما كان الغد - أو العشي - جاء فقال عليه  
السلام : إن هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضى كذلك ؟  
قال : نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيراً فقال عليه السلام : مثلي ومثل  
هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً  
فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين نائفي فاني أرفق بها منكم وأعلم فترجه لها بين  
يديها فأخذ لها من قام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشدت عاها  
رحلها واستوى عليها ، وانني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه  
دخل النار . وقال عليه السلام : لا يبلغني أحد منكم عن اصحابي شيئاً

فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ، وكان يسمع بكاء الصبي  
فيتجوز (١) في صلاته ، وعن ابن مسعود كان عليه السلام يتخواننا بالموعظة  
مخافة السامة علينا .

واما خلقه عليه السلام في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فروي عن  
عبدالله بن ابي الحمساء قال . بايعت النبي عليه السلام بييع قبل أن يبعث وبعثت  
له بقية فوعده ان آتية بها مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا  
هو مكانه ، فقال : يا فتى لقد شققت علي ، انا هنا منذ ثلاث انتظرك !  
وكان اذا أتى بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة ،  
إنها كانت تحب خديجة وكان عليه السلام يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم  
على من هو أفضل منهم . ووفد عليه وفد فقام يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه  
نكفيك . فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب أن اكاfterهم . وفي  
حديث خديجة : ابشر فوالله لا يخزيك الله ابداً انك لتصل الرحم وتحمل  
الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق .

واما تواضعه عليه السلام على علو منسبة ورفعة رتبته فكان اشد الناس  
تواضعاً واقلمهم كبراً . وحسبك انه خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً  
فاختار أن يكون نبياً عبداً . وخرج عليه السلام مرة على اصحابه متوكئاً  
على عصا فقاموا ، فقال . لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضاً ؛  
وقال ، انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد . وكان  
يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين وبجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد  
ويجلس بين اصحابه مختلطاً بهم حيث انتهى به المجلس جالس وقال عليه السلام :

(١) تجوز في صلاته أي خفف - مختار الصحاح ص ١١٧

لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله .  
 وحج عليه السلام على رحل رث وعليه قتيبة ما تساوي اربعة دراهم فقال :  
 اللهم اجعله حجاً لا رياء فيه ولا سمعة . هذا ، وقد فتحت عليه الارض  
 واهدي في حجه هذا مائة بدنة ، ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش  
 المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى يكاد يمس قدمته تواضعاً لله تعالى . وعن  
 أبي هريرة رضي الله عنه : دخلت السوق مع النبي ﷺ فاشترى سراويل  
 وفل للوازن زن وأرجح ، ثم مال : فوثب الى يد رسول الله ﷺ يقبلها  
 فغذب يده وقال : هذا تفعله الاعاجم بلوكها ولست بملك إنما انا رجل منكم ،  
 ثم اخذ السراويل فذهبت لاحتله قال : صاحب الشيء احق بشيئه أن  
 يحمله .

وأما عدله عليه السلام واماتته وعفته وصدق لهجته فكان آمن  
 الناس وأصدقهم لهجة منذ كان ، اعترف له بذلك محادوه وأعداؤه  
 وكان يسمى قبل نبوته الأمين . وقد قدمنا ذلك في سيرته عليه  
 السلام قبل النبوة وفي الحديث عنه عليه السلام . مالست يده يد امرأة  
 قط لا يملك رقها . قال أبو العباس المبرد : قسم كسرى أيامه فقال : يوم  
 الريح يصلح للنوم ، ويوم الغيم للصيد ، ويوم المطر للهو والشرب ، ويوم  
 الشمس للحوائج . ولكن نبينا عليه السلام جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزء  
 لله وجزء لأهله وجزء لنفسه ، ثم جزأ جزأه بين الناس فكان  
 يستعين بالخاصة على العامة ويقول : أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغني  
 فان من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفرع الأكبر وكان  
 عليه السلام لا يأخذ أحداً بذنب أحد ولا يصدق أحداً على أحد

وأما وقاره عليه السلام وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه فكان عليه السلام أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه وكان إذا جلس احتبى بيديه ، وكذلك كان أكثر جلوسه مختبياً . وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عن تكلم بغير جميل وكان كلامه فصلاً لافضول ولا تقصير ، وكان يضحك أصحابه عند التباس توفيراً له واقتداء به ، مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانه لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤن فيه الحرم . إذا تكلم أطرق جلساءه كأنما على رؤسهم الطير . وقال ابن أبي هالة : كان سكوته صلى الله عليه وسلم على أربع : على الحلم ، والحذر ، والتقدير ، والتفكير وقالت عائشة رضي الله عنها : كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثاً لوعده العاد لأحصاءه ، وكان يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها كثيراً ويحض عليهما ، ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والأمر بالأكل مما يلي ، والأمر بالسواك وإنشاء البراجم والرواجب ( مواصل الاصابع من ظاهر الكف وباطنها ) .

وأما زهده عليه السلام فقد قدمنا لك فيه ما فيه الكفاية . وحسبك شاهداً على تقلده من الدنيا وإعراضها عن زهرتها ، وقد سبقت اليه بمخايفها وترادفت عليه فتوحها ، أن توفي عليه السلام ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول : اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً ، وقالت عائشة رضي الله عنها ، ما شبع عليه السلام ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضى لسبيله ، وقالت : ما ترك عليه السلام ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ، ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا سطر شعير في رف لي ، وقال : إني عرض علي أن تجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يا رب أجوع يوماً

وأشبع يوماً ، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأنصرع اليك وأدعوك ، وأما  
اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك . وقالت عائشة : إنا كنا آل محمد  
لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً ، إن هو إلا التمر والماء . وعن أنس : ما  
أكل عليه السلام على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى  
شاة سميطاً قط . وفي حديث عائشة كان فراش رسول الله ﷺ في بيته  
مسحاً نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيها ليلة بأربع ، فلما أصبح قال : ما فرستم  
لي ؟ فذكرنا له ذلك فقال : ردّوه بحاله فإنّ وطأته منعني الليلة صلاتي ،  
وقالت عائشة : لم يمتلىء جوف النبي عليه السلام شعباً ولم يبعث شكوى الى  
أحد ، وكانت الفاقة أحب اليه من الغنى ، وإن كان ليظل جائعاً يلتوي طول  
ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض  
وثمارها ورغد عيشها ، ولقد كنت أبكي رحمة له مما أرى به وأمسح بيدي على  
بطنه مما أرى به من الجوع وأقول : نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا ما  
يقوتك ؛ فيقول : يا عائشة ما لي وللدنيا إخواني من أولي العزم من الرسل  
صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم  
مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحي إن ترفعت في معيشتي أن يقصر بي غداً  
دونهم . وما من شيء أحب اليّ من اللحوق باخواني وأخلائي . قالت : فما  
أقام بعد إلا أشهراً شهراً حتى توفي صلوات الله عليه وسلامه .

وأما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه ، ولذلك قال :  
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، أرى ما لا ترون وأسمع ما  
لا تسمعون اطت ( صوتت ) السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع  
اصابع الا وملك واضع جبهته ساجد لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم  
قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذتم بالنساء على الفرش وخرجتم الى الصعدات تجأرون

الى الله تعالى ، لوددت اني شجرة تعضد . وكان عليه السلام يصلي حتى ترم  
قدماه فقيل له : اتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟  
قال : ( افلا اكون عبداً شكوراً ! ) . وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها :  
كان عمل رسول الله ﷺ ديمة وايمك يطيق ما كان يطيق ؟ وقالت : كان  
يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم . وقال عوف بن مالك :  
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة فاستنك ثم توضأ ثم قام يصلي  
فقامت معه فاستفتح البقرة فلا يمرُّ بآية رحمة الا وقف فسأل ولا مرَّ بآية  
عذاب الا وقف وتعوذ ، ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول : سبحان ذي  
الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة . ثم سجد وقال مثل ذلك ، ثم قرأ آل  
عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك . وقال بعضهم : اتيت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازير كأزير المرجل وفي وصف ابن  
ابي هالة : كان متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة . وعن علي  
رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال :  
( المعرفة راس مالي ، والعقل اصل ديني ، والحب اساسي ، والشوق مركبي ،  
وذكر الله انيسي ، والثقة كنزي ، والحزن رفيقي ، والعلم سلاحي ، والصبر  
ردائي ، والرضا غنيمي ، والعجز فخري ، والزهد حرفتي ، واليقين قوتي ،  
والصدق شفيعي ، والطاعة حسي ، والجهاد خلقي ، وقرّة عيني في الصلاة ،  
وثمره فؤادي في ذكره ، وعمري لأجل امتي ، وشوقي الى ربي ) . فجزاءه  
الله من نبي عن امته خيراً . ورحم الله عبداً تأمل في هذه السمائل الكريمة  
والخصال الجميلة فتمسك بها واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحوز شفاعته  
يوم الفرز الأكبر ويرضى الله عنه ، فنسألك اللهم التوفيق لما فيه الخير بمنك  
وكرمك يا ارحم الراحمين .

## معجزاته عليه السلام

إذا تأمل المتأمل ما قدمناه من جميل اثر هذا السيد الكريم وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يتر في صحة نبوته وصدق دعوته ، وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به كعبد الله بن سلام فانه قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب . وروى مسلم أن ضماداً لما وفد عليه قال له صلى الله عليه وسلم ( إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فقال له ضماد : أعد عليّ كلماتك هؤلاء فقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك . ولما بلغ ملك عمان أن رسول الله عليه السلام يدعو الي الاسلام قال : والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعد واشهد أنه نبي . وقال ابن رواحة :

لو لم تكن فيه آيات مينة      لكان منظره ينيك بالخطر

كيف وقد أظهر الله على يده تصديقاً لدعوته من المعجزات ما لا يفي به العد فهو أكثر الأنبياء آية وأظهرهم برهاناً . وسندكر لك في هذا الفصل من الآيات ما تقر به عينك ويزداد به يقينك مما رواه الجسم الغفير من

الصحابة رضوان الله عليهم وأثبتته المحدثون في صحاحهم . ونبدأ منها بأظهرها  
شأننا وأوضحها بيانا وهو القرآن الشريف وإعجازه :

اعلم ان كتاب الله العزيز منطوق على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من  
جهة ضبط انواعها في اربعة : -

أولها حسن تأليفه والتثام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة  
عادة العرب ، وذلك انهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا  
من البلاغة والحكم بما لم يخص به غيرهم من الأمم . وأوتوا من ذرابه اللسان  
ما لم يؤت إنسان ، ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب . جعل الله لهم ذلك  
طبعاً وخلقاً وفيهم غريزة وقرة : يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى  
كل سبب ، فيخطبون بديهاً في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن  
والضرب ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك  
بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخضعون الالباب  
ويذلون الصعاب وينهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويصيرون  
الناقص كاملاً ويتركون النبیه خاملاً . منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول  
الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ، ومنهم الحضري ذو  
البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في  
القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية ، وكلاهما له في البلاغة  
الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيج الناهج ، لا يشكون أن  
الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم ، قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها  
ودخلوا على كل باب من ابوابها وعلموا صرحاً لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير  
والمبين وتفننوا في الغث والسمين ، وتناولوا في القل والكثير وتساجلوا في النظم



والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه  
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . احكمت آيته وفصلت كلماته ، وبهرت  
بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتضافر ايجازه وإعجازه  
وتظاهرت حقيقته ومجازه ، وتبارت في الحسن مطالعه وحوث كل البيان  
مجامعه وبدائمه . واعتدل مع إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده  
مختار لفظه ، وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة واكثر  
في الشعر والسجع ارتجالا وأوسع في الغريب واللغة مقالا ، بلغتهم التي بها  
يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون ، صارخا بها في كل حين ومقرعاً  
لهم بضعة وعشرين عاماً على رءوس الملأ اجمعين \* أم يقولون افتراه \* قل  
فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين \*  
\* وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا  
شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا \*  
\* قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا  
يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً \* . \* قل فأتوا بعشر سور  
مثله مفتريات \* فلم يزل يقرعهم أشد القرع ويويجهم أشد التويج ويسفه  
احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم  
وديارهم واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته ،  
يخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاعتزاز والافتراء وقولهم ( ان هذا الا  
سحر يؤثر ، وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين ) والمباهمة والرضا  
بالدنية كقولهم \* قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر  
ومن بيننا وبينك حجاب \* . \* ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه )  
والادعاء مع العجز كقولهم ( لو نشاء لقلنا مثل هذا ) وقد قال لهم ( ولن

تَفْعَلُوا ) فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كسيمة كشف عواره لجميعهم ، وسلبهم الله ما ألقوه من فصيح كلامهم والا لم يخف على أهل الميز منهم انه ليس من غط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا اليه مدعين وانت اذا تأملت قوله تعالى ( ولكم في القصص حياة ) وقوله ( ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب ، وقوله « ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » وقوله « وقيل يا ارض ابلعي ماءك يا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين » وقوله « فلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليطاهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » واشباهها من الآي ، بل اكثر القرآن ، حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عباراتها وحسن تأليف حرفها وتلاؤم كلمها ، وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جملة وعلوماً زواجر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها . ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالم التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية التأمله من ربط الكلام ببعضه ببعض والتثام سرده وتناسف وجوهه كقصة يوسف على طولها ، ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها وتناسف في الحسن وجه مقابلتها ، ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معادة لمعادها .

الوجه الثاني من اعجاز القرآن صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب الخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آية وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له

ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدهمت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر والاعجاز بكل واحد من النوعين والايجاز والبلاغة بذاتها أو الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها ما بين لفصاحتها وكلامها .

الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوق فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى ( لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ) وقوله عن الروم ( وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ) وقوله ( ليظهره على الدين كله ) وقوله ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدانهم من بعد خوفهم أمنا ) وقوله ( اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا ) فكان جميع هذا كما اخبر ، فغلبت الروم فارس ، ودخلت الناس في الدين افواجا واتسع ملك المسلمين حتى كان لهم في وقت من اقصى بلاد الاندلس غربا الى اقاصي الهند شرقا . ومن بلاد الاناضول شمالا الى اقاصي السودان جنوبا . وقوله ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون ) فكان كذلك الى الان والحمد لله ، وقوله ( سيهزم الجمع ويولون الدبر ) فكان كذلك في بدر والآية نزلت بمكة وقوله ( قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ) فكان كذلك مما اطلع عليه قارئ هذه السيرة وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقاتلهم وكذبهم في حلفهم كقوله ( ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ) وقوله « يخفون في انفسهم ما لا يدون لك » وقوله « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا

وَعَصِينَا وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لِيَا بِالسُّنْتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ \* إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ .

الوجه الرابع ما انبأ به من اخبار القرون السالفة والامم البائده والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من اخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده عليه السلام على وجهه ويأتي به على نضه فيقر العالم بذلك على صحته وصدقه وإن مثله لم ينله بتعليم وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مجالسة لم يرغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم . وكثيراً ما كان يسأله كثير من أهل الكتاب عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكراً كقصص الانبياء وبدء الخلق وما في الكتب السابقة مما صدقه فيها العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها . ولم يؤثر أن واحداً منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى صحيحاً ولا سقيماً من صحفه بعد ان قرعهم ووبخهم بقوله \* **قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ قَاتُلُوها إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ** \* ومما يدل على أن أهل الكتاب يعلمون صدقه ما تحدثم فيه الله بقوله \* **قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ) ثم حتم عدم إجابتهم بقوله : ( **وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمْتُمْ أَيْدِيهِمْ** ) فما سمع عن أحد منهم أنه تمنى ذلك ولو بلسانه مع أنهم كانوا أحرص الناس على تكذيبه . ومثل ذلك ما فعله أهل نجران حينما دعاهم للمباهلة فأبوا ، وقد قدمنا ذلك في فصل وفودهم . ومما يدل على أن هذا القرآن ليس من كلام البشر : الروعة التي تلحق قلوب سامعيه والهيبه التي تعترهم عند تلاوته لقوة حاله واناقة خطره حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفوراً ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه ، وهو الحكم ،

واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه اقبالا وتكسبه  
 هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به . قال تعالى ( تَقشعر منه جلودُ الذين  
 يُخشون ربهم ثم تلينُ جلودهم وقلوبهم الى ذكرِ الله ) وقال تعالى ( لو  
 انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتُه خاشعاً مُتصدعاً على خشية الله ) . ومن  
 وجوه اعجاز القرآن كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله  
 بحفظه فقال : ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) وقال ( لا يأتيه  
 الباطل من بين يديه ولا من خلفه ) وسائر معجزات الانبياء لم يبق الا  
 خبرها والقرآن الى وقتنا هذا حجة قاهرة ومعارضة متمنعة والاعصار كلها  
 طافحة بأهل البيان وحمله علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة  
 البراعة والملحد فيهم كثير والمعاند للشرع عتيد ، فما منهم من اتى بشيء يؤثر  
 في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته ، ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا  
 قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح ، بل المأثور عن كل من  
 رام ذلك القأوه في العجز بيديه النكوص على عقبيه . ولنختم لك هذا الباب  
 بحديثه عليه السلام في القرآن قال : ( ان الله انزل هذا القرآن أمراً وجزاءً  
 وسنة خالية ومثلاً مضروباً ، فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ؛ ونبأ ما بعدكم  
 وحكم ما بينكم ، لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه (١) . هو الحق  
 ليس بالهزل . من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فليج ،  
 ومن حكم به أقسط ، ومن عمل به اجر ، ومن تمسك به هدى الى صراط  
 مستقيم . ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ، ومن حكم بغيره قصمه الله ،  
 هو الذكر الحكيم ، والنور المبين ، والصراط المستقيم ، وجبل الله المتين ،

(١) رواه الترمذي عن علي بالفاظ متقاربة تيسير الوصول ١-٨٤

والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا  
يزيغ فيستعجب ) .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم : انشقاق القمر ، وقد قدمنا  
حديثه مستوفي .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته ، وقد  
روى هذا الجهم الغفير من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود ، قال أنس :  
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة العصر فالتمس الناس ماء للوضوء فلم  
يجدوه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع في الاناء يده وامر الناس ان يتوضأوا منه  
قال فرأيت الماء يتبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا عن آخرهم  
فقال كم كنتم ؟ قال زهاء ثلاثمائة . وقال ابن مسعود : بينا نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم  
وايس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء فصبه في اناء  
ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابعه . وقال جابر . عطش الناس  
يوم الحديبية ورسول الله بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا :  
ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور  
من بين اصابعه كأمثال العيون ، قيل : كم كنتم ؟ قال لو كنا مائة الف  
لكنا ، كنا خمس عشرة مائة ، وروى هذه القصة جمع عظيم من الصحابة  
ومثل هذا في هذه المواطن الخفيفة والجموع الكثيرة لا تنطرق التهمة الى المحدث  
به لأنهم كانوا أسرع شيء الى تكذيبه لما جلبت عليه نفوسهم من ذلك ،  
ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل ، فهؤلاء قد رأوا هذا واشاعره  
ونسبوا حضور الجهم الغفير له ولم يفكر عليهم احد من الناس ما حدثوا به عنهم أنهم  
فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له .

ومما يشبه تفجير الماء ببركته وانبعائه بمسه ودعوته . كما ورد عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وأنهم وردوا العين وهي تلمع بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل عليه السلام فيه وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس . وفي رواية ابن اسحاق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ، ثم قال يوشك يا معاذ ، ان طالت بك حياة ، ان ترى ما هنا قد ملئ جنانا . وقد قدمنا ذلك في غزوة تبوك . وروى عن البراء وسلمة بن الاكوع تكثير عين الحديد بدعوته عليه السلام . وروى ابو قتادة ان الناس شكوا الى رسول الله العطش في بعض أسفاره فدعا بالبيضاة فجعلها في صنبه ( ما بين الكشح الى الابط ) ثم التقم فيها فالله اعلم أنفث فيها أم لا ، فشرب الناس حتى رووا وملأوا كل اناء معهم فخييل لي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا ، ورويت قصص مشابهة لهذه عن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم في محال مختلفة بحيث لا يشك احد في صدقها بعد تضافر الثقاب على روايتها .

ومن ذلك تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم ، وروى طلحة أن عليه السلام اطعم ثمانين أو سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء بها أنس تحت أبطه فأمر بها عليه السلام ففتت وقال فيها ما شاء الله أن يقول ، وروى جابر انه عليه السلام اطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق ، وقال جابر فأقسم بالله لا كلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجينا ليخبز ، وكان عليه السلام قد بصق في العجين والبرمة وبارك ، وروى أبو ايوب أنه صنع لرسول الله وابي بكر طعاماً يكفيهما فأطعم منه عليه السلام مائة وثمانين رجلا . وروى مثل ذلك كثير من الصحابة ، كعبدالرحمن

ابن ابي بكر ، وسامة بن الاكوع ، وأبي هريرة ، وعمر بن الخطاب ، وانس بن مالك ، رضوان الله عليهم اجمعين .

ومن معجزاته عليه السلام قصة حنين الجذع ، قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان عليه السلام اذا خطب يقوم الى جذع منها ، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار . وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد لخواره ، وفي رواية سهل : وكثر بكاء الناس لما رأوه به . وفي رواية المطلب : وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت ، زاد غيره فقال عليه السلام : ان هذا بكى لما فقد من الذكر ، وزاد غيره : والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله فأمر به فدفن تحت المنبر ، وهذا الحديث خرج به أهل الصحة ورواه من الصحابة كثيرون ورواه عنهم من التابعين ضعفهم وبن دون عدتهم يقع العلم ان اعنى بهذا الباب . والله المتيقن على الصواب .

ومن معجزاته عليه السلام ابراء المرضى وذوي العاهات فقد اصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها عليه السلام فكانت احسن عينيه واحدهما ، وبصق على اثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد فما ضرب عليه ولا قاح ، وأصاب ابن ملاعب الاسنة استسقاء فبعث الى النبي عليه السلام فأخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسولها فأخذها يرى أنه قد هزىء به فأثأ بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله . وتقدم حديث علي ورمده في غزوة خيبر وغير ذلك كثير مما يعجز قلمنا عن عدده ورواه ثقة المسلمين الاعلام .



أما ما منحه الله إياه من اجابة دعواته فروى عن أنس بن مالك قال  
قالت أمي أم سليم : يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له ، فقال اللهم اكثر  
ما له وولده وبارك له فيما آتته ، قال أنس : فوالله إن مالي لكثير وإن  
ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم نحو المائة . ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة  
فكان نصيب كل زوجة من زوجاته الأربع من تركته ثمانون ألفاً ، وتصدق  
مرّة بعير فيها سبعةائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبها  
عليها وبأقنابها واحلاسها .

ودعا لمعاوية بالتمكين في الأرض فقال الخلافة ، ودعا لسعد باجابة  
الدعوة فما دعا لأحد الا استجيب له . وتقدم دعاؤه لعمر بن الخطاب ان يعز  
الاسلام به . وقال لأبي قتادة : أفلح وجهك ، اللهم بارك في شعره وبشره  
فمات وهو ابن سبعين سنة كأنه ابن خمس عشرة ، ودعواته عليه السلام المستجابة  
اكثر من أن تحصى يطالع عليها قارىء سيرتنا هذه .

أما ما أطلعه الله عليه من علم ما لم يكن فما سارت به الركبان ،  
فمن حذيفه رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فما ترك  
شيئاً يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حنظه من حفظه ونسيه  
من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما  
يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه وما أدري أنسى  
اصحابي أم تناسوه ، والله ما ترك عليه السلام من قائد فئنة الى ان تنقضي  
الدنيا يبلغ من معه ثلاثائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وأسم  
قبيلته . وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما علم به اصحابه مما وعدهم به من  
الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور

الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة الى مكة لا تخاف إلا الله وان المدينة ستغزي ويفتح خيبر على يد علي في غد يومه ، وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر ، وقدمنا كثيراً من ذلك في هذه السيرة وقدمنا ما في القرآن من ذلك . وهذا يغنيننا عن الاطالة في هذا المقام فحسبك ما سمعت .

ومما ينير بصيرتك أيها القارىء ما من الله به على رسولنا من عصمته له من الناس وكفايته من آذاه . قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعصمكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ وقال : ( واصبر لحكم ربك فانك باعيننا ) وقال : ( أليس الله بكاف عبده ) وقال : ( إنا كفيناك المستهزئين ) ولما نزل ( والله يعصمك من الناس ) صرف حجابيه وقال انصرونا فقد عصمني الله وقدمنا حديث دعثور وإرادته قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعصمة الله انبيينا وذكرنا كثيراً مما حصل من ابي جهل لما أراد بالرسول المكابد فكفاه الله شره . وما من الله به عليه ليلة الهجرة وحديث سراقه في الطريق . وعلى الجملة فيكفينا من هذا الباب أنه عليه السلام مكث بين أعداء ألداء بمكة ثلاث عشرة سنة وبين مشابهيهم من المنافقين واليهود عشر سنين فما تمكن أحد من ايصال أذى اليه صلى الله عليه وسلم : بل كفاه مولاة شر أعدائه حتى أظهر الدين وتممه .

والحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده ونسأله ان يوفق قارئى هذه السيرة الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى اصحابه وانصاره .

لقد من الله علي بتحقيق سيرة نبيه ﷺ ، فأطلب من الله العزيز القدير  
أن ينفع بهذه السيرة المحمدية كل من اطلع على هذا الكتاب المختصر في سيرة  
سيد البشر محمد ﷺ .

وأسأله أن يجعل اعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يوفقنا لاتباع نبيه  
محمد صلى الله عليه وسلم .

فقد يقول قائل أنني قد اختصرت في بعض الاماكن ومن الضرورة  
التوسعة ، فأقول : أن كتب السير كثيرة ومطولة فلذا : ما اطلت وحاولت دائماً  
الايجاز والاختصار حتى يكون كتاباً مختصراً شاملاً في كل باب ولكي يسهل  
قراءته وحفظه ومطالعة على كل مسلم .

فشكراً وحمداً لله الكبير المتعال ، وأطلب من الله الحي السميع البصير  
التجاوز عن سيأتي وتقصيري مع الله الواحد الاحد الفرد الصمد ، والحمد لله  
رب العالمين وتم طبع هذه السيرة النيرة على يد الاستاذ احمد ربيع بخـزاه  
الله عن الاسلام والمسلمين خيراً ، وذلك في شهر محرم سنة ١٣٨٢ وشهر حزيران  
سنه ١٩٦٢ . والله الموفق للخيرات والبركات وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد  
صلى الله عليه وسلم .

صفوة السقا

## فهرس نور البقبن

الصفحة	الصفحة		
الدعوة سرأ	٢٤	مقدمة	١
الجهر بالتبليغ	٢٩	= المؤلف	٢
الايداء	٣٢	النسب الشريف	٣
اسلام حمزة	٣٦	زواج عبدالله بآمنة وحملتها	٦
هجرة الحبشة الاولى	٤٤	الرضاع	٦
اسلام عمر	٤٤	حادثة شق الصدر	٧
رجوع مهاجري الحبشة	٤٥	وفاة آمنة وكفالة عبدالمطلب	٧
كتاب الصحيفة	٤٧	السفر الى الشام - حرب	٨
هجرة الحبشة الثانية	٤٨	الفجار	
تقض الصحيفة	٤٨	حلف الفضول - رحلته	١٠
وفود نجران	٤٩	الى الشام للمرة الثانية	
وفاة خديجة رضي الله عنها	٥٠	زواجه خديجة	١١
زواج سودة	٥٠	بناء البيت	١٢
زواج عائشة رضي الله عنها	٥١	معيشته قبل البعثة	١٣
هجرة الطائف	٥٢	سيرته في قومه قبل البعثة	١٤
الاحتفاء بالمطعم بن عدي	٥٣	ما أكرمه الله به قبل النبوة	١٦
وفد دوس	٥٤	تبشير التوراة به	١٧
الاسراء والمعراج وبحث الرؤية	٥٤	تبشير الانجيل	١٩
العرض على القبائل	٦٠	حركة الافكار قبل البعثة	٢٠
بدء اسلام الانصار	٦١	بدء الوحي	٢١
العقبة الاولى	٦١	فترة الوحي	٢٣
العقبة الثانية	٦٣	عود الوحي	٢٤

<u>الصفحة</u>	<u>الصفحة</u>	
وفيات عثمان بن مظعون	٨٦	٦٤ هجرة المسلمين الى المدينة
السنة الثانية : غزوة ودان	٨٧	٦٥ دار الندوة
غزوة البواط	٨٧	٦٦ هجرة المصطفى <small>صلى الله عليه وسلم</small>
غزوة العشيرة	٨٧	٦٨ النزول بقباء
غزوة بدر الأولى	٨٨	٦٩ هجرة الانبياء
سرية : في رجب	٨٨	٦٩ اعمال مكة
تحويل القبلة	٨٩	٧٠ قباء مسجد
صوم رمضان	٩٠	٧١ الوصول الى المدينة
صدقة الفطر	٩٠	٧١ أول جمعة
زكاة المال	٩٠	٧٢ النزول على أبي ايوب
غزوة بدر الكبرى	٩١	٧٣ نزول المهاجرين
أسرى بدر	١٠٠	٧٣ أخوة الاسلام
الفداء	١٠١	٧٤ هجرة أهل البيت
العتاب في الفداء	١٠٤	٧٤ صحي المدينة
غزوة قينقاع	١٠٦	٧٥ منع المستضعفين من الهجرة
جلاء قينقاع	١٠٧	٧٥ بحث القنوت وخلاف
غزوة السويق	١٠٧	الأئمة فيه
صلاة العيد	١٠٨	٧٧ السنة الاولى - بناء المسجد
زواج علي بفاطمة عليهما السلام	١٠٨	٧٨ بدء الأذان
السنة الثالثة	١٠٩	٨٠ يهود المدينة
قتل كعب بن الاشرف	١٠٩	٨١ المنافقون
غزوة غطفان	١١٠	٨٢ معاهدة اليهود
غزوة بجران	١١١	٨٢ مشروعية القتال
سرية	١١٢	٨٥ بدء القتال
		٨٥ سرية فني شهر رمضان

الصفحة	الصفحة
سرية : كان بنو أمسد ١٥١	غزوة أحد ١١٢
سرية : في ربيع الاول ١٥١	غزوة حمراء الاسد ١١٩
سرية : عاكس بنو سليم ١٥٢	حوادث ١٢٠
سرية : بلغ الرسول ان غيراً ١٥٢	السنة الرابعة ١٢١
سرية : في جمادي الآخرة ١٥٢	سرية وفي صفر ١٢٢
سرية : في رجب ١٥٣	سرية وفي صفر وفد ١٢٣
سرية : في شعبان أرسل ١٥٣	غزوة بني النضير ١٢٤
عبد الرحمن بن عوف	غزوة ذات الرقاع ١٢٦
سرية : أرسل علي بن أبي طالب ١٥٤	غزوة بدر الآخرة ١٢٦
قتل ابي رافع ١٥٥	حوادث ولد الحسين ١٢٧
سرية : ولما قتل كعب ١٥٦	السنة الخامسة
ولي اليهود مكانه الخ	غزوة دومة الجندل ١٢٨
قصة عسكل وعرينة ١٥٧	غزوة بني المصطلق ١٢٨
سرية : جلس أبو سفيان ١٥٧	حديث الافك ١٣١
غزوة الحديبية ١٥٨	غزوة الخندق ١٣٤
بيعة الرضوان ١٦١	الخدعة في الحرب ١٣٧
صلح الحديبية ١٦١	هزيمة الأحزاب ١٣٩
مكانة الملوك ١٦٤	غزوة بني قريظة ١٤٠
كتاب قيصر ١٦٥	زواج زينب بنت جحش ١٤٢
حديث ابي سفيان ١٦٥	الحجاب ١٤٥
كتاب امير بصري ١٦٧	فرض الحج ١٤٨
كتاب الحارث ابن أبي شمر ١٦٧	السنة السادسة ١٤٨
كتاب المقوقس ١٦٨	سرية : من محرم ١٤٨
كتاب النجاشي ١٦٩	غزوة بني لحيان ١٤٩
كتاب كسرى ١٧٠	غزوة الغابة ١٥٠

الصفحة	الصفحة		
سرية الاشعري	٢٠٢	كتاب المنذر بن ساوي	١٧٠
غزوة الطائف	٢٠٢	كتاب ملكي عمان	١٧١
تقسيم السبي	٢٠٤	كتاب هوزة بن علي	١٧٢
وفود هوزان	٢٠٦	السنة السابعة - غزوة خيبر	١٧٣
عمرة الجعرانة	٢٠٨	زواج صفية	١٧٦
سرية قيس	٢٠٨	النهي عن نكاح المتعة	١٧٧
وفود صداء	٢٠٩	رجوع مهاجري الحبشة	١٧٨
سرية : بشر	٢٠٩	فتح فداك	١٧٨
وفود تميم	٢٠٩	صلح تيجاد	١٧٨
سرية : الوليد بن عقبة	٢١٠	هدم وادي القرى	١٧٨
سرية : علقمة	٢١١	اسلام خالد ورفيقه	١٧٩
السنة التاسعة : سرية	٢١٢	سرية : في شعبان	١٨٠
وفود عدي بن حاتم	٢١٢	سرية : بشير	١٨٠
غزوة تبوك	٢١٣	سرية : في شوال	١٨٤
وفود صاحب ايلة	٢١٦	عمرة القضاء	١٨١
كتاب صاحب ايلة	٢١٦	زواج ميمونة	١٨٢
كتاب اهل اذرح وخرباء	٢١٧	السنة الثامنة - سرية صفر	١٨٣
مسجد الضرار	٢١٧	سرية : غالب	١٨٣
حديث الثلاثة الذين خلفوا	٢١٨	سرية : في ربيع الاول	١٨٤
وفود ثقيف	٢١٩	غزوة مؤتة	١٨٤
كتاب اهل الطائف	٢٢٠	سرية : في رجب	١٨٧
هدم اللات	٢٢١	غزوة الفتح لاعظم	١٨٨
حج ابي بكر	٢٢١	العفو عند المقدرة	١٩٣
وفاة ابن ابي	٢٢٢	وفود كعب بن زهير	١٩٦
وفاة ام كلثوم	٢٢٢	بيعة النساء	١٩٧
السنة العاشرة - سرية	٢٢٢	هدم العزى	١٩٨
سرية في رمضان	٢٢٢	هدم سواع	١٩٨
بعث العهل الى اليمن	٢٢٣	هدم مناة	١٩٨
		غزوة حنين	١٩٩

	الصفحة
وفور عقله	٢٤٧
كلامه المعتاد	٢٤٨
نسبه وكرم بلده	٢٤٩
فضله وجاهه	٢٥٠
خلقه	٢٥٢
حامه	٢٥٣
جوده وكرمه	٢٥٤
حيه اؤه	٢٥٥
عشرته وأدبه	٢٥٦
الشفقة والرافة	٢٥٧
خلقه في الوفاء وتواضعه	٢٥٨
عدله وأمانته	٢٥٩
وقاره وزهده	٢٦٠
خوفه من ربه وطاعته	٢٦١
معجزاته عليه السلام	٢٦٣
اعجاز القرآن	٢٦٦
اخبار القرون السالفة	٢٦٨
بيع الماء من يديه	٢٧٠
تكثير الطعام ببركته ودعائه	٢٧١
حزب الجزع - ابراء المرضى	٢٧٢
اجابة دعواته <small>صلى الله عليه وسلم</small>	٢٧٣
عصمته <small>صلى الله عليه وسلم</small>	٢٧٤
ختم الكتاب	٢٧٥
فهرس الكتاب	٢٧٦
الخطأ والصواب	٢٨١

	الصفحة
حجة الوداع	٢٢٤
خطبة الوداع	٢٢٥
الوفود	٢٢٧
وفود نجران	٢٢٨
وفود ضمام بن ثعلبة	٢٢٩
وفود بني حنيفة	٢٣١
وفود طيء	٢٣٢
وفود كندة	٢٣٢
وفود ازد شنوءة	٢٣٣
كتاب ملوك حمير	٢٣٤
وفود همدان	٢٣٤
وفود تميم	٢٣٥
وفود ثعلبة	٢٣٦
وفود بني سعد بن هذيم	٢٣٦
وفود بني فزارة	٢٣٧
وفد بني أسد	٢٣٨
وفد بني عذرة	٢٣٩
وفود بني محارب	٢٣٩
وفود غسان	٢٣٩
وفاة ابراهيم بن النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>	٢٤٠
السنة الحادية عشر - سرية	٢٤
مرض الرسول <small>صلى الله عليه وسلم</small>	٢٤١
صلاة أبي بكر باناس	٢٤٢
وفاة رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	٢٤٣
شماله عليه السلام	٢٤٤
نظافة جسمه	٢٤٦



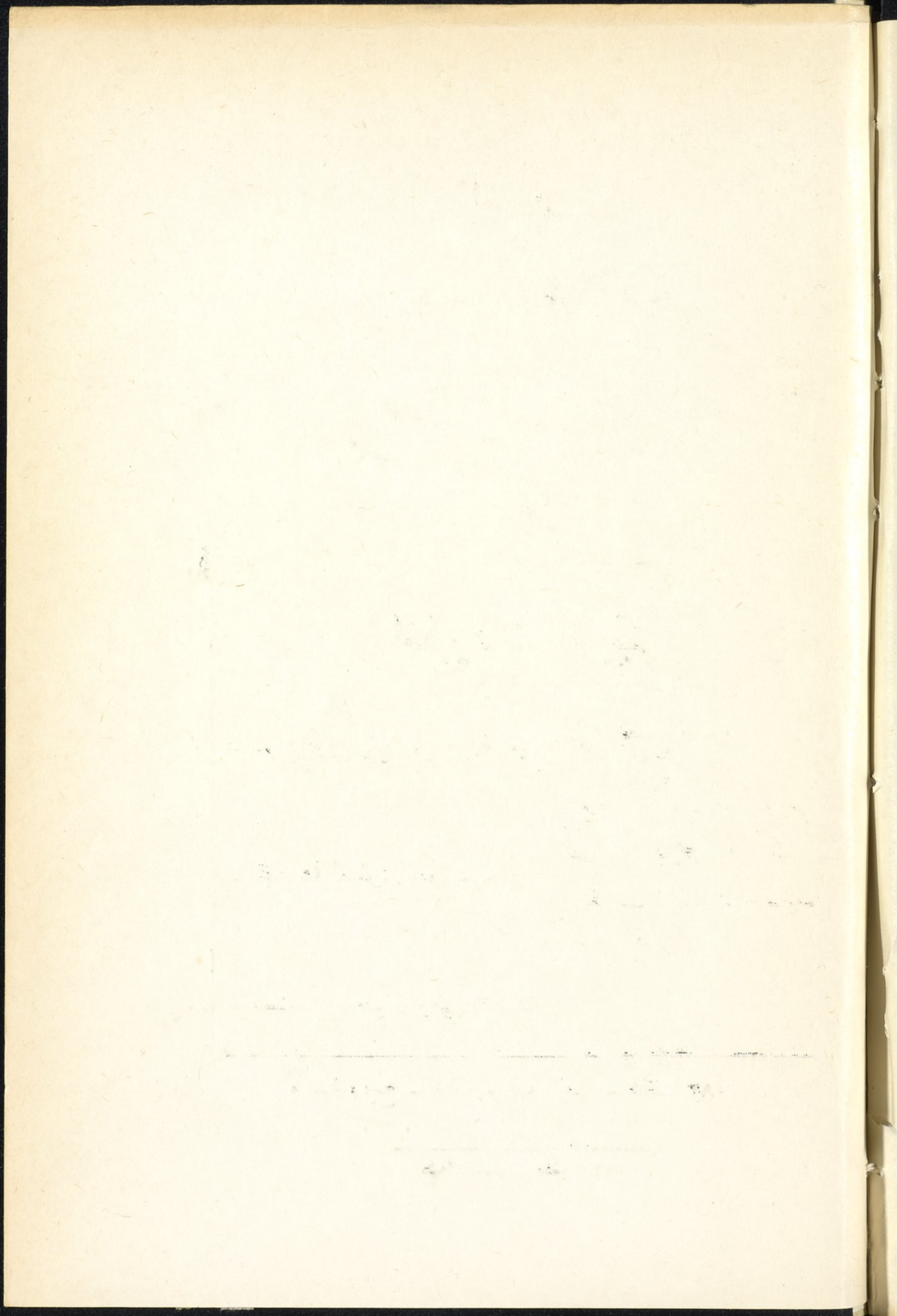
## جدول الخطأ والصواب

خطأ	صواب	صفحة	سطر
زعيماً	زعيماً	مقدمة	١٦
اكنجمننا	المنجمننا	١٩	٢٢
اكبر قليطس	البرقليطس	١٩	٢٢
فان الله الاجماع	فان الاجماع	٥٦	١
لا يواخذ	لا يؤخذ	٥٦	١١
لا تطفي	لا تطني	٩١	١٧
لاقامة دعائم الامن والسلام	لاقامة دعائم الملك	١٢٠	١١
وقد	وفد	١٢٣	٦
بوتهم	بيوتهم	١٢٥	١٢
سمع	سمع	١٤٦	٢٠
انظر	انظره	١٦٥	١٥
المول	المولى	٢٠١	٢٢

﴿ انتهى الكتاب ﴾

تاریخ الفکر العربی

تاریخ	مؤلف	صفحات
1900	...	77
1901	...	77
1902	...	77
1903	...	77
1904	...	77
1905	...	77
1906	...	77
1907	...	77
1908	...	77
1909	...	77
1910	...	77
1911	...	77
1912	...	77
1913	...	77
1914	...	77
1915	...	77
1916	...	77
1917	...	77
1918	...	77
1919	...	77
1920	...	77
1921	...	77
1922	...	77
1923	...	77
1924	...	77
1925	...	77
1926	...	77
1927	...	77
1928	...	77
1929	...	77
1930	...	77
1931	...	77
1932	...	77
1933	...	77
1934	...	77
1935	...	77
1936	...	77
1937	...	77
1938	...	77
1939	...	77
1940	...	77
1941	...	77
1942	...	77
1943	...	77
1944	...	77
1945	...	77
1946	...	77
1947	...	77
1948	...	77
1949	...	77
1950	...	77
1951	...	77
1952	...	77
1953	...	77
1954	...	77
1955	...	77
1956	...	77
1957	...	77
1958	...	77
1959	...	77
1960	...	77
1961	...	77
1962	...	77
1963	...	77
1964	...	77
1965	...	77
1966	...	77
1967	...	77
1968	...	77
1969	...	77
1970	...	77
1971	...	77
1972	...	77
1973	...	77
1974	...	77
1975	...	77
1976	...	77
1977	...	77
1978	...	77
1979	...	77
1980	...	77
1981	...	77
1982	...	77
1983	...	77
1984	...	77
1985	...	77
1986	...	77
1987	...	77
1988	...	77
1989	...	77
1990	...	77
1991	...	77
1992	...	77
1993	...	77
1994	...	77
1995	...	77
1996	...	77
1997	...	77
1998	...	77
1999	...	77
2000	...	77



اصدار

المؤسسة الثقافية

ذُيُورُ النَّهْرِ

للتأليف

المطبوعات الدينية

- شرح نور اليقين في سيرة سيدنا محمد ﷺ

البرهان المؤيد - احمد الرفاعي

عنوان التوفيق في آداب الطريق

الكوكب المتلالي شرح قصيدة

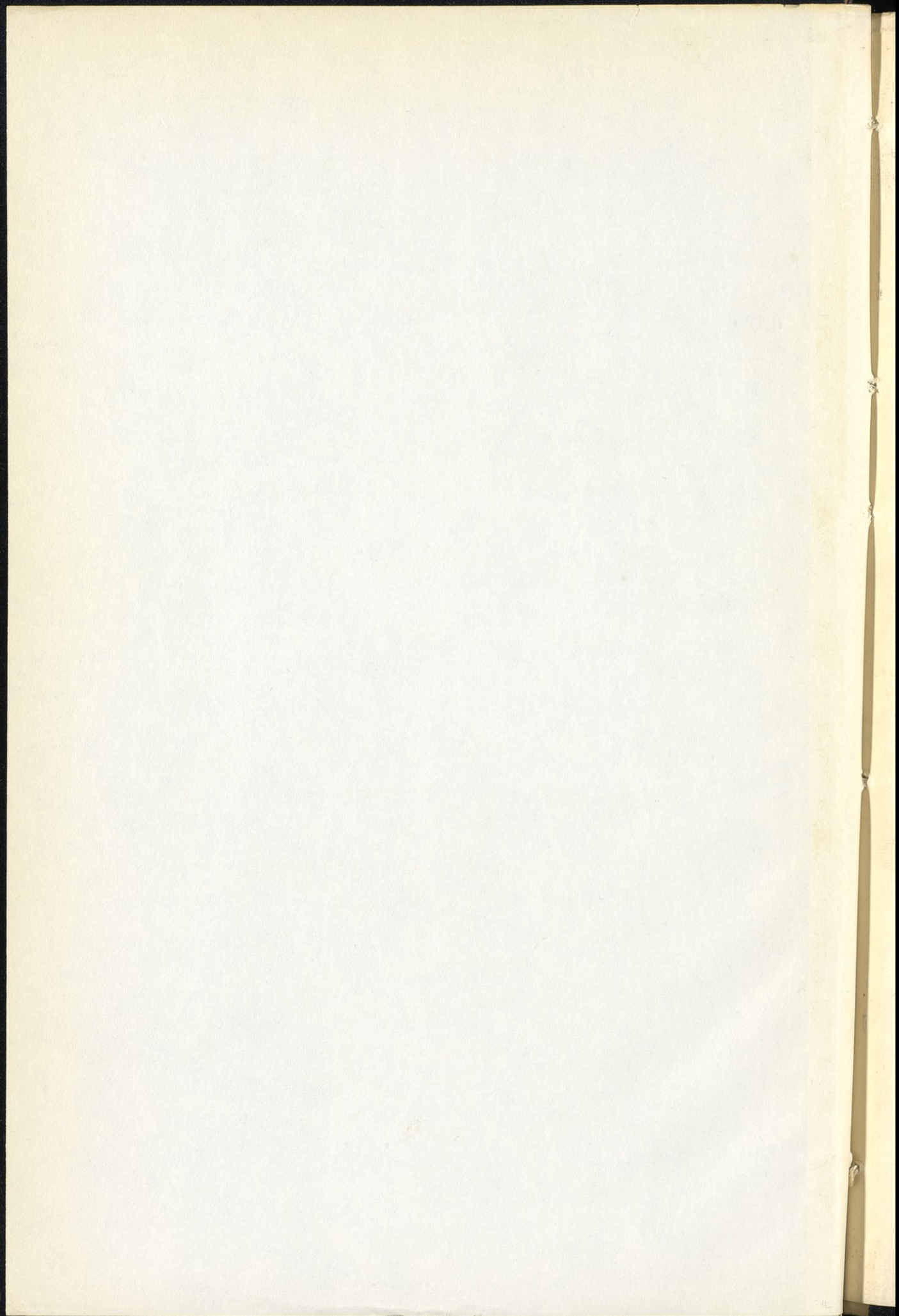
الامام الغزالي

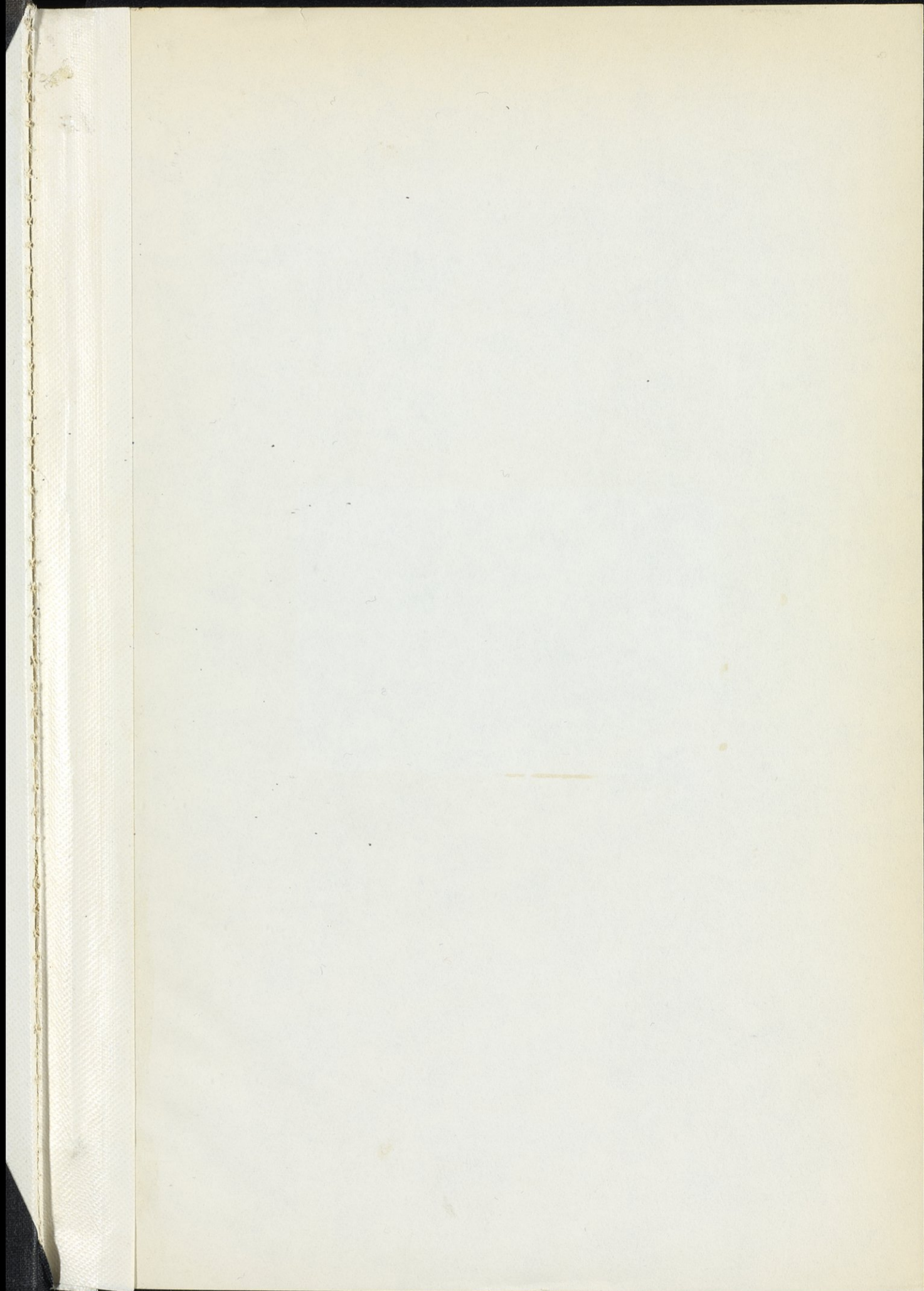
- المجموعة الصغرى للفوائد الكبرى

- مسند ابي حنيفة رضي الله عنه

مكتبة ربيع - حلب - باب النصر - هاتف ١٣٠٨٢

مطبعة الشرق - حلب ١٨٧١٢





LIBRARY  
OF  
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 074072610